الفاتيكان ،

خلفيات وأهداف ..

أ. د. زينب عبد العزيز

2011

بسم الله الرحمن الرحيم

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ

(79 البقرة)

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ

(12 المائدة)

وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

(75 القرة)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

(71 آل عمران)

إهداء

إلى الذين لا يخشون إلا الله عز وجل ..

إلى الذين يمكنهم الدفاع عن الإسلام .. علّهم يفعلون

فأفضل الجهاد كلمة حقٍ عند سلطان جائر ،

وما أكثر السلاطين الجائرة ..

المقدمة

الفاتيكان والكرسى الرسولى هما رمز لكيان متناقض التكوين ، متشعب الخلفيات والأهداف ، فهو ينعم بوضع متفرد لا مثيل له فى العالم، عن غير وجه حق ؛ كما أنه نموذج واضح لكل ما هو غريب وغير منطقى ، ورغمها لا أحد يتكلم أو ينتقد إلا على استحياء، ولا نقول يطالب بالتصويب، إلا فيما ندر ، فتبدو كومضات تشرئب لتخبو فوراً !.

ويمكن إيجاز وضعه الداخلى بعبارة شاملة : أنه شهادة على ماضٍ تاريخى قد ولّى شكلا، لكن حاضره لا يزال يحمل ويواصل ما كان عليه من الجبروت. وإن أضفنا شئ ما فيما يتعلق بالظاهر البرّاق، لقلنا أنه يسيطر على العالم بثرواته ومؤامراته. وإن بحثنا بشئ من الدقة لوجدناه قائم على التزوير والتحريف، سواء فى تكوينه منذ العصور الأولى، أو فى نصوصه الدينية والمدنية، وذلك على مدى عمره، و فى تدخلاته فى الشئون الداخلية لمختلف البلدان ، منذ نشأته وحتى يومنا هذا ! ..

وعلى الرغم من كونهما مؤسستان مختلفتان قانونا من حيث الشكل والمضمون ، إلا أنهما فى واقع الأمر تمثلان واجهتان لعملة مزيفة واحدة. إذ يمكن القول أن الفاتيكان هو المقر الإدارى للكرسى الرسولى ولقداسة البابا. والفاتيكان فرضاً هو "دولة رسمية" تم غرسها فى مدينة روما بإيطاليا ، يوم 11 فبراير 1929، عن طريق إتفاقيات لاتران، بهدف أن تكون الدعامة الأساسية التى يقوم عليها الكرسى الرسولى . ومساحة الفاتيكان عبارة عن 44 % من الكيلومتر المربع ، والطول الأقصى لهذه "المدينة" الهلامية 1045 متراً وعرضها 850 متراً ، وهو ما يجعل منها أصغر دولة فى العالم : فهى ثلث مساحة إمارة موناكو ، وتقارب 20 % من مساحة غابة بولونيا فى مدينة باريس بفرنسا . وثلث هذه المساحة تحتلها المبانى ، والثلث الثانى بعض القصور والممرات ، والثلث الأخير حدائق ومتنزهات. وتمثل هذه المدينة المقامة بجوار مقبرة بطرس الرسول أكبر تطور معمارى- حضرى فى التاريخ ، فمن مقبرة مزعومة ، قد ثبت حديثاً عدم وجودها أصلا، قد تطورت بالتحايل والأحاييل إلى كيان من الكيانات المسيطرة على العالم.

وسوف يتناول الفصل الأول بشئ من التفصيل تاريخ الفاتيكان والفَرْق بينه وبين الكرسى الرسولى، وبعض أهم الإمكانيات التى يعتمد عليها والتى تتيح له التدخل عن غير وجه حق فى العديد من الشئون الدينية والسياسية والإجتماعية فى مختلف بلدان العالم. فهو وضع غير قانونى ولا بد من الإعتراض عليه رسميا، لإلغائه كمؤسسة مزدوجة الطابع وإخضاعه ليكون مجرد

كنيسة تتولى الشئون الدينية لأتباعها، وليس كياناً شديد التعتيم، قائم على التدخل فى الشئون الداخلية لمختلف البلدان لتنصير العالم، وخاصة لمحاربة الإسلام والمسلمين.

ويتناول الفصل الثانى "مَجْمَعْ الفاتيكان الثانى" (1962– 1965) الذى لا يُعد أول مجمع هجومى فى التاريخ فحسب، وإنما قد أدت قراراته بعامة ، وخاصة تلك التى تتعلق بالمسلمين ، إلى التدخل السافر فى البلدان الإسلامية والعمل على إقتلاع الإسلام والمسلمين إعتمادا على أن ذلك قرار مجمعى لا رجعة فيه ، فما من وثيقة أصدرها هذا المجمع إلا وأشارت إلى ضرورة تنصير العالم !.

ويتناول الفصل الثالث وثيقة **"فى زماننا هذا"** و المحاور الرئيسية التى توضح علاقة الفاتيكان بالإسلام ، وتبرأته اليهود من دم المسيح، رغم مخالفة ذلك لنصوصه الدينية. وكيف تواصل تلك المؤسسة عمليات التحريف بأن وضعت الإسلام بين الديانات الأسيوية لتتمكن من سيادة العالم !

اما الفصل الرابع فيتناول معنى الحوار فى الوثائق الأساسية للفاتيكان ، مع تقديم أهم الوثائق التى صدرت لتحديد وتوضيح هذا المعنى، وبعض النماذج للقاءات الحوار بين الأديان التى يديرها وفقا لهواه وتنفيذا لمطالبه وإحتياجاته ..

ويتناول الفصل الخامس عملية "التبشير الجديد" التى يقودها الفاتيكان حاليا بإصرار غير مسبوق، لتنصير العالم، مع تقديم نماذج لأهم الوثائق التى أصدرها فى هذه الجزئية .

بينما يتناول الفصل السادس الأهداف المستقبلية لذلك الكيان المتشعب وما يعده من لقاءات وإجتماعات وسينودسات لتنفيذ برنامجه.

وينتهى البحث بالفصل السابع الذى يتناول بعض نماذج من التحريف سواء فى الأناجيل أو فى نسج العقائد ، وأهمها قيامة يسوع ، التى يعتمد عليها لتنصير العالم.

الفصل الأول

خلفيات لا بد منها ..

يضم الفاتيكان مجمل منشآت الكنيسة الكاثوليكية الرومية. ولغته الرسمية الداخلية هى الإيطالية وليست اللغة اللاتينية ، التى هى لغة الكنيسة الكاثوليكية الرومية ، وإن كانت اللاتينية هى اللغة القانونية لدولة الفاتيكان، والتى تكتب بها النصوص الرسمية ثم يتم ترجمتها إلى عدة لغات، إلا أن اللغة الفرنسية هى لغة الفاتيكان الدبلوماسية، لأن الفاتيكان يسجل نفسه فى المنظمات الدولية على أنه دولة فرانكوفونية. و"الكرسى الرسولى" هى العبارة القانونية للحكومة المركزية للكنيسة الكاثوليكية. ولعل إختياره للفرنسية كلغة دبلوماسية يرجع إلى رغبته فى الحفاظ على خيط ثابت لسيطرته على فرنسا ، المحور الأساس لأوروبا، بدليل أنه عقد إتفاقية تنص على أن رئيس الجمهورية الفرنسية يكون فى نفس الوقت الرئيس الفخرى لكنيسة سان چاك دى لاتران ! وكل رئيس جمهورية جديد لفرنسا عليه فور توليه الرئاسة أن يتوجه إلى روما ويحضر القداس الذى يقيمه البابا، وأن يلقى أمامه بخطاب هو عبارة عن تجديد ولاء فرنسا، حكومة وشعباً، للفاتيكان والكرسى الرسولى. وهو ما يضع علامات إستفهام عديدة حول إعلان فرنسا العلمانية وفصل الدين عن الدولة..

وصغر حجم الفاتيكان لا يسمح له باحتواء كل العاملين به ، لذلك إمتدت تشعباته فيما حوله. وهو ما لم تنص عليه إتفاقيات لاتران التى أنشأته ، لكن ما من أحد يمكنه الإعتراض، إلا على استحياء !. وبخلاف ملكيته لبعض البازليكات والقصور ، ومنها القصر الصيفى للبابا "كاستل جوندولفو" ويقع على اكثر من 40 هكتاراً ، توجد عشرات العمارات التى تضم العاملين لديه ، بخلاف أربعمائة هكتاراً فى ضواحى روما أقيم عليها محطة الإذاعة الخاصة به "راديو الفاتيكان" ومكاتبه ، وهو يذيع بأكثر من ثلاثة وثلاثين لغة. وذلك إضافة الى عشرات من العمارات الأخرى ومئات العاملين وآلاف الأفراد الموزعين فى مؤسسات متعددة ، ومطبعة تعمل بأربعة وتسعين لغة ، ودار نشر ، وجريدة يومية هى **"أُسرفاتورى رومانو"** ، ومكتبة متفردة فى مقتنياتها من الوثائق والمخطوطات من مختلف العصور والأعمال الفنية النادرة ، ومرصدا ، ومطارا للطائرات الهيلوكبتر.

وبعد إنتهاء مجمع الفاتيكان الثانى عام 1965 تم إنشاء العديد من الإدارات الجديدة ، إحداها مسئولة عن وحدة المسيحيين ، والأخرى لغير المسيحيين ، وثالثة لغير المؤمنين ، وأخرى

للعلمانيين ، وللسلام وحقوق الإنسان ، وغيرها لأمريكا اللاتينية ، وللهجرة والسياحة ، أو لوسائل الإتصالات الإجتماعية.. ومن الصعب حصر عدد العاملين فى كل هذه المؤسسات واللجان ، فالأرقام تتغير وفقا للمصدر ، لكن ذلك يكشف فى نفس الوقت عن مدى تداخل الفاتيكان والمؤسسات التابعة له ، لا فى إيطاليا وحدها وإنما فى المجتمع الدولى بأسره.

أما الكرسى الرسولى ، فيعود إلى أيام بطرس الرسول ، كما تقول الكنيسة ، وقد قُتل هذا الرسول عام 64 ميلادية ، أيام إضطهاد نيرون ، و يقولون أنه دفن فى المكان الذى تقام عليه البازليكا المعروفة باسم "القديس بطرس" ، وهى أكبر كنيسة تم بناؤها فى التاريخ. والكرسى الرسولى هو مقر البابوات الروم خلفاء بطرس الرسول ، وكان يمثل الكيان المسئول عن الكنيسة الكاثوليكية قبل أن يكون رمزا للكاثوليكية. وهو الذى أنشأ مدينة الفاتيكان بالإتفاق مع الحكومة الإيطالية، بموجب إتفاقيات لاتران، وهو المعترف به فى القانون الدولى. إذ ان سفراء دول العالم يتم إعتمادهم فى الكرسى الرسولى ، والكرسى الرسولى يرسل مندوبيه لتمثيله فى الدول التى وقّع معها بروتوكولا دبلوماسيا.

وقد أدت إتفاقيات لاتران عام 1929 إلى بدعة جثورة ، إختلف حولها المشرّعون ، ولم تقبل كل الدول بهذه القرارات ، لكن ما من دولة جرأت على الإعتراض رسميا على إقامة الفاتيكان ، بل ولم يكن فى وسعها أن تعترض رسمياً ..

وفى واقع الأمر لا يوجد أى أثر يدل على الأصل التاريخى لمكان الفاتيكان ، فالمنطقة على أحد المرتفعات الإيطالية المقامة عليها مدينة روما. وأيام الإمبراطورية الرومانية كانت مباريات عربات الخيل تقام فى ساحة منطقة جبل الفاتيكان. ويقول الأسقف پول پوبار (P. Poupard) فى كتابه عن "**الفاتيكان**":

"وفقا لتراث تاريخى بعيد ، يقال أن بطرس الرسول قد جاء إلى روما ليقيم بها كنيسة فى قلب الإمبراطورية ، وأنه تم ذبحه فى هذه المنطقة التى كان يُعدم فيها القرابين البشرية. وقد أكد ذلك كليمون أسقف روما فى خطاب إلى الكورنثيين فى أواخر القرن الأول. كما يؤكده أيضا إغناسيوس أسقف إنطاقيا فى سوريا فى خطابه إلى الروم الذى كتبه لهم من مدينة إزمير ربما فى عام 107، أيام حكم تراجان. وفى مطلع القرن الثالث ظهر التراث القائل بأن مبشر الجليل ، أى بولس هذا ، قد تم صلبه ورأسه إلى أسفل ، مثلما هو ممثل على إحدى الجداريات من القرن الخامس عشر فى أحد كهوف الفاتيكان تحت البازليكا. كما أن المؤرخ يوسبيوس قد احتفظ لنا بوثيقة من القس الرومانى جايوس تشهد بأن قبر بطرس فى الفاتيكان. وقد تم تشييد اول مبنى

تكريما لذلك الرسول بقرار من قسطنطين، أول إمبراطور مسيحى، غالبا حوالى عام 322، بعد عشر سنوات تقريبا من مرسوم ميلانو" ..

و"مرسوم ميلانو" هذا هى الوثيقة التى أصدرها الإمبراطور قسطنطين ليسمح بموجبها للمسيحيين بأن يمارسوا ديانتهم مثل باقى الديانات الموجودة فى الإمبراطورية. أى أن المسيحية حتى ذلك التاريخ كانت تُحارَب رسميا وبضراوة فما بالنا فى القرنين السابقيْن ؟!

وما تقدم من إستشهاد للأب پوپار هو عبارة عن نموذج يوضح كيفية إختلاق الأصول التى دأبت المؤسسة الكنسية على فبركتها، فتبدأ بكذبة ثم يتم تصديقها ، ثم تقنينها ، ثم البناء عليها.. وهنا ، القصة تعتمد على تراث شفهى لا سند تاريخى له سوى عبارة "يقال" التى تدين الحدث أكثر مما تؤرخ له. وهى قصة غير منطقية من أساسها فى وقت كان يعانى فيه النصارى من إضطهاد كاسح ، وثابت تاريخيا أنه لم يكن من العُرف تشييد مقابر لمن يتم إعدامهم من الخارجين على القانون أو المجرمين فى نظر الدولة الرومانية، وإنما كانوا يتركون الجثث للطيور الجارحة وللحيوانات المفترسة لتلتهمها وليكونوا عبرة لغيرهم .. فقصة مقبرة ترجع الى عام 64 لبطرس الرسول ، الذى كان فى نظر الإمبراطورية الرومانية خارجا على القانون ومثيرا للقلاقل ويهدد الديانات القائمة ، بل والذى تم إعدامه فعلا ، هى يقيناً قصة تلفيقية تم إختلاق الأسانيد التاريخية لها ، بواسطة رجال دين كنسيين مشهود لهم بالتزوي ، لترسيخها وليتم التعامل معها والبناء عليها على أنها حقيقة مؤكدة !

والطريف أنه فى عام 1969 إعترفت الأكاديمية البابوية للآثار أن مقعد أو عرش القديس بطرس فى روما هو فى الحقيقة عرش الإمبراطور شارل الأصلع (Ch. Le Chauve) ، الذى تم إستخدامه عند تتويجه فى سنة 875 !.. وما من واحد منهم إهتم بتصويب الفرية الدينية "الورعة" المبنى عليها الفاتيكان ..

وما أكثر الوثائق المزيفة التى تم استخدامها لتشييد هذا الصرح الفاتيكانى ، وأهمها "**وثيقة هبة قسطنطين**" ، وغيرها كثير ، حتى تم إشتقاق عبارة لها مغزاها تسمّى : "التزوير الورع" ! وفيما يلى معنى وأحداث وثيقة هبة قسطنطين.

♦ **وثيقة "هبة قسطنطين**

تعنى عبارة "هبة قسطنطين" (Constantin's Donation)، منذ القرون الوسطى ، الوثيقة المزورة بإسم الإمبراطور قسطنطين الأكبر والتى يقال أنه بموجبها قد قدم مميزات وممتلكات لا يتصورها عقل للبابا وللكنيسة . ومخطوطة الوثيقة القديمة المعروفة منذ القرن التاسع موجودة بقسم المخطوطات اللاتينية بالمكتبة القومية فى باريس ، تحت رقم 2777، وفقا لما هو وارد فى " **الموسوعة الكاثوليكية** " ، وتحمل الوثيقة عنوان : **"وثيقة هبة الإمبراطور قسطنطين** " ، وهى موجهة من الإمبراطور قسطنطين إلى البابا سيلفستر الأول (314 - 335)، وتتكون من جزئين.

الجزء الأول منها بعنوان : " الإعتراف " ، ويشرح فيه الإمبراطور كيف تم تعليمه مبادىء المسيحية على يد البابا سيلفستر الأول ، ويقر بإيمانه بالمسيحية، ويتحدث عن تعميده ، وكيف أن البابا قد شفاه وعافاه من مرض الطاعون .

وقبل الإنتقال إلى الجزء الثانى والأهم من الوثيقة ، تجدر الإشارة هنا إلى أن كافة المراجع النقدية التاريخية الحديثة تشير إلى أن الإمبراطور قسطنطين كان رافضا لفكرة تأليه السيد المسيح ، وأنه لذلك كان من أتباع الأسقف أريوس الرافض لتأليه يسوع ، وأنه لم يقبل التعميد - كما يقولون ، إلا وهو على فراش الموت . أما تقبله للمسيحية والسماح للمسيحيين بممارسة عقيدتهم مثلهم مثل باقى الديانات الموجودة فى الإمبراطورية ، فذلك من أجل توحيد الإمبراطورية وإدخال المسيحيين الخدمة العسكرية ، إذ أنهم كانوا يرفضون التجنيد بحكم ان المسيحية الأولى كانت تحرّم القتل !! وحين نسترجع عشرات الملايين الذين تم قتلها بعد ذلك بإسم المسيحية لا نملك إلا التعجب و الإستعاذة بالله عز وجل ..

وفى الجزء الثانى من الوثيقة المعنون " الهِبة " ، يقوم قسطنطين بالتنازل إلى البابا سيلفسترالأول ، وكل من يخلفه ، عن الملكيات التالية : بموجب أن البابا يُعد خليفة القديس بطرس فإن له الأولوية على البطرياركات الشرقية التالية : إنطاقيا ، والإسكندرية ، والقسطنطينية ، والقدس . وكذلك الأولوية على كافة أسقفيات العالم. وقام بالتنازل للبابا عن قصر لاتران ، وهو أكبر وأجمل قصر شيد حتى ذلك الوقت . وتنص الوثيقة على أن بازليكا مدينة لاتران فى روما والتى بناها قسطنطين ستترأس كافة الكنائس وكذلك كنيستا القديس بطرس والقديس بولس. وهنا تجدر الإشارة إلى أن كنيسة لاتران هذه رئيسها الفخرى الحالى

هو السيد ساركوزى ، رئيس فرنسا ، مثلما كان الرئيس الفرنسى الأسبق جاك شيراك رئيسها الفخرى ، وهو أول ما فعله البابا بنديكت السادس عشر حينما تولى نيكولا ساركوزى رئاسة فرنسا وذكره قائلا : " بأنه أصبح يحمل لقب الرئيس الفخرى لكنيسة سان جان دى لاتران " ـ الأمر الذى يكشف حقيقة الدور الذى يربط رئيس فرنسا بالكنيسة رغم التشدق بالعلمانية وإعلان فصل الدين عن الدولة ، لأن فرنسا تساهم عمليا بثلثى تكاليف عمليات التبشير والتنصير ..

وتواصل وثيقة قسطنطين المزعومة تزويد كنيستا بطرس وبولس بممتلكات ثرية . كما وهب البابا لقب رئيس أساقفة روما ، الذى يمكّنه من إستقبال أعضاء مجلس الشيوخ ، وأنه سيحصل على نفس التكريم والمميزات التى يحصل عليها أعضاء مجلس الشيوخ. ومثلها مثل الإمبراطور ، فإن كنيسة روما سوف يكون لها الحاشية الخاصة بها ، وطاقم الضيافة الخارجى والداخلى ، والحرس الداخلى والخارجى . كما سوف ينعم البابا بنفس الحقوق الفخرية والتبجيلية كالإمبراطور ، ومن بينها إرتداء التاج الإمبراطورى والرداء القرمزى، وإجمالا : كافة العلامات والشارات الخاصة بالتمييز الإمبراطورى . إلا ان البابا سيلفستر قد أبى أن يضع على رأسه آنذاك تاجا من الذهب فقام قسطنطين بتزويده بالتاج الأبيض المرتفع ..

وتضيف الوثيقة أن الإمبراطور قد أضفى على البابا شرف التكريم الذى يحصل عليه الفارس وجواده . والأدهى من ذلك ، تضيف الوثيقة أن الإمبراطور قسطنطين قد منح البابا وكل من يخلفونه من بعده، إضافة إلى قصر لاتران، مدينة روما وكل المقاطعات التى من حولها وكافة مدن إيطاليا وكافة المناطق الغربية للإمبراطورية ! ونظرا لعدم معقولية هذه الهبة التى تجرد الإمبراطور من كل شىء طواعية ، تورد الموسوعة الكاثوليكية الجزئية الخاصة بمنحه كافة مدن إيطاليا للبابوية ، باللاتينية ، وهذا نصها :

"Tam palatium nostrum, ut prelatum est, quamque Romae urbis, et omnes Italiae seu occidentalium regionum provincias loca et civitates"

وتواصل الوثيقة العجيبة قائلة أن الإمبراطور قد أقام لنفسه مدينة جديدة فى الشرق ، تحمل اسمه ، وأنه سوف ينتقل إليها هو وحكومته ، بما انه لا يجوز أن يكون للإمبراطور أى سلطة فى المكان الذى أقام الله فيه مقرا لرئيس الديانة المسيحية !

وكم من جُرم يُقترف باسم الله بالوثائق الرسمية المزورة التى سرعان ما يتم الإعتماد عليها "كوثيقة رسمية " لتتواصل اللعبة ويتواصل التزوير !..

وتنتهى الوثيقة بصب اللعنات على كل من يجروء على مخالفة هذه الهبات مع تأكيد أن الإمبراطور قد وقّع عليها بخط يده شخصيا ووضع الوثيقة بنفسه على قبر القديس بطرس ..

ونطالع فى نفس الموسوعة الكاثوليكية : "ومما لا شك فيه أن هذه الوثيقة مزورة ، وتم افترائها فيما بين عامى 750 و795 م . وقد تم إثبات تزييفها منذ القرن الخامس عشر. فالكاردينال نيقولا دى كوزا يتحدث عنها فى أعماله على أنها "وثيقة أبوكريفا" أى مستبعدة وليست فى متناول الجمهور ! وبعد عدة سنوات قام لورنزو فاللا (L. Valla) ، فى عام 1440 ، بإثبات تزوير هذه الوثيقة بكل تأكيد. كما توصل رجينالد بيكو أسقف تشيسستر (1450 - 1457) إلى نفس النتائج فى بحثه حول : "التعتيم على أكثر ما يدين رجال الكنيسة " ..

ورغمها ، ظل استخدام الوثيقة سارى التداول فى الأقبية البابوية على أنها أصلية حتى قام المؤرخ الكاردينال بارونيوس ، من مدينة سورا بمملكة نابولى آنذاك ، بالإعتراف فى "**الحوليات الكنسية** " التى يؤرخ فيها للكنيسة ، بأن وثيقة "**الهبة** " وثيقة مزورة .. وبارونيوس يُعد من الذين يتبوأون الصدارة بعد المؤرخ أوسبيوس وكلاهما من أباء الكنيسة !

ولا غرابة فى عملية الكشف الفاضحة هذه ، فمنذ القرن الخامس عشر بدأت بوادر عملية النقد التاريخى للمؤسسة الكنسية ونقد كل ما اقترفته من تزوير وتحريف فى مختلف الوثائق الرسمية منها والدينية .

وقد قام المزور الرسمى لهذه الوثيقة باستخدام العديد من السلطات التى قام كل من جروبرت وزيومر والعديد غيرهما بتفنيدها بالبحث العلمى واللغوى. فبداية الوثيقة ونهايتها مقلدة من وثائق حقيقية حتى تبدو الصياغة رسمية طبيعية . إلا أن المتن نفسه قد كشف عن عمليات التزوير باستخدام لغة وعبارات لم تكن موجودة أو سائدة فى القرن الرابع أيام قسطنطين ! ومنها عبارات قد وردت فى قرارات "مجمع الأيقونات " المنعقد فى القسطنطينية عام 754 ، أو عبارات من "**كتاب البابوات**" الذى يضم خطابات من بابوات القرن الثامن ، والمعروف تاريخيا أن قسطنطين من القرن الرابع !

وفى نفس هذه الوثيقة المزورة أو المعروفة بأنها تمثل " أشهر وأكبر وأحط عملية تزوير فى الوثائق البابوية " ، لم تخلو من إثارة الأسئلة والتناقضات حول كيفية صياغتها والفقرات التى أضيفت إليها وتحت رئاسة أى بابا من البابوات تمت هذه الإضافة الجديدة !

وأيا كانت هذه الخلافات الجزئية ، فجميع من تناولوها بالدراسة أكدوا أنها تمت من أجل تدعيم السلطة المدنية للبابوات و تدعيم الكنيسة الكاثوليكية فى حربها الممتدة ونضالها الذى لا يكل من أجل السيطرة على السلطتين الدينية والمدنية ، وخاصة لتوحيد إيطاليا سياسيا تحت قيادة بابا روما ، وإضفاء سيادة سلطوية على روما أمام حكومات الفرنجة ، وحماية الإمبراطورية الغربية الجديدة من أية هجمات من جانب البيزنطيين ..

وكان البابا ليون التاسع أول من استخدم هذه الوثيقة المزورة بصورة علنية واضحة فى خطابه الموجه عام 1054 إلى ميخائيل سيرولاريوس ، بطريارك القسطنطينية ليوضح له أن بابا روما يمتلك رسميا السلطة الدينية والمدنية على كل الإمبراطورية. كما استخدمها البابا أوربان الثانى الذى أشعل أول حرب صليبية، وذلك فى عام 1091 ، لتدعيم مطالبه بسلطته المدنية على جزيرة كورسيكا..

وظل استخدام هذه الوثيقة المزورة ساريا أو معمولا بها حتى القرون الوسطى، واستعان بها معظم الكتّاب الكنسيين طوال القرن السادس عشر ، رغم إدانتها والكشف عن زيفها. ومع كثرة الإنتقادات ونشر الأبحاث التى تدينها شكلا وموضوعا تم التخلى عنها كوثيقة ، إلا أن المؤسسة الكنسية لم تتنازل عن مختلف المكاسب التى جنتها زورا ، بما فى ذلك تلك الثياب الفاخرة والحرائر والحلى الذهبية المرصعة بالجواهر، التى هى أبعد ما تكون عن تعاليم السيد المسيح ، ولم تقر بتزويرها إلا فى أواخر القرن التاسع عشر ..

أما فى " **القاموس التاريخى للبابوية** " ، فنطالع أن وثيقة "**هبة قسطنطين**" تعد " أشهر وثيقة مزيفة فى تاريخ البابوية " ، موضحا أن تحريرها واستخدامها بدأ منذ القرن التاسع فى روما ! فقد ورد ذكرها لأول مرة عام 979 م فى وثيقة بابوية ، وفى سنة 1053 فى مراسلات نيقولا الأول لتدعيم السلطة المدنية للبابوية. وتم دمجها فى القرارات الكنسية الرسمية الرومية .. ويا لها من مهزلة ! ومنذ عام 869 كان أسقف باريس يكتب قائلا : " أن هذه الوثيقة توجد منها نسخة فى كافة كنائس بلاد الغال " ـ طبعا للإسترشاد بها لتحقيق مزيد من المكاسب فى كل مكان من الإمبراطورية عن غير وجه حق ..

وبعد استعراض التطور التاريخى لإدانة هذه الوثيقة ، يوضح أوليفييه جيوجانين ، كاتب هذه المداخلة فى القاموس التاريخى للبابوية ، قائلا : " إن الكنيسة لم تعترف رسميا بتزييف هذه الوثيقة ولا باقى الوثائق المعروفة باسم "القرارات" المنسوبة إلى إيزيدور إلا فى أواخر القرن التاسع عشر " (صفحة 582) !

أما جوزيف هويلس فيقول : " إن كنيسة المسيح مؤسسة كذباً بأكاذيب فوق أكاذيب لتتمكن من مواصلة استتبابها وتدعيم سلطاتها المختلسة والتى جمعت بموجبها ثروات طائلة ، وذلك بفضل سلسلة من التحريف والتزوير التى لا سابقة لها فى تاريخ الإنسانية . وتعد الوثيقة المعروفة باسم " **هبة قسطنطين** " من أقذر الوثائق وأدنسها فى السجلات الإنسانية ، فى مجال التزوير والتحريف ، من أجل أغراض دنيئة بغية الإستيلاء على ثروات وسلطات مدنية " (**التحريف فى المسيحية**).

ومن ضمن هذه الوثائق المزورة التى يتناولها جوزيف هويلس ، أن هناك وثائق من أجل الحصول على مزيد من السلطات الدينية والمدنية ، ووثائق مزورة متعلقة بالقديسين و الشهداء والمعجزات ، ووثائق متعلقة بالديانات الرسولية والقوانين الرسولية ، وكتاب البابوات ، الذى يزعم تسلسل البابوات منذ القديس بولس حتى القرن الخامس عشر وثبت زيفه **!** فمعروف أن المسيحية كانت تحارب رسميا حتى القرن الرابع فى كل مكان ، فكيف يكون لها من يحتل مثل هذه المكانة الرسمية العلنية ؟ وكلها وثائق تتعدى كل ما يمكن تصوره من غش وخداع فيما يُطلق عليه "عصر الإيمان " الذى كان فى واقع الأمر هو عصر الظلمات الذى امتد الف عام .. (**التحريف فى المسيحية** ، صفحات 256-259).

ويقول المؤرخ البريطانى إدوارد جيبّون عن هذه الدعامة السحرية للسلطة البابوية الدينية والمدنية : " إن أول من استخدم هذه الوثيقة وقدمها للعالم خطاب من البابا أدريان الأول الذى راح يحث الأمبراطور شارلمان على أن يحذو حذو سخاء الإمبراطور قسطنطين إحياءً لإسمه " ليحصل على مزيد من العطايا ("**صعود وسقوط الإمبراطورية الرومانية**" صفحة 741)!.

بينما يضيف الكاتب الدكتور ماكّابى ، الوارد ذكره فى كتاب هويلس : "إن البابا أدريان الأول قد أقنع شارلمان بتأسيس الممتلكات البابوية بتزييف وثيقتين من أشهر وأكثر الوثائق المزورة خجلا وحرجاً فى التاريخ وهما "**أعمال القديس سلفستر**" و"**هبة قسطنطين**". وهما وثيقتان توضحان زورا وبهتانا أن الإمبراطور قسطنطين قد أعطى معظم إيطاليا تقريبا هبة للبابوية ، وهى وثائق تم تزويرها فى القرن الثامن واستخدمها البابوات للحصول على هذه العطايا المهولة".

أما اللورد برايس فيقول فى كتابه عن " **الإمبراطورية الرومانية المقدسة** " حول هذه الوثيقة : " أنها من أكبر عمليات التزوير فى القرون الوسطى والتى تحت زعم أنها هبة من قسطنطين ، قد تحكمت لمدة سبعة قرون فى معتقدات الجنس البشرى والتى تُعد أكبر دليل على فساد رجال الدين فيما بين القرن الثامن والعاشر"...

وأكثر ما يشير إليه الذين تناولوا هذه الوثيقة بالبحث لإثبات زيفها ، إضافة إلى كل ما عُرف عنها وتم إثباته ، أن قسطنطين قد إعتنق المسيحية عام 312 قبل أن يعتلى المدعو سلفستر الأول كرسى البابوية ، وإن قسطنطين لم يُصب أبدا بالطاعون، وبالتالى فإن بدعة صلوات البابا سلفستر التى شفته لا مكان ولا ضرورة لها ، وأن قسطنطين لم يتم تعميده فى روما على أيدى البابا سيلفستر وإنما إعتنق المسيحية بعد وفاة الأخير بعامين ، وفى مدينة نيكومديا وليس فى

روما ، قبيل وفاته مباشرة أى وهو على فراش الموت على يد قس يتبع مذهب الأريوسية ، أى من الرافضين لعملية تاليه المسيح ! ..

وقد إنتفت مصداقية هذه الوثيقة تماما ببنادق الوطنيين الإيطاليين عام 1870 حينما تم استعادة الأراضى التى استولى عليها الكرسى الرسولى وتم توحيد إيطاليا وتحديد مقر الفاتيكان فى مساحته الحالية .

وعلى الرغم من صغر حجم المساحة التى أصبح يحتلها الآن ، وهى 44 هكتارا ، أى أقل من نصف كيلومتر مربع ، فإنه يقيم علاقات دبلوماسية مع 179 دولة ، كان آخرها ماليزيا التى وقعت على الإتفاقية فى يوليو 2011 ، إضافة إلى الإتحاد الأوروبى والنظام العسكرى السيادى لمالطة (فرسان المعبد) وعلاقات ذات طبيعة خاصة مع الإتحادات الروسية (سابقا) ومنظمة تحرير فلسطين ، كما يساهم فى نشاطات العديد من المنظمات العادية والمنظمات الدولية وبين الحكومات ، سواء بعضوية عاملة أو مجرد مراقب ، وهى أكثر من 33 منظمة ، تُستخدم جميعها كمداخل للتبشير! وهو ما يوضح مدى تغلغل تلك المؤسسة الفاتيكانية ، فى المجتمع الدولى ، ومدى تشبثه بالسلطة المدنية القائمة على ذلك التل من الأكاذيب المتراكمة عبر العصور !..

♦ إتفاقيات لاتران

تم توقيع إتفاقيات لاتران يوم 11 فبراير 1929 ، فى قصر لاتران الذى عُرفت هذه الإتفاقيات بإسمه ، بين الحكومة الإيطالية ممثلة فى موسولينى ، والكرسى الرسولى ممثلا فى الكاردينال جاسبارى ، الأمين العام للبابا بيوس الحادى عشر. وتضع هذه الإتفاقيات حداً لما عُرف بإسم "المسألة الرومية" ، التى ظلت قائمة منذ عام سابق على تأميم ممالك الفاتيكان سنة 1870. وتقوم هذه الإتفاقيات بإسترداد المقاطعات والبلدان التى كانت الكنيسة قد استولت عليها على مر العصور وتقليص الأطماع البابوية الدنيوية إلى مجرد "دولة مدينة الفاتيكان"، وإن كان الأصوب أن يُطلق عليها "دويلة الفاتيكان" ! وفى المقابل فرضت الكنيسة بموجب هذه الإتفاقية أن يتم الإعتراف بأن الكاثوليكية ديانة رسمية لإيطاليا.

ففى عام 1870 قام الجنرال كادورنا بغزو الممالك البابوية ، مما اضطر البابا بيوس التاسع إلى الإحتماء فى الفاتيكان وإعتبار نفسه سجيناً. وبعد عام أقر البرلمان الإيطالى "قانون الضمانات" لضمان إمتيازات البابا، لكن البابا رفضها وظل الخلاف قائما لمدة ستين عاما ، ولم يتم حسمه

إلا فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، بالتقارب بين الكنيسة والحكومة الإيطالية وتنظيم الأحرار المعتدلين وعودة الكاثوليك إلى الحياة السياسية.

ومع صعود الفاشية تحالفت الكنيسة مع المكونات المحافظة للفاشية ، وهو ما انعكس على التعديل الكنسى الذى حدث فيما بين 1923 و1925 لصالح الكنيسة. وهى الأعوام التى تزايدت فيها معارك العنف بين بعض المنظمات السياسية والكنسية والدولة. وفى عام 1926 بدأت المباحثات بين الحكومة الإيطالية والكنيسة ، و التى أدت إلى توقيع الإتفاقيات بينهما. وتتضمن هذه الإتفاقيات ثلاث وثائق مختلفة :

* معاهدة سياسية تحسم الخلاف المعروف باسم "المسألة الرومية".

* إتفاقية مالية لتعويض الكرسى الرسولى عن فقدان ممالكه.

* إتفاقية تحدد وضع الكنيسة فى الدولة وتنص على أن الكاثوليكية ديانة الدولة.

الإتفاقية السياسية :

يقبل البابا دولة مدينة الفاتيكان التى تعترف له الحكومة الإيطالية بالملكية والسيادة المطلقة عليها. وأنه لا يحق للحكومة الإيطالية أية تدخلات فى "دولة مدينة الفاتيكان". وفى مقابل ذلك يتنازل الكرسى الرسولى عن الممالك البابوية بأسرها ، ويعترف بالمملكة الإيطالية وبأن روما عاصمتها. من ناحية أخرى قامت إيطاليا باعتبار روما "مدينة مقدسة". وذلك يعنى أنه فى حالة نشوب أية معارك فإن الحكومة الإيطالية تقوم بحماية الفاتيكان !

كما تنص الإتفاقية على أنه يحق للدولة الجديدة تزويدها بالخدمات العامة كمحطة سكة حديد ، وخدمات بريدية ، وعملة خاصة بها وهى الليرة الفاتيكانية ، وكيان صحفى ومحطة إذاعية وتليفزيونية مع حقها فى الإرسال. وبذلك أصبح الفاتيكان هو أداة الكرسى الرسولى، وله حق دولى ، ويتم تعريفه كمجمل المؤسسات الكاثوليكية العليا.

وتم الإعتراف للبابا بالسلطة الزمانية على الفاتيكان ، بكل ما تتمتع به من سلطات ، وهى : السلطة التشريعية ، والتنفيذية ، والقانونية. أى ان البابا يمتلك من السلطات والإمكانيات ما تمتلكه اى دولة متكاملة الأركان من الناحية الدنيوية والدينية من مؤسسات.

الإتفاقية المالية :

بعد ضياع الممالك البابوية تعرض الكرسى الرسولى لموقف متأزم من الناحية المالية إذ قلّت موارده. فما كان من الكنيسة إلا ان فرضت ما أطلقت عليه "فلس القديس بطرس" على كافة

الأتباع فى جميع أنحاء العالم .. وهو ما يتم دفعه للآن حيث أنها لم تُصدر بيانا بإلغائه ! وفى عام1871 نص "قانون الضمانات" على منح الكرسى الرسولى مليارات من الليرات كتعويض عن الممالك البابوية والممتلكات الكنسية ، وهو ما يعادل تسعين مليون دولار. إلا أن كافة البابوات قد رفضوا هذا المبلغ ، وذلك منذ عام 1871 حتى توقيع إتفاقيات لاتران عام 1929، حينما قام موسولينى بعرض إضافة الفوائد لهذا المبلغ، مما رفعه إلى أربعة مليارات.

الإتفاقية الدينية :

تنص الإتفاقية الدينية على أن تكون الكاثوليكية هى الديانة الرسمية لإيطاليا ، وعلى الإعتراف بالأحكام الكنسية فى المجال الدينى والعقوبات ، وبذلك فإن أى قس يتخلى عن ديانته لا يمكنه الحصول على وظيفة فى الدولة المدنية ، كما نصّت على أن يكون التعليم الدينى الكاثوليكى إجباريا فى كافة المستويات المدرسية ، أى حتى الثانوية العامة. كما نصّت الدولة أن يكون من حقها تعيين بعض الأساقفة ، أى أن يقسم الأساقفة بالولاء للحكومة الإيطالية ، التى نصت على تحريم أى نشاط سياسى للكنيسة أو التعامل مع أى حزب. وكان هدف موسولينى من ذلك عدم عودة إنشاء الحزب الكاثوليكى مرة أخرى.

وبعد الحرب العالمية الثانية قامت الجمهورية الإيطالية الجديدة بالإعتراف بالجزء الخاص بالمسألة الرومية ، إلا أن البند السابع من الدستور الجديد يفصل الدين عن الدولة ، مثلما فعلت فرنسا عام 1905. ولم يعد من حق الكنيسة السلطة الزمانية التى تخولها حق تطبيق الكاثوليكية على المجتمع. وبذلك أصبحت الدولة الإيطالية الجديدة تعترف بدولة الفاتيكان لكنها لم تعد تسمح بالقوانين الكاثوليكية. ولأول مرة منذ الإمبراطورية الرومانية لم تعد شبه الجزيرة الإيطالية خاضعة للسلطة الدينية للكرسى الرسولى ..

ونطالع فى كتاب بول ويليامز "**ملفات الفاتيكان السوداء**"، الصادر أواخر 2010 ، موجزا له مغزاه عند تلخيصه لملفات الفاتيكان المختلفة قائلا : "أن الفاتيكان يمتلك ثروة تقدر بخمسين مليار دولار فى شكل سندات، وإحطياطى من الذهب يفوق ما تمتلكه كثير من الدول الصناعية، وعقارات تصل مساحاتها إلى أكثر من مساحة كثير من الدول، وقصور تحتوى على أكبر الكنوز والتحف الفنية فى العالم، وأن ثروات الكنيسة الكاثوليكية طائلة.. وفى عام 1929 ، كان الفاتيكان على وشك الإفلاس، وعندئذ قرر البابا بيوس الحادى عشر توقيع معاهدة مع الرئيس الفاشى بنيتو موسولينى. وبموجب هذه الإتفاقية حصل موسولينى على مساندة الكنيسة ، الشديدة التأثير لدى الشعب الإيطالى، بينما حصل الفاتيكان فى مقابل ذلك على تسعين مليون دولار، والإعتراف بدولة ذات سيادة، وحقوق ملكيات غير خاضعة للضرائب، ومرتبات مضمونة

تدفعها الدولة لكل قساوسة البلد. وهكذا قام البابا بحل كافة المشاكل المالية مقابل خضوع الكنيسة لأحد الأنظمة التى سرعان ما دفعت بأوروبا إلى حرب دامية" ..

ويقدم پول ويليامز فى هذا الكتاب أدلة جديدة ووثائق لم تنشر من قبل حول الإتفاقيات المالية المشبوهة التى وقعتها الكنيسة الكاثوليكية. كما يبحث العلاقة بين رصيد الذهب النازى وبنك الفاتيكان، وتبعية البابا بولس السادس تجاه ميشيل سيدونا، أحد رؤساء المافيا المعروفين على مستوى العالم، وتزوير مليار دولار من المسندات التى إكتشفتها مكتب التحقيقات الفيدرالى والإنتربول ، وفضيحة بنك إمبروزيانو التى سنراها بالتفصيل لاحقا، ووفاة البابا يوحنا بولس الأول بصورة غامضة، والذى اختفت كل متعلقاته الشخصية فور وفاته بينما رفض المسئولون فى الفاتيكان السماح بتشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة، وتطاير تجارة المخدرات بين الفاتيكان وميناء جدانسك، فى بولندا، أيام تولى البابا يوحنا بولس الثانى للفاتيكان والذى تولى عملية إسقاط الإتحاد السوفييتى بإختلاقه حزب "تضامن" (سوليدارنوشتش) البولندى ..

وما سمح له بتقديم هذه المعلومات والوثائق الجديدة أنه لا يشغل منصب أستاذ تاريخ الأديان فى جامعة درو فحسب، أو أنه قام بتدريس الدين والفلسفة فى جامعة سكرانتون ، وإنما لأنه عمل لمدة سبع سنوات كخبير إستشارى لدى مكتب التحقيقات الفيدرالى بالولايات المتحدة حول مسائل الإرهاب. ومن الواضح هنا أنه تخصص فى الإرهاب الكنسى وخاصة الفاتيكانى !

♦ <u>تاريخ دولة الفاتيكان</u>

تكونت قوة السلطة الدينية للفاتيكان عبر التاريخ ، إعتمادا على الكثير من الخدع والتحريف والوثائق المزورة ، وأهمها "وثيقة هبة قسطنطين"، كما رأينا ، وتكونت على ضياع السلطة البيزنطية ، وتزايد السلطة البابوية ، وعلى اعتراف شارلمان بها عام 774 ، وتزايد النظام الإقطاعى ، وإنتقال السلطة البابوية الى مدينة آفينيون بفرنسا ، وإلى تطور هذه السلطة الى سيادة إقطاعية مطلقة فى القرن الخامس عشر. وقد قامت الثورة الفرنسية بوضع حدٍ لها عام 1791 ، وتبعتها إيطاليا عام 1797. وقد وافق مؤتمر فيينا عام 1815 بعودة البابا الى مقره والإعتراف به "ملكا" على الدولة البابوية ! واندلعت المعارك بين البابا والسلطات الإيطالية بسبب توسعاته الأرضية ولم تنته إلا بمعاهدات لاتران التى نزعت منه كل توسعاته الأرضية.

وقد بدأ التاريخ الدبلوماسى للفاتيكان فى القرن الرابع وتطورت حدود السلطة البابوية مع الأيام. وقام البابوات لأكثر من الف عام بقيادة مصير شبه الجزيرة الإيطالية بما فيها مدينة روما. ويكمن التبرير التاريخى لهذه السلطة الزمانية فى **"وثيقة هبة قسطنطين"** ، وهى وثيقة زورتها المؤسسة الكنسية للإستيلاء على السلطتين : الدينية والمدنية. وهى كما طالعنا وثيقة زعم البابا سيلفستر أن الإمبراطور قسطنطين قد منحه السيادة المطلقة على كنائس الشرق والسلطة الإمبراطورية على الغرب.. وقد ثبت زيف هذه الوثيقة عام 1442.

ففى منتصف القرن التاسع عشر كان البابوات يمتلكون مقاطعات إيطاليا تقريبا ، وفى عام 1860 ، بعد معارك وحروب قامت جيوش الملك إمانويل باحتلال الممالك البابوية ، ولم يُترك للبابا إلا مدينة روما ومنطقتها الساحلية.. وبعد عشر سنوات إستولى فيكتور إمانويل ، ملك إيطاليا، على مدينة روما وأعلنها عاصمة إيطاليا الجديدة. و بذلك إنتهت السلطة الزمانية للبابا. واحتج البابا ومن تبعه من بابوات ، معتبرين أنفسهم "سجناء الفاتيكان".

وفى هذه الفترة بدأت صراعات الكنيسة مع العلمانية المتزايدة فى أوروبا، وقام البابا بيوس العاشر بتجميد العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة الفرنسية. وفى أول سبتمبر 1910 قام بفرض القَسَم ضد الحداثة على كافة القساوسة.

وخلال الحرب العالمية الأولى وتحت إلحاح من الحكومة الإيطالية ، قامت حكومات الحلفاء بإستبعاد الفاتيكان من حضور الإجتماعات المتعلقة بفترة ما بعد الحرب. وفى أول أغسطس كان بنديكت الخامس عشر قد اقترح خطة سلام من خمس نقاط ، تجاهلها المجتمع الدولى.

وفى عام 1929 أنهت إتفاقيات لاتران المعركة المعروفة باسم "المسألة الرومية". وهو ما نتج عنه إنشاء دولة الفاتيكان المستقلة كتعويض عن ضياع الممالك البابوية. وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ الفاتيكان عملية مصالحة مع المجتمع المدنى بلغت ذروتها بانعقاد مجمع الفاتيكان الثانى (1962 – 1965) الذى يعتبرونه تمهيدا للألفية الثالثة وتنصير العالم.

وفى العاشر من يناير 1982 أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين الفاتيكان والحكومة الأمريكية، وكانت قد توقفت منذ عام 1967. وفى الثلاثين من شهر ديسمبر 1993 قامت حكومة الفاتيكان بالإعتراف بالكيان الصهيونى المحتل لأرض فلسطين وتوقيع إتفاق مبدئى مع الحكومة الإسرائيلية. ولولا تبرأة الفاتيكان لليهود من دم المسيح – كما كانوا يرددونها على مدى ألفى عام، وذلك فى أحد قرارات المجمع الفاتيكان الثانى (1965) ، لما استطاع الكيان الصهيونى المحتل لأرض فلسطين أن تقوم له قائمة . لأنه حتى ذلك الوقت ، أى حتى إعتراف الفاتيكان به

كانت هناك عدة دول ترفض قبول هذه الدولة المحتلة رسمياً لأرض غيرها. وهو ما يكشف عن ثقل الفاتيكان السياسى وقوة نفوذه ، بل ومدى تدخلاته فى نظام السياسة الدولية.

♦ السياسة الخارجية للفاتيكان

دبلوماسية الكرسى الرسولى تعنى نشاط المفاوضات الدولية للكنيسة الكاثوليكية. وكانت الدبلوماسية البابوية قد مارست العديد من المرات موقف الحَكَم بين ملوك أو رؤساء أوروبيين قبل عصر الإصلاح أو عصر التنوير. وقد بدأ نشاط دبلوماسية الكرسى الرسولى فى القرن الحادى عشر ، عندما بدأ البابا إرسال سفراء له فى مختلف الممالك المسيحية. وذلك ليمنح القساوسة المحليين مساحة أكبر من الحركة حيال السلطات المدنية المحلية. ومنذ القرن السادس عشر بدأت إقامة السفارات الرسولية ، يترأسها أحد الأساقفة من روما.

وقد بدأ توجيه الإنتقادات لسلطة الكرسى الرسولى منذ عصر التنوير ، لكنه ظل ولا يزال ممثلا على المسرح السياسى العالمى بلا أى إعتراض حاسم ، واستتبت شرعية الدبلوماسية البابوية بأمر الواقع وبموجب المعاهدات التى يقوم بإبرامها.. ومنذ إتفاقيات لاتران تم الإعتراف كاملا بنفوذ الكرسى الرسولى مثله مثل باقى الدول – حتى وإن لم يكن فى الواقع سوى مجرد حكومة قائمة، بصورة تجريدية، على دولة لا وجود لها على أرض الواقع .. وهو حاليا السلطة الوحيدة التى تتمتع بمثل هذا الحق الدولى العام.

دولة رمزية تمثل كيانا إستقلالياً :

لفهم كيان هذه المؤسسة الملتوية لا بد من التفرقة تماما بين دولة الفاتيكان والكرسى الرسولى :

1 – **الكرسى الرسولى** هو السيادة المجردة أو المطلقة للبابا على الكاثوليك الذين يصل تعدادهم حاليا إلى مليار ومائة الف نسمة تقريبا. وهذه المؤسسة، حتى وإن لم تكن تمتلك أية أراضى ، فهى معترف بها من كافة المنظمات الدولية.

2 – **دولة مدينة الفاتيكان**، وهى أصغر دولة فى العالم إذ تبلغ مساحتها أقل من نصف الكيلومتر المربع، وتقوم بمهمة مساندة نشاط الكرسى الرسولى والحفاظ على تراثه الدينى والفنى

والثقافى. والبابا يمثل السلطة العليا المطلقة ، المدنية والدينية ، ممسكا بكل أشكال السلطة التشريعية والقانونية والتنفيذية. أى ان الفاتيكان هو وسيلة تأكيد حرية وإستقلالية الكنيسة الكاثوليكية وخاصة الكنيسة العالمية التى يسعى الفاتيكان إلى إنشائها على الأرض وفقا لكاثوليكية روما.

وفى مطلع القرن العشرين ، كانت طموحات الكرسى الرسولى تتلخص فى الحصول على إعتراف دولى وسيادة مطلقة ، تلخصت فى إتفاقيات لاتران عام 1929، بين الدولة الإيطالية والكرسى الرسولى. وهى الإتفاقيات التى تحدد الكيان الدولى للبابوية فى هاتين المادتين :

المادة 2 : "إيطاليا تعترف بسيادة الكرسى الرسولى فى المجال الدولى بصفة متضمنة لطبيعته ، بالتوافق مع تراثه ومتطلبات رسالته فى العالم" ؛

المادة 3 : إيطاليا تعترف للكرسى الرسولى بالملكية التامة والسلطة الخاصة والمطلقة والتشريع السيادى على الفاتيكان كما هو مكوّن حاليا بكل تبعياته وأوقافه " ؛

وبموجب هذه الإعترافات نتج كيان غريب متفرد فى المجتمع الدولى ، عبارة عن دولة بلا دولة وبلا شعب، نظرا لصغر المساحة الفعلية ، لكنها عبارة عن دولة ودعامة جبارة لخدمة منظمة هى أكثر من قومية، فلا شعب محدد لها ، لأن من تترأسه هو شعب متناثر بين الشعوب، بلا جنسية واحدة وإنما بجنسيات متعددة. انها مواطنة مرتبطة بممارسة وظيفة ما أو عقيدة بعينها. وفى نفس الوقت فإن هذه الإتفاقيات تمنح قائد هذه الديانة المتعددة الجنسيات ، الذين هم أتباع الكنيسة ، سلطة ومهام رئيس دولة ! ويا له من تحايل ، يدركه الكثيرون فى المجال السياسى والإجتماعى لكن ما من أحد يتكلم طالما الوضع يخدم المصالح المتبادلة ..

وذلك التداخل الغريب بين دولة الفاتيكان والكرسى الرسولى يجعل من الصعب تحديد معالم السيادة الحقيقية بين الإثنين. فإذا كانت دولة الفاتيكان تملك بعض الحصانات بموجب القوانين الدولية ، فإن الكرسى الرسولى بموجب قوانين أخرى معترف بها ينعم بتسهيلات مرادفة تتساوى مع الأخرى. وبذلك فإن إتفاقيات لاتران قد خلقت موقفا مزدوجاً قائم على اللعب والتحايل : لأن شخصية البابا تجمع بإزدواجية خاصة ، فهو يتمتع بسيادة دينية على الصعيد العالمى ، وبسيادة دنيوية على الصعيد العالمى أيضا ، والإثنتان تتم ممارستهما من خلال الكرسى الرسولى !

لذلك عندما يمارس الكرسى الرسولى نشاطا فى إطار القانون الدولى ، من الأفضل تمييز الحالات التى يتصرف فيها كمؤسسة للكنيسة الكاثوليكية عن تلك التى يمارسها كجهاز فى دولة

الفاتيكان. وعلى العكس من ذلك ، إذا قام الكرسى الرسولى بتوقيع معاهدة بابوية مع دولة ما فذلك يعنى أنها علاقات بين دولة ما والكنيسة الكاثوليكية. أما إذا قام بتوقيع إتفاقيات تقنية كإتحاد البريد العالمى ، فذلك يعنى أنه يتصرف كسلطة عليا لدولة الفاتيكان. وعندما يمارس الكرسى الرسولى حقه فى تعيين ممثلين له وقبول ممثلين من دول أخرى لديه ، فهو يتصرف بموجب سيادته المزدوجة. فهى من ناحية متعلقة بعلاقات بين رئيس دولة الفاتيكان ورئيس الكرسى الرسولى – الذى هو نفسه فى جميع الأحوال !! أى ان إتفاقيات لاتران تعطى بصورة متفردة بعداً زمانياً كدولة لعقيدة دينية تسمح لها بالتصرف المباشر على الصعيد الدولى !.

دبلوماسية شديدة التنظيم والتداخل فى العلاقات الدولية :

رأينا ان الكرسى الرسولى هو السلطة العليا للكنيسة ورئيسه البابا ، وهو محاط بحكومة فعلية. وبحكم وضعه الخاص فإن الكرسى الرسولى هو الذى يتولى مهام العلاقات الدبلوماسية وليس دولة مدينة الفاتيكان. وهذه الدبلوماسية تعتمد على تنظيم مؤسسى شديد الأهمية. تترأسه الأمانة العامة بقيادة أحد الكرادلة الذى يقوم بدور رئيس الوزراء ، ويقود أيضا الكيان الدبلوماسى.

ورجال الدبلوماسية البابوية قساوسة من مختلف الجنسيات ، تم تكوينهم فى الأكاديمية البابوية الإكليروسية. وهذه الشبكة الدبلوماسية للكرسى الرسولى تغطى جميع أنحاء العالم ، إذ أنه يحاول إقامة علاقات مع جميع الدول أياً كانت أنظمتها السياسية أو الدينية.

والكرسى الرسولى لا يمارس سلطاته من خلال كنائسه المنتشرة فى جميع أنحاء العالم فحسب، وإنما من خلال قنوات متعددة تسمح له بممارسة سلطاته من خلال عضويته فى مجموعة الأمم المتحدة. أى ان الكيان الممثل فى كل هذه الهيئات والمنظمات هو كيان دينى وليس دولة الفاتيكان. فهل مثل هذه السلطة الدينية من المعقول أن توجد أو أن تتصدر وتتحكم فى قرارات مختلف المنظمات الدولية ؟ فالسؤال الذى يبدو لا إجابة له هو : كيف تقبل كل الدول ، بما فيها الدول الإسلامية ، بمثل هذا الوضع الذى أقل ما يقال فيه أنه غير شرعى ؟!

فحتى لو لم يكن الكرسى الرسولى يوجد كعضو مراقب ، أى ليس له الحق فى الإنتخاب ، وليس عضواً فعالا ، فإن من حقه حضور كافة الإجتماعات والإطلاع على كافة الوثائق وتقديم مذكرات بل وأن يتحدث ويفتى برأيه وبالتالى يؤثر على غيره ! أى أن كافة إمكانيات التدخل فى الشئون الدولية متاحة للأهداف التى تصبوا إليها الكنيسة الكاثوليكية أو تود طرحها على المستوى الدينى والأخلاقى. وهو وضع لا يمكن أن يوصف إلا بأنه إمكانية تدخل مغرضة فى

كافة القضايا الدولية على المستوى الدينى والسياسى والإجتماعى والأخلاقى.. فكل هذه الإمتيازات المتفردة المتاحة لدين دون غيره من الأديان بحاجة إلى مراجعة على كافة الأصعدة.

والكرسى الرسولى يتمتع بإمكانيات مهولة للتأثير على الجماهير بفضل شبكة "راديو فاتيكان" الذى يغطى العالم أجمع بأربعين لغة ، ببرامج دينية وثقافية وموسيقية موجهة ، إضافة إلى شبكة تليفزيونية بكفاءة مميزة إذ أن الفاتيكان له القمر الصناعى الخاص به "لومن 2000" ، كما افتتح البابا رسميا سنة 2011 الشبكة الإلكترونية (الإنترنت) للإستعانة بها ضمن وسائله المتعددة للإتصالات لإستخدامها فى عمليات التبشير الجديد. وذلك إضافة إلى شبكة يصعب حصرها من المنظمات التى تغطى كل المجالات المختلفة، وكل الأعمار، وكل الفئات ، وخاصة المنظمات ذات الطابع الإنسانى شكلا لأن جميعها تُستخدم كمداخل للتنصير. وبفضل هذه القنوات يمتلك الكرسى الرسولى أداة متفردة للتأثير على المجتمعات الدولية وعلى المنظمات غير الحكومية أو العالمية.

ومن الصعب تصور طبيعة دبلوماسية الكرسى الرسولى ، لكنه فى واقع الأمر يجيد التوغل ويجيد التحالف حتى مع الشيطان ليصل إلى مآربه .. وأوضح مثال على ذلك ضلوعه فى إنهيار الكتلة الشرقية وخاصة فى إنهيار الإتحاد السوفييتى. فقد تم ذلك الإنهيار بلا أية تدخلات حربية أو عسكرية وإنما بتدخلات الفاتيكان عبر إنشاء منظمة تضامن فى بولندا وإختلاق العام المريَمى. وهو ما يكشف عن مدى قوة الكنيسة الكاثوليكية فى العلاقات الدولية.

وتشير التقارير السرية للإدارة الأمريكية إلى مدى الأهمية التى تضفيها هذه الإدارة على ثقل الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية فى العلاقات الدولية. وترجع هذه الأهمية إلى الدور الذى يلعبه البابا فى البلدان المسيحية وإلى التأثير الذى يقوم به على معظم بلدان العالم. لذلك تنظر الولايات المتحدة إلى الفاتيكان على أنه يمكنها الإعتماد عليه لحل بعض المشكلات الجغرافية-السياسية. ففى جمهورية الصين الشعبية مثلا تمثل العلاقات بين الفاتيكان والكنيسة الصينية مصدراً هاما لجمع المعلومات حول المنشقين أو المعارضين، وحول حقوق الإنسان وحرية العقيدة ومدى سيطرة الحكومة على الشعب !

قوة معنوية ودينية فى خدمة الكاثوليكية :

لقد أدى حرمان الكنيسة الكاثوليكية من ممالكها الأرضية التى كان من الصعب عليها حمايتها لإتساعها ، وكل ما أدت إليه معاهدات لاتران ، إلى فتح بوابة التدخل فى الشئون الدولية

والتحكم فيها بواسطة شبكاتها ومؤسساتها المتعددة ، لتمارس سلطات لا حدود لها ولا علاقة لها بالحدود الجغرافية.

ودبلوماسية الكرسى الرسولى موجودة وفعالة فى المجتمع الدولى منذ حوالى ألف وستمائة عام تقريبا، بصورة ممتدة ، متواصلة ومتصاعدة. وقد أدى تزايد التمثيل الدبلوماسى بين الكرسى الرسولى ومعظم بلدان العالم بحيث أصبح له 132 ممثلا بين ال 189 دولة الأعضاء فى الأمم المتحدة. وتُعد الصين وفيتنام من البلدان التى لم توقع معه معاهدات دبلوماسية . وفى 23 نوفمبر 2007 إبتدعت دبلوماسية الفاتيكان جماعة ضغط على الصعيد العالمى على هيئة منتدى "منظمات مسيحية غير حكومية " تحت إدارة الأمين العام والمراقب الدائم لدى هيئة الأمم المتحدة.

ولكى ندرك مدى أهمية تلك المنظمات التى ينشئها الفاتيكان ، نضرب مثالا بما يسمى "منظمة العمل الكاثوليكى" التى تم إنشاؤها عام 1924 بهدف مزدوج : تكوين منصرين جدد بتدعيم العقيدة فى هذه التجمعات ؛ ونشر الرؤية الإجتماعية الكاثوليكية فى هذه الأوساط . ومنظمة العمل الكاثوليكى هذه قائمة على أربعة تفريعات أساسية : رجال ، نساء ، بنين ، بنات. وتشعبت المنظمة منذ أولى خطواتها لتضم على سبيل المثال : الشبيبة العمالية المسيحية ؛ شبيبة المزارعين المسيحية ؛ شبيبة الطلبة المسيحية ؛ شبيبة البحرية المسيحية ؛ الشبيبة المستقلة المسيحية ؛ العمل العمّالى الكاثوليكى ؛ الشبيبة الكاثوليكية للطفولة ؛ الشبيبة الكاثوليكية للأوساط المستقلة ؛ شبيبة العمال المسيحية الدولية ؛ لنعايش الإنجيل سويا اليوم ؛ مسيحيون فى عالم الريف ، الخ.. وإذا أضفنا الى ذلك مختلف المنظمات المتعلقة بكل شريحة إجتماعية ، فى التدرج الهرمى لكل طبقة لأدركنا كيفية ومدى تغلغل الفاتيكان فى حياتنا ..

ومن أهم مكونات هذه القوة التى قد لا يتخيلها إنسان : تعداد الكاثوليك فى العالم ؛ وان معظم الكاثوليك يعيشون فى دول متقدمة وبالتالى يمكنهم التأثير الفعلى ؛ والكنيسة الكاثوليكية لها أتباع فى جميع أنحاء العالم تقوم بتجنيد الآلاف بل الملايين منهم ؛ وتتمتع الكنيسة الكاثوليكية بمنظمات شديدة التنظيم تختص كل منها أو كل مجموعة منها بشريحة إجتماعية معينة ؛ مما يسمح للكنيسة الكاثوليكية أن تكون شديدة التدخل فى كافة الشئون السياسية والإجتماعية فى جميع بلدان العالم ؛ وهى ذات وجهان يسمحان لها بالتحكم أكثر من غيرها : المؤسسة الدينية التى هى الكرسى الرسولى ، والقوة السياسية التى هى الفاتيكان ، والبابا يترأسهما بلا منازع !.

والفاتيكان هو فى آن واحد : مقر البابا فى دولة حرة ذات سيادة ؛ وهو حكومة الكنيسة الكاثوليكية ؛ وأكبر قوة دبلوماسية سياسية فى العالم. وكل وجه من هذه الأوجه الثلاثة بمثابة

جزء لا يتجزأ من الكنيسة الكاثوليكية ، وإن كان عدد سكانه أقل من الألف نسمة ، فهو يترأس ويقود أكبر تعداد متناثر فى جميع أنحاء العالم. والفاتيكان لا يمتلك جيشا رسميا أو نظاميا بمعنى الكلمة ، لكنه يمتلك من المؤسسات والهيئات والجمعيات ما يوازى أو يفوق عدة جيوش نظامية مجتمعة. وتعتمد القوة التنفيذية فى هذه الكنيسة الكاثوليكية على ثلاثة تنظيمات إجمالية : سكرتارية الدولة ؛ مجمع الكرادلة ؛ والمنظمات البابوية ، وجميعها تحت رئاسة البابا. فهو الرئيس المطلق للشئون الدينية والأخلاقية والإدارية والدبلوماسية والسياسية، وتعد رغباته بمثابة القانون الأعلى على الجميع ..

♦ التدخلات السياسية للفاتيكان

من الناحية القانونية فإن دولة مدينة الفاتيكان لا سياسة خارجية لها. والكرسى الرسولى ، المنفصل رسميا عن الفاتيكان ، له سياسة خارجية واضحة ويساهم فى المنظمات الدولية ويقوم بتوقيع المعاهدات . ولا يسع المجال هنا لتناول كافة التدخلات السياسية للفاتيكان وكلها باتت معروفة ومسجلة فى حقه بمئآت المراجع وبتفاصيل شديدة الغرابة، تصل أحيانا إلى ذكر المبالغ التى تم إنفاقها لتنفيذ هذه التدخلات. لكننا نضرب مثلا فى عجالة عن أشهر تدخلاته المفضوحة : تدخله فى انهيار الكتلة الشرقة ، وفى الحرب الأهلية فى رواندا.

تفتيت الكتلة الشرقية :

إن مسئولية الفاتيكان فى تفكيك الكتلة الشرقية أوتفكيك إتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفييتية لم تعد خافية على أحد بعد كل ما تمت كتابته من أعمال جادة. وسوف نرى ذلك من زاوية أخرى أثناء جلسات المَجْمَعْ وقراراته. أما من خارج المجمع، فقد بدأ ذلك من خلال إختلاق كلمة Ostpolitik الألمانية وتعنى "السياسة تجاه الشرق". وهى الكلمة التى اطلقها المستشار الألمانى ويلى براندت على سياسته الخارجية ، والتى قرر تبنيها فى 28 اكتوبر 1969 ، ليتم من خلالها إقامة سياسة تقارب بين ألمانيا الغربية وإتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفييتية. وكانت هذه الخطوة مواكبة لسياسة البابا بولس السادس ، ومن بعده سياسة البابا يوحنا بولس الثانى ، التى تهدف إلى زعزعة الإتحاد السوفييتى من أطرافه ومن الداخل فى آن

واحد ، مستعينا ببدعة الحوار التى إبتدعها المجمع الفاتيكانى الثانى كستار أكثر وقاراً بدلا من السب والتجريح العلنى ..

ومن أهم أولى إنجازات هذه السياسة المنفتحة على الشرق كانت معاهدة موسكو فى 12 أغسطس 1970 ، والأخرى مع الجمهورية الشعبية البولندية ، المعروفة باسم "إتفاقية وارسو"، فى 7 ديسمبر 1970. ثم تم تطبيع العلاقات بين ألمانيا الإتحادية وألمانيا الشرقية بموجب إتفاقية رباعية حول كيان مدينة برلين ، فى 3 سبتمبر 1971 ، وقد وافق الإتحاد السوفييتى بموجبها بأن يعبر الأشخاص والبضائع الموجودة بين برلين الشرقية والغربية. وتم ذلك بتوقيع الإتفاق الأساسى فى برلين الشرقية يوم 21 ديسمبر 1972 ، وهو ما أدى إلى الإعتراف المتبادل بين الألمانياتين. وفى العام التالى تم قبولهما أعضاء فى منظمة الأمم المتحدة. وفى نفس ذلك العام، وفى إطار سياسة الإنفتاح على الشرق ، قامت ألمانيا الإتحادية بتوقيع معاهدة مع تشيكوسلوفاكيا، المعروفة بمعاهدة براغ ، لتبدأ سلسلة التفتيت لتلك البلدان.

وتَدْخل مختلف هذه المعاهدات كجزء من مكونات "الحرب الباردة" التى إمتدت من 1947 إلى 1991 ، عند إنهيار الإتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية برمتها ، وإن كانت الحقبة التى تطلق عليها عبارة "الحرب الباردة الثانية" والتى تعنينا هنا فتقع فيما بين 1975 و1985 – وهو العقد الذى كان مجمع الفاتيكان الثانى قد حدده لإقتلاع اليسار. أما تفتيت الإتحاد السوفييتى ونهاية الحرب الباردة فيقع فيما بين 1988 و 1991 عندما انهار إتحاد الجمهوريات السوفييتية فعلا. ويُعتبر يوحنا بولس الثانى المحرك الأساس لسقوط حائط برلين وإنهيار الكتلة السوفييتية بما قاده من تخطيط لإختلاق حزب "**تضامن**" (سوليدارنوشتش) وإختلاق العام المريَمى ، وكلاهما تمركز فى بولندا لينتشر منها.

<u>الحرب الأهلية فى رواندا</u> :

أما تدخل الفاتيكان سياسيا فى الحرب الأهلية فى رواندا، التى راح ضحيتها حوالى مليون نسمة، فهى من أشهر التدخلات إنفضاحا حتى على صفحات الجرائد والمجلات الدولية ، لكل ما تمخضت عنه من أحداث إجرامية أبعد ما تكون عن الدين، فقد ساهم العديد من رجال الفاتيكان فى إشعال سعير هذه الحرب المرتبطة بالتبشير والتنصير أولا وأخيراً .. ففى شهر يوليو 1994 دخلت فرق الجبهة الشعبية من أجل رواندا فى كيجالى ووضعوا حدا للمعارك الجارية. وفر القتلة إلى البلدان المجاورة. وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد أقامت شبكة واسعة من الإتصلات لتسهيل عملية هروب رجالها وأتباعها الذين ساهموا فى إشعال هذا القتل العرقى والإفلات من العدالة الدولية.

ولم تتحول هذه الوقائع إلى قضية دولية إلا سنة 2001 ، عندما اكتشفت أوروبا ، وهى تشاهد مذعورة على شاشات التلفاز راهبتان من رواندا تابعتان لكنيسة الفاتيكان ، متهمتان بالمساهمة فى تلك المجزرة أمام محكمة دولية بلجيكية ! فقد أشعلتا النار بأيديهما فى أحد الهناجر بعد أن سكبتا عليه العديد من الصفائح المليئة بالبترول ، وكان بهذا الهنجر مئات الروانديين الذين حرقوا تماما وهم أحياء. وما تبين من التحقيقات فى المحكمة التى أدانتهما أن الراهبتان قد وشتا بالاجئين المختبئين فى احد هناجر الدير التابع للكنيسة، ثم أحضرتا البنزين لحرقهم !

وفى عام 1994 قامت الكنيسة بحماية وإيواء الراهبتان جرترود و كيزوتو بواسطة مؤسسة كاريتاس الدولية وأودعتهما فى أحد الأديرة فى بلجيكا ، وهناك تم إكتشاف وضعهما وتقديمهما للمحكمة. وفى عام 2001 تمت إدانتهما بقرار من محكمة بروكسل فى بلجيكا : الأولى بالسجن خمسة عشر عاما والثانية إثنى عشر عاما ، للتسبب فى إشعال النار فى 1600 لاجئ تم حرقهم أحياء فى الهنجر. ولا تعليق على ضآلة العقاب بالمقارنة بجريمة قتل عمدا بهذه البشاعة !

وكم كانت فجيعة المجتمع البلجيكى عندما اكتشف أن حالة هاتين الراهبتين ليست وحيدة ، وإنما يوجد فى بلجيكا العديد من رجال الكنيسة الذين ساهموا فى هذه المجزرة وينعمون بالحياة تحت حماية الفاتيكان ، ومنهم الأب إيمانويل روكندو المقيم فى جنيف ، والأب مارتن كباليرا المقيم فى فرنسا. وفى 13 ديسمبر 2006 نشرت جريدة "**لوموند**" الفرنسية خبر الحكم بالسجن خمسة عشر عاما على الأب أطناز سرومبا لإشتراكه فى مذبحة رواندا سنة 1994 ، حيث ساهم فى قتل أكثر من الفين من الأهالى كانوا قد إحتموا بكنيسته. فطلب من سائق البولدوزر الذى تبعه أن يدك الكنيسة على من فيها !

لقد تمت إبادة مليون قتيل ، أكثرهم من التوتسى ، الأقلية العرقية فى رواندا، وكل من حاول حمايتهم من الهوتو. كما تم إتهام البابا يوحنا بولس الثانى ، الذى توفى فى إبريل 2005 ، بأنه قام بحماية المجرمين المتورطين فى هذه المجزرة. وقد شارك رجال الكنيسة بأكثر من طريقة ، فبعضهم كان يترك الجند يدخلون الكنيسة لقتل من ظنوا أنهم فى حماها ؛ وأحيانا بالوشاية بهم ؛ وهناك من أغلق أبواب الكنيسة لعدم تمكنهم من دخولها وهو مدرك لما ينتظرهم من مصير خاجها ؛ وهناك من ساهم مباشرة !

ويعلق الكاتب كريستيان ترّاس ، رئيس تحرير مجلة "**جولياث**" الفرنسية ، فى العدد رقم 101 الصادر فى مارس/إبريل 2005 ، والمسئول عن الملف الذى أصدرته المجلة عن مجزرة رواندا فى أكثر من أربعين صفحة قائلا : "لقد فقدت الكنيسة شرفها فى هذه الحرب ، لكنها لم تكن وحدها المسئولة عن هذه المذابح ، لقد ساهمت فيها بشدة بخلق جو من التناقض الجنسى

والعرقى بين الهوتو والتوتسى. ففى البداية كانت البعثات التبشيرية الفرنسية والبلجيكية تقوم بتدليل التوتسى على أنهم من الطبقة الملكية ، وأكثر ذكاءً وأنهم يمثلون مستقبل البلاد. ومن عام 1900 إلى 1950 كانت تعتمد عليهم لترسيخ عمليات التنصير فى البلاد لتجعل من رواندا مثالا يُحتذى فى كل البلدان الإفريقية الأخرى" ..

وفى الستينات من القرن العشرين إتجه التوتسى إلى رياح الحرية التى تجتاح القارة. وهو ما لم يقره المستَعمِر البلجيكى، بما إن هذه الأقلية كانت تميل لبلدان الكتلة الشرقية، الإشتراكية التقدمية، التى تفصل الدين عن الدولة. ويوضح كريستيان ترّاس قائلا : "عندئذ لم تتحمّل الكنيسة رؤية موت نفوذها خاصة وأنها أكبر مالك للأراضى فى رواندا. وإذا ما نجح التوتسى فى تحقيق هدفهم الوطنى فإن كل شئ سيتبخر من أيدى الكنيسة. لذلك إتجهت إلى الهوتو ، الأغلبية الفقيرة ، وحثتهم للحصول على حريتهم ولجأت إلى المونسنيور بارّودين لصياغة أول دستور يؤدى إلى خلق مجتمع قائم على الأبرتهايد ، اى التفرقة العنصرية بين الهوتو والتوتسى. وقامت الكنيسة بتحويل رجالها ، رجال الدين ، إلى جنود مدججين بالسلاح، لسحق التوتسى".

وكان سقوط طائرة الرئيس هبياريمانا فى 6 إبريل 1994 بمثابة البداية الحقيقية لما أطلق عليه كريستيان ترّاس "المحرقة الإفريقية" ! وما يوآخذه على الفاتيكان هو : أنه قد ضغط تماما على الشهود ليكتموا الحقائق التى شاهدوها ، وذلك لحماية العديد من القتلة التابعين له. كما قام الفاتيكان بإعداد ملف وقدمه للمحكمة قبل إصدار الحكم على أحد أساقفته الذى تمت تبرأته عن غير وجه حق ..

وقد فضح الكاتب جان دماسين بزيمانا فى كتابه المعنون "**الكنيسة والقتل العرقى فى رواندا**" "كمّ الجرائم التى قام بها الفاتيكان لإنقاذ قساوسته ، بمختلف الرتب الكهنوتية، الذين قاموا ببشاعات لا يمكن تصورها" على حد وصفه.

ويقول رئيس تحير مجلة "**جولياث**" ما له مغزاه، حين يعرب بمرارة، عن "إن فريق الرونديين الذين تسببوا فى هذه المحرقة قد نعموا بتواطوء العديد من الآيادى الخارجية المحركة لهم ، وأولها الفاتيكان ، بالإضافة إلى كل من فرنسا وسويسرا وبلجيكا والمانيا وكندا".. ثم يوضح أنه "بصدور القرار رقم 955 فى مجلس الأمن وإنشاء محكمة عقوبات دولية متعلقة بما حدث من جرائم متعمدة فى رواندا ، لم يعد من السهل حماية هؤلاء المجرمين. لذلك بدأ المحركون الأساسيون لهذه المذبحة ، وأولهم الفاتيكان، فى ليّ الحقائق أو طمس معالمها وتقديم شهادات مزورة ، وذلك يعد من مهاراته المشهودة له بها على مر التاريخ" ..

<u>مواقف لا بد من تكرارها</u> :

ومن الواضح أن كثرة تدخلات الكرسى الرسولى غير الأمينة فى الشئون الداخلية و السياسية للبلدان، بمساندة الفاتيكان، هى التى أدت إلى ان تتجدد محاولات إستبعاده من هيئة الأمم المتحدة. ففى 21 يوليو 2007 نشرت "**الإكونوميست**" البريطانية، فى عددها الدولى، مقالا على صفحتين حول دبلوماسية الفاتيكان بعنوان "**سفراء الله**" (God's Ambassadors)، يطالب باستبعاد الفاتيكان من هيئة الأمم المتحدة، وذلك لعدم شرعية وجوده. وينتهى المقال بمطالبة الفاتيكان "بالتخلى عن وضعه الدبلوماسى الخاص وأن يكتفى بالإعلان عن أنه أكبر منظمة غير حكومية فى العالم مثل "أوكسام الدولية" أو أطباء بلا حدود" .

ولم يرق للفاتيكان مثل هذه المطالبة وقام الأمين العام للعلاقات الدولية فى الفاتيكان المونسينيور دومنيك ممبارتى، يوم 9 / 8 / 2007 ، بالرد فى جريدة "**أڤّنيرى**" اليومية الإيطالية، موضحا أن هذا الإقتراح مرفوض وأنه ربما كان ناجما نتيجة سوء فهم لموقف الكرسى الرسولى فى قلب المجتمع الدولى. ثم أوضح قائلا :

"بالفعل، مع إختفاء الممالك البابوية أصبح جليا أكثر فأكثر أن الشخصية القانونية الدولية للكرسى الرسولى مستقلة عن معيار السيادة الأرضية. وهذا الموقف قد تقبّله المجتمع الدولى بسلام، سواء من ناحية التعاملات الثنائية – فللكرسى الرسولى علاقات دبلوماسية مع 180 دولة، أو على مستوى التعاملات المتعددة الأطراف، كما يشهد بذلك القرار رقم 58/314 للجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة الصادر فى 16 يوليو 2006. وهذا القرار قد وسّع مبادرات وإمكانيات تدخل الكرسى الرسولى كمراقب دائم لدى المنظمة ؛

"وخلف هذا الإقتراح المطالب بتحويل الكرسى الرسولى إلى مجرد منظمة ، فمن الواضح أنه يوجد سوء فهم لدوره، إضافة إلى محاولة للإنتقاص من مهمته التى ليست جزئية أو متعلقة بمصالح معينة وإنما هى مهمة عالمية وتتضمن كافة أبعاد الإنسان والإنسانية (...). وأن الكرسى الرسولى فى عمله الدولى كان دائما فى خدمة خلاص الإنسان كاملا وفقا للتعاليم التى تلقاها من المسيح. ولا غرابة فى أن يحاول البعض إنتقاص مدى إنتشار صوته" !

وفى واقع الأمر، إن فكرة طرد الكرسى الرسولى من منظمة هيئة الأمم المتحدة أو من منظمات المجتمع الدولى ليست بجديدة. ففى سنة 1995 تكاتفت عدة منظمات من مختلف البلدان بقيادة منظمة "كاثوليك من أجل إختيار حر"، وهى منظمة أمريكية، وكانت الحجة التى تقدمت بها هذه الجماعات هى : "أن الكنيسة الكاثوليكية هى الديانة الوحيدة فى العالم التى لها مقعد دائم فى منظمة هيئة الأمم المتحدة، إضافة إلى إمتيازات تجعلها تتعامل وكأنها دولة من الدول أو دولة ذات سيادة ! وهو ما يعنى أن الكرسى الرسولى يمثل وضع شاذ يولد الصراعات.

ولقد بدأت محاولات إستبعاد الكرسى الرسولى من هيئة الأمم المتحدة بعد المؤتمر الدولى المنعقد فى القاهرة حول السكان، سنة 1994، والمؤتمر التالى له والمرتبط به المنعقد فى بكين حول المرأة. ففى المؤتمرين قام وفد الفاتيكان بالإعتراض على سياسة الإجهاض التى تساندها منظمة هيئة الأمم المتحدة والقوى الدولية الكبرى. ومحاولة إستبعاد الكرسى الرسولى لا تتوقف عند هيئة الأمم المتحدة وإنما إلى المنظمة الموازية لها وهى "المنظمة الدولية للإتحاد الأوروبى" حيث يحتفظ الكرسى الرسولى بمقعد مراقب وله حق التحدث وحق الإجابة، ولا يحق له التصويت. كما أنه عضو كامل فى مختلف المنظمات التابعة لهيئة الأمم المتحدة.

والمعروف أن الكرسى الرسولى يحظى بمكانة "دولة عضو مراقب دائم" فى هيئة الأمم المتحدة من 6 إبريل 1964.. أى فى نفس فترة الإعداد لمجمع الفاتيكان الثانى. وهو نفس الوضع الذى كان يماثل موقف سويسرا حتى سنوات قريبة عندما حصلت سويسرا على عضوية كاملة كدولة ذات سيادة.وما يسمح للكرسى الرسولى بأن يحظى بشخصية قانونية دولية تشبهه بكيان دولة هى شبكة علاقاته الدبلوماسية الثنائية المتزايدة. فالمعروف أن البابا يوحنا بولس الثانى عندما تولى البابوية سنة 1978، كان الكرسى الرسولى له علاقات دبلوماسية مع 84 دولة. وقد تضاعف تقريبا هذا الرقم اليوم.

لذلك يتعين على الدول الإسلامية وكبرى منظماتها الدينية أن تتكاتف وتوحد جهودها لتعمل جاهدة إن لم يكن لإستبعاد الكرسى الرسولى من منظمة هيئة الأمم المتحدة، فعلى الأقل من أجل أن تطالب بالمعاملة بالمثل، وتصر على أن يكون لها مقعدا رسميا على نفس المستوى، فى هيئة الأمم المتحدة مثل الكرسى الرسولى.

♦ الفاتيكان وطرد الشياطين !..

فى محاولة متعددة الجبهات والميادين ، يحاول الفاتيكان العودة بأتباعه إلى عصر الظلمات والقرون الوسطى والشعوذة ، بنصوص لا لبس فيها .. ففى يوم الجمعة 2007/12/28 أعلنت وكالة الأنباء الفرنسية نقلا عن المتحدث الرسمى بإسم الفاتيكان ، نفيه لما يتم تناوله فى الصحافة المسيحية من أن البابا بنديكت السادس عشر سوف يفرض تعيين طارد للشياطين فى كل كنيسة للعمل بها طول الوقت وليس فى فترات بعينها ، لطرد الشياطين من الأتباع !.

كما نفت الوزارتان المتخصصتان فى هذا المجال ، وهما لجنة عقيدة الإيمان ولجنة العبادة الإلهية ، أنه " ليست لديهم أية دراسة متعلقة بزيادة عدد طاردى الشياطين فى الفاتيكان " ، وهو ما معناه أن هذه المهنة التى يقوم بها بعض القساوسة ، موجودة بالفعل ، وأن الحديث يدور حول زيادة عدد القائمين بها..

ويقال أن من أشاع الخبر هو الأب الإيطالى جابرييل آمورث (G. Amorth)، طارد الشياطين الرسمى فى الفاتيكان وفى أبرشية روما، ومؤسس " الجمعية الدولية لطاردى الشياطين " ، التى تجاهد منذ سنوات لكى يتم توسيع هذه المهنة ونشرها وتعميمها فى كافة الكنائس الكاثوليكية !

وفى اليوم التالى ، أى فى يوم 2007/12/29 ، أعلنت جريدة "**ليبراسيون**" اليومية الفرنسية موضوعا تحت عنوان " **البابا يقرر الصراع ضد الشياطين** " !! وقد بدأ الموضوع بعبارة : "إذهب عنى ياشيطان " ، ويواصل المقال موضحا : "عبارة سوف تصبح فى كل كنيسة ، إذ أن البابا بنديكت السادس عشر يستعد لإصدار أوامره لكافة الأساقفة فى العالم لتجنيد طاردى شياطين لمحاربة الشياطين التى توجد فى بعض الأتباع أو تسيطر عليها . وفى مطلع 2008 سوف يقوم البابا بإصدار " تعليمات " بحيث يمكن لكل كاثوليكى أن يكون على مقربة منه قسا متخصصا فى أمور الشياطين . إذ أنه وفقا للأب جابرييل أمورث، رئيس طاردى الشياطين فى الفاتيكان وفى أسقفية روما ، إن الوقت جد عصيب ، فعشرات الآلاف من المسيحيين والمسيحيات يحاصرهم الشيطان ويحومون بحثا طولا وعرضا عن طارد شيطان مؤهل ! ففى إيطاليا عددهم 300 قسا متخصصا فى هذا المجال ويعملون نصف الوقت " . ثم يواصل كبير طاردى الشياطين قائلا : " لله الحمد لدينا بابا قد قرر الصراع ضد الشياطين ، إذ أن بنديكت السادس عشر يؤمن فعلا بوجود الشيطان وخطره" ..

" كما قرر البابا بنديكت السادس عشر العودة إلى التقليد القديم ، قبل مجمع الفاتيكان الثانى (1965) ، والمطالبة بأن ينتهى كل قداس بالتوسل إلى القديس ميشيل أن يبعد الشيطان عن قلب أتباعه " ..

وإلى هنا ينتهى الخبر المنشور فى جريدة "**ليبراسيون**" يوم 2007/12/29 ، إلا أن كاتب المقال لم يذكر من هو قائل عبارة " إذهب عنى يا شيطان " التى إستشهد بها أو لمن قالها ، فطريقة الصياغة الواردة بالمقال توحى بأنه أحد القديسين أو حتى أحد الراسخين فى الإيمان ، لكن قائل هذه العبارة هو يسوع المسيح ، موجها كلامه إلى القديس بطرس، أحد حوارييه ، إذ نطالع فى إنجيل متّى : " وقال لبطرس إذهب عنى يا شيطان " !! .. والجملة بكاملها تقول :

"فالتفت وقال لبطرس إذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس " (16 " 23) ..

ولم تكن هذه زلة لسان من يسوع ، وإنما يبدو من الأناجيل أنه كان يعنيها ، إذ نطالع فى الإصحاح الرابع عشرة أن يسوع قال لبطرس : " يا قليل الإيمان لماذا شككت " ؟! (14 : 31). والغريب بعد ذلك أن نطالع فى نفس الإصحاح 16 العدد 18 أن يسوع عليه السلام يقول لنفس ذلك الشخص، القليل الإيمان، والذى وصفه بأنه شيطان لا يهتم بما لله بل ويمثل معثرة ليسوع ، عبارة : "وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه السخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " !!.

فهل من المعقول أن يقوم السيد المسيح ببناء كنيسته ، إعتمادا على شخص سبق و وصفه بأنه قليل الإيمان، ثم وصفه مرتين بأنه شيطان ؟ فبأى عقل يمكن لقارىء هذه النصوص يقر بأن تتم إقامة الكنيسة الرسولية على مثل هذا التناقض ؟ واللهم لا تعليق ، سوى أن إختيار البابا بنديكت السادس عشر تزويد كافة الكنائس بطارد للشياطين كمتخصص دائم ، يكشف عن أنه يعود بأتباعه إلى القرون الوسطى وإلى زمن محاكم التفتيش وقتل المشعوذين والسحرة، وهى عباءة جد فضفاضة يمكن التخلص بواسطتها ممن يشاء ، إعتمادا على قرارات أعضاء لجنة محاكم التفتيش التى كان يترأسها لمدة 24 عاما قبل تعيينه فى هذا المنصب الذى يترأسه ..

غير أن مسألة الشياطين هذه ترجع أساساً إلى نصوص الأناجيل ، فما أكثر الجمل أو الأعداد فى الأناجيل الأربعة وكل العهد الجديد التى تتحدث عن الشياطين أو عن طردها ، ومنها قصة الشيطان لجتون الواردة بحذافيرها فى كلٍ من إنجيل مرقص ولوقا .. لذلك يُرجع النقاد فكرة الإهتمام بالشياطين فى المسيحية إلى يسوع المسيح نفسه الذى كان يحث حوارييه قائلا : "إشفوا المرضى وأطردوا الشياطين" ، وما أكثر ما قام به شخصيا من طردٍ لشياطين ..

فنطالع أن يسوع كان يكشف عن وجود إبليس أو الشيطان وألاعيبه، وكان يميزهم بين الحضور من حوله، ويرى ما يسببونه من أمراض أو تصرفات غير طبيعية ، بل أحيانا نرى أنه يتعرف عليهم ليطردهم، كما فى لوقا 8 :30 ؛ وكان يسوع يطردهم بالكلمة (متى 8 :16) ؛ ويأمرهم فيطيعونه (مرقس 1 : 27) ؛ ويهددهم فيطيعون (مرقس 1 : 25) ؛ ينهرهم فيخرجوا من الشخص الذى استحوذوا عليه (متى 17 : 19). كما كان يخرجهم بواسطة الروح القدس (متى 12 : 28) و (لوقا 4 : 18-19)؛ ويخرجهم بسلطته الشخصية (متى 8 : 29) و(مرقس 1 : 24). بل نطالع أن الشياطين كانت تعرفه (مرقس 1 : 38) و (أع 19 : 15). وكان يسوع قد أعطى هذه المقدرة لحوارييه (متى 10 : 1) و (مرقس 3 : 15) ؛ وكانوا يمارسون عملية طرد

الشياطين بإسمه (لوقا 11 :17) ؛ ثم نطالع أن طرد الشياطين يعدونه علامة مصاحبة لتبشير الإنجيل (مرقس 16 : 17) !..

كما أن سلطة طرد الشياطين ليست مرتبطة بمرحلة معينة فى حياة الكنيسة ، فهى سلطة ممنوحة للأتباع بقول يسوع : "إن سألتم شيئا بإسمى فإنى أفعله" (يوحنا 14 : 12)، وقوله : "وهذه الآيات تتبع المؤمنين. يخرجون الشياطين بإسمى ويتكلمون بألسنة جديدة. يحملون حيّات وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون" (مرقس 16 : 17-18) .

ولقد تم ترسيخ ممارسة طرد الشياطين رسميا فى الكاثوليكية خاصة فى القرون الوسطى ، ولا تزال تمارس حتى يومنا هذا على المستوى الرمزى والدينى ، ويدخل معناها فى عملية التعميد نفسها ، إذ يقول ترتوليان ، وهو أحد الأباء الأقدمين : " أن الإنسان لا يولد مسيحيا وإنما يتحول مسيحيا بالتعميد ".. لذلك تمارس هذه العملية كنسيا ، كما يقولون ، بموجب السلطة الروحية التى منحها يسوع للكنيسة ، ـ التى لم تكن موجودة فى أيامه !.

ولقد قام البابا بولس الخامس (1552-1621) بإعداد برنامج من أحد عشر خطوة تقرأ خلالها صلوات معينة لطرد الشياطين ، إلا أن الفاتيكان قد أعد وثيقة جديدة باللاتينية فقط ، مكونة من سبعين صفحة ، تتمشى مع قرارات مجمع الفاتيكان الثانى ، وقد تم إدخال إمكانية الإستعانة بعلم النفس ، وعدم اللجوء إلى الأساليب القديمة (أى الضرب المبرح) إلا عند الضرورة ..

ويقول الأب جابرييل آمورث فى مذكراته التى نشرها حديثا : "نعم ، يوجد فى الفاتيكان أعضاء من منظمات شيطانية " ! وعند سؤاله إن كان فقط ممن يؤمنون أو يعبدون الشيطان من الدرجات الدنيا فى التدرج الكنسى بين القساوسة ، أجاب : "هناك قساوسة ، ومن هم بدرجة مونسينيور ، بل وبدرجة كاردينال" .. وعند سؤاله إن كان البابا بنديكت 16 على علم بوجود أتباع لمنظمات عبدة الشيطان فى الفاتيكان ؟ أجاب :

ـ "بالطبع ، أنه على علم ، فهو يؤمن بها ، لكنه يقوم بما فى وسعه. أنه أمر مرعب"..

وفى 8 إبريل 2011 نشر موقع زنيت ، وهو أحد المواقع الرسمية الإخبارية للفاتيكان حوارا مع الأب دنيس بروسا ، الذى يعمل طاردا للشياطين فى أسقفية پرپينيان بفرنسا ، حول الرواية الذى صدرت ترجمتها الفرنسية فى فبراير 2011 ، للصحفى الأمريكى ماتّ باليو ، بعنوان "**الطقس**" (**The Rite**). وهى قصة حقيقية مأخوذة بكل تفاصيلها عن حياة أحد طاردى الشياطين . وقد تحولت إلى فيلم سينمائى تم عرضه تقريبا فى نفس الفترة. وبدأ الحوار حول

المدة اللازمة لتكوين طارد شياطين فى الفاتيكان. ولم تكن مناسبة الحوار مجرد صدور الرواية أو الفيلم فحسب ، وإنما أساساً بمناسبة إنتهاء الأسبوع الذى كانت خصصته لجنة العبادة الإلهية ولجنة الإكليروس ولجنة فيالق المسيح ، لتدريس منهج كيفية طرد الشياطين فى جامعة "رجينا أبوستولروم" التابعة للفاتيكان فى روما..

وما أكثر ما كشفت عنه هذه الرواية ، ومنها أن كتاب التعليم الدينى للكنيسة الكاثوليكية يضم مختلف النصوص التى يتم إستخدامها فى جلسات العلاج، وتوجد جميعها فى فصل "نصوص الشفاء" . ويكشف المؤلف عن مختلف أنواع المسميات الدارجة فى هذا الميدان من مسّ وإستحواذ ولَبْس وسيطرة تامة أو جزئية، وأن هذه الحالات منتشرة فى المجتمع الغربى أكثر مما نتصور بكثير. لذلك يعرب المؤلف عن أمنيته فى أن يتم إنشاء قسم لطاردى الشياطين فى الكنائس الكاثوليكية بالولايات المتحدة ، على الأقل واحد فى كل اسقفية إن لم يكن أكثر وفقا لحجم أتباعها.

ويؤكد الأب دنيس بروسا أن كل ما ورد بالرواية حقائق فعلية وإن كان الفيلم حاد عنها كثيرا. وهنا يوضح كيف أن طارد الشياطين لم يعد بمفرده وعادة ما يكون برفقته فريق عمل ملم بمهارات مختلفة كمجال علم النفس والطب البشرى والمجال الروحى. وهذه الفرق توجد فى المناطق الرسولية لمدة عام ثم تعمل على المستوى الوطنى العام التالى . وبعضهم ينتمى إلى جمعيات كالجمعية الدولية لطاردى الشياطين. كما يقر الأب بروسا ما جاء فى الرواية من أن طرد الشياطين يتوسط الأناجيل، وقد كان القديس بولس يدعو أهل أفسوس للصمود قائلا: "البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. " (6 : 11).

كما نطالع فى العدد رقم 120 من مجلة "**معرفة آباء الكنيسة**" الصادر فى ديسمبر 2010 ، مدى صراع الآباء مع الجن والشياطين. وهنا يؤكد الكرسى الرسولى موضحا : "بما أن العمل الضار والمعاكس الذى تقوم به الشياطين والجان يؤذى البشر والأشياء والأماكن، ويظهر بعدة طرق مختلفة، فإن الكنيسة مدركة دوما بأن هذه الأيام سيئة ، وقد صلّت ولا تزال تصلى من أجل تحرر البشر من براثن الشيطان" (صفحة 6).

أما الأب بروسا فيواصل قائلا : "إن الشيطان يبحث دوما كيف يعترض علاقتنا بالله ويستخدم ثغرات الأمس واليوم ، وسلطانه فى تزايد لأن الناس لم يعد لديهم إيمان وأصبحوا غير قادرين على معالجة الضغوط التى يتعرضون لها. لذلك يلجأون إلى مرشدين ومنجمين وسحرة ومشعوذين ، وذلك يستنفذ أموالهم ويملأ روحهم بقوى غريبة سرعان ما تسيطر عليهم. أما الإله

الذى نعبده فهو إله الخلاص ، والكنيسة دائما حريصة على إظهار إنتصار يسوع على الشر بالتأقلم مع التطور التاريخى والمعارف الحديثة.

وليس ما تقدم بغريب على الكيان الكنسى ، ففى جلسة علنية عامة فى 15 نوفمبر 1972 ، أعلن البابا بولس السادس الذى ترأس النصف الثانى من مجمع الفاتيكان الثانى ، أوضح قائلا : "إن أحد أهم إحتياجات الكنيسة اليوم هى وسائل الدفاع ضد الشر الذى يسمى الشيطان .. فالشر ليس مجرد خلل، وإنما هو ناجم عن إنسان يعيش روحيا فى الخطأ ويدفع إلى الخطأ. يا له من واقع بشع، غريب ومرعب.. إن من يرفضون الإعتراف بوجود الكنيسة يبتعدون عن الكتاب المقدس وعن الكنيسة. ومن يصفونها بأنها واقع مزيّف وإختراع بشرى لتجسيد الأسباب المجهولة لآلامنا فالمسيح يصف ذلك الشخص بأنه منذ البداية يود قتل الإنسان. أنه قمة الكذب. أنه يهدد التوازن الأخلاقى للإنسان بمكر ودهاء. ومن المؤكد أن كل خطيئة ليست ناجمة مباشرة عن الشيطان ، لكن ذلك لا يعنى أن من لا يراقب نفسه بصرامة يعرّض نفسه لتأثير عدم التقوى التى يتحدث عنها القديس بولس وبالتالى يمنع خلاصه".

وقد حلل البعض هذا القول على أن المقصود به الشيوعية والشيوعين ، لكن حتى مجرد هذا التشبيه وما تم من خطوات إنتهت فى مطلع التسعينات من القرن العشرين باقتلاع اليسار ليست بكافية ..

♦ **فضيحة بنك أمبروزيانو**

تمثل فضيحة بنك أمبروزيانو بإيطاليا واحدة من أكبر الفضائح المدوّية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وذلك بعملية إفلاسه سنة 1980 ، التى ربطت بينه و بين بنك الفاتيكان، وإسمه "مؤسسة الأعمال الدينية (Instituto Opere Religia) ويختصرونها (IOR) ،والمافيا، والمحفل الماسونى المدعو "بروبجانده دوى" ويختصرونها P2، والسى آى إيه (CIA).. ويا لها من تركيبة دينية !

ويقول روبير باريس فى عرضه لكتاب "**الفاتيكان، المال والسلطة**" للكاتب فريدريك هاكور، فى 8 يوليو 2009 ، أن بنك الفاتيكان يُعد المقر الأساسى الذى تؤول اليه أموال تقدر بأكثر من 55 مليار دولار أمريكى سنويا، من غسيل الأموال القذرة الإيطالية. ويأتى بنك الفاتيكان الذى

يدعى "مؤسسة الأعمال الدينية" ويختصرونها بالثلاثة أحرف الأولى وتنطق "إيور" ، فى المرتبة الثامنة من الدول المستخدَمة عبر العالم لغسيل الأموال ، فيما يُطلق عليها جنّات الضرائب ، من قبيل جزر الباهاما وسويسرا والليختنشتاين !

وفى تحقيق مواز نشرته جريدة "**لندن تلغراف**" يشير إلى دولة الفاتيكان على أنها أحد أهم دول ال "كاتّ آوت" (Cut out)، أى الدول التى يؤدى تشريعها القانونى، حول الأسرار والعمليات المصرفية التى تقوم بها، إلى أن يصبح من المحال التوصل إلى أصل المبالغ المودعة بها أو معرفة مصادرها.

كما ارتبطت وفاة البابا يوحنا بولس الأول بهذه الفضيحة التى تورط فيها بنك الفاتيكان "إيور" بتحويل مبالغ سرية لنقابة "التضامن" (سوليدارنوشتش) فى بولندا أيام إقتلاع اليسار، وإلى الكونترا فى نيكاراجوا، وإلى رواندا أيام حرب الهوتو والتوتسى. وقد إغتيل هذا البابا بعد إنتخابه بثلاثة وثلاثين يوما لطلبه فتح التحقيق فى فضيحة البنك ..

وكان البابا ليون الثالث عشر هو الذى أنشأ البنك ليدير الأموال المتاحة للبابا بعد ضياع الممالك البابوية سنة 1879 ، وقد تزايدت أمواله بعد ذلك فى إطار تسوية المسألة الرومية عقب إتفاقيات لاتران سنة 1929. وفى عام 1942 قام البابا بيوس الثانى عشر بإعادة تنظيم وتسمية هذا البنك.

وفى الستينيات من القرن العشرين، مع أولى محاولات العولمة المالية، توسع البنك فى نشاطات خارجية وتم إنشاء أفرع له فى الباهاما وفى أمريكا اللاتينية، ثم تولى البنك الإشراف والسيطرة على البنك الكاثوليكى "دل فينيتو" (Del Veneto)، وقام بتمويل دار نشر "ريتزولى"، التى كانت تمول جريدة "**كورييرى ديللا سيرا**" وهى من أكبر الصحف الإيطالية. والسيطرة على هذه الجريدة سمحت للمدير روبرتو كالفى أن يعمل لصالح رفاقه فى المحفل الماسونى P2 ، الذى تم اكتشافه سنة 1981، قبل الإعلان عن أنه محفل غير شرعى ويعمل مع المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) لخلق جو من التوتر لإستبعاد اليسار الإيطالى من الحكم .. وفى التسعينيات استثمر البنك أكثر من عشرة مليارات من الدولارات بالعمل فى تجارة المخدرات لصالح المافيا. وكان بنك الفاتيكان "مؤسسة الأعمال الدينية" (IOR) هو المساهم الأول فى بنك أمبروزيانو (Ambrosiano) الذى أفلس بألاعيب مصطنعة ..

ونظرة عابرة على كم الإغتيالات التى واكبت هذه الفضيحة تكشف عن مدى ضلوع المافيا فى هذه القضية. ففى عام 1979 تم إغتيال القاضى إيميليو ألسّاندرينى بعد أن قام بالتحقيق فى قضية بنك أمبروزيانو. وكذلك الصحفى كارمينى بيكوريللى عضو المحفل الماسونى P2 لثرثرته.. وقد تمت تبرأة جوليو أندريوتى، رئيس مافيا روما والوزير السابق ثم رئيس الوزراء

الذى حوكم ثانية عام 2002 وتم الحكم عليه بأربعة وعشرين عاما فى السجن لأنه أعطى الأمر بإغتيال القاضى ألسّاندرينى ! ثم مقتل جورجيو أمبروزولى بسبب شهادته ضد ساندونا الذى كان يقوم بغسل أموال المافيا من خلال بنك الفاتيكان فى سويسرا . وقد أعطى هذه المعلومة لرئيس بوليس مدينة باليرمو ، بوريس جويلانو، الذى تم إغتياله بعد اسبوعين ..

كما تم إغتيال القاضى تشيزارى ترّانوفا والعقيد جيوزيبى روسّو والقائمقام أنطونيو فاريسكو الذى كان يحقق فى قضية المحفل الماسونى P2. وفى عام 1980 تم اغتيال روبرتو روسّونى الرئيس المساعد لبنك أمبروزيانو. وفى نفس ذلك العام أفلس بنك الفاتيكان (IOR) بعد أن ساهم فى تمويل إنقلاب الجنرال بينوشيه ، الذى قام بإنقلاب عسكرى ضد أللندى عام 1973 وترأس جمهورية شيلى من 1974 الى 1990، وعملية تجارة أسلحة ضخمة أيام حرب المالاوين فى غرب إفريقيا !

وفى يوليو 1971 تمت مصادرة أكثر من 14 مليون دولار وأسهم وسندات أمريكية صنعتها المافيا فى الولايات المتحدة بطلب من الأسقف بولس مارسينكوس، وتم إيداعها بفضل ميشيل سيدونا فى بنك الفاتيكان. وهذه المبالغ كانت جزء من مبلغ إجمالى هو 950 مليون دولار، أى قرابة مليار دولار فى طريقها للفاتيكان. وفى نفس العام تم نشر أسماء أعضاء المحفل الماسونى P2 ، الذى يديره ليتسيو چللى، وتضم القائمة أسماء أكثر من مائة أسقفا وكاردينالا من الفاتيكان. ومعروف ان هذا المحفل على علاقة وطيدة بالمخابرات المركزية الأمريكية والمافيا عن طريق بنك أمبروزيانو.

وفى 13 مايو 1981 عقب فضيحة بنك أمبروزيانو تم إختفاء مليار دولار ؛ وفى 1982 تم إعلان إنتحار روبرتو كالفى مدير بنك الفاتيكان، ثم تبين أنه تم خنقه ثم شنقه تحت كوبرى "بلاكفرياردز" فى لندن ، وثبت أنه إغتيال طقسى لوجود حجارة معينة فى جيوب سترته .. وقبلها بساعات "إنتحرت" جراتسييللا كورّوشيه، السكرتيرة، من الدور الرابع فى بنك أمبروزيانو ؛ وكذلك سقط المدير التنفيذى جيوزيبى ديللاشا من نافذة بنك أمبروزيانو فى ميلانو. كما تم تسميم ميشيل سيدونا الممول الكبير للمافيا الأمريكية والصقلية منذ 1957، والذى كان يتحكم فى "فينيبانك" ملك الفاتيكان ، وذلك فى السجن وقبل مثوله أمام القضاة. وإغتيال كلاًّ من الجنرال ديللاكييزا وألدو مورو..

أما المونسنيور مارسينكوس ، مدير بنك الفاتيكان، فقد تم إحالته إلى التحقيق عام 1987 وأدين بتسببه فى إفلاس البنك، إلا أنه قد تم تخطى قرار المحكمة العليا وإلغاء الحكم بموجب المادة 11 من إتفاقيات لاتران، التى تنص على : "أن المؤسسات المركزية للكنيسة الكاثوليكية لا تخضع

إطلاقا لسلطة الدولة الإيطالية"، وكان مارسينكوس يحمل جواز سفر فاتيكانى !.. ورغم صدور قرار دولى بإعتقاله إلا أنه سافر إلى الولايات المتحدة فى حماية الكنيسة هناك حتى وفاته سنة 2006 ..

ولا ينتهى سرد الفضائح المالية للفاتيكان، ففى عام 1994 تورط الفاتيكان فى فضيحة إينمونت حيث قام بدفع مبلغ 93 مليار ليرة كرشوة لبعض الأحزاب السياسية الإيطالية من أجل السيطرة على مجال الكيمياء والأدوية.. كما تورط فى نفس العام فى عملية تهريب أسلحة لعائلة تابعة للمافيا فى مدينة كاتان الإيطالية من أجل سرقة معلوماتية للمساعدات الأوروبية. كما يحاول بنك الفاتيكان الإعتراض على شكوة مرفوعة أمام القضاء فى المحكمة الفديرالية فى سان فرنسيسكو بالولايات المتحدة، تقدم بها بعض الأحياء من الصرب واليهود الناجون من المحرقة ، تلزم البنك برد أموالا إستولى عليها أيام الحرب العالمية الثانية. كما تم إتهام البنك بإخفاء أموالا استولى عليها النازى وأودعها لديه. ومتهم بعلاقات مريبة مع أوساط الجريمة المنظمة !

وفى مقال بقلم كل من بنديكت وباتريس دى مازيرى تحت عنوان **"منظمة أوبس داى تقوم بالتحقيق حول كنيسة داخل الكنيسة"** ، بمناسبة حصول منظمة "أوبس داى" على وضع متفرد فى الفاتيكان، وذلك بتبعيتها مباشرة الى البابا وليس إلى أية إدارة أخرى مثل كافة الهيئات. ويوضح الكاتبان "وهكذا يعيد الفاتيكان إحياء مصرفه بعد فضيحة بنك أمبروزيانو.. والكنيسة الكاثوليكية تساند هذه المنظمة التى تسيطر على أعضائها وعلى دخولهم وثرواتهم. واختراق هذه المنظمة للفاتيكان قد وصل إلى ذروته بتعيين الكاردينال جوزيف راتزنجر فى منصب بابا الفاتيكان منذ سنة 2005 ".. وهو ما يكشف عن خبايا وفضائح أخرى فى الطريق ..

ورغمها ، لم تتوقف فضائح الفاتيكان المالية عند ذلك الحد بل تواصلت وكأن شيئا لم يكن !.. ففى 13 ديسمبر 2010 أعلنت وكالة "الأسوشييتد برسّ" أنه قد تم التحقيق مع بنك الفاتيكان منذ أن تمكن البوليس فى 21 سبتمبر2010 من الإستيلاء على مبلغ ثلاثين مليون دولار فى عملية غسيل أموال ، وبعد اسبوع قام بمصادرة 23 مليون يورو كان قد تم تحويلها من بنك الفاتيكان الى حسابين فى كل من ألمانيا وإيطاليا ، ولا يُعرف مصدرها .. كما قام البوليس بالإستيلاء على ثلاثمائة الف مليون دولار فى صقلية، فى حساب أحد القساوسة ، وقد إعترف خاله أنه كان على علاقة بالمافيا ويعمل لحسابها.. كما تورطت اللجنة البابوية لتنصير الشعوب فى عمليات مالية وعقارية تكشفت فى منتصف عام 2010 ، خاصة وأن مهمتها فى الإشراف على البعثات التبشيرية عبر العالم وتمويلها وإنشاء الكنائس الجديدة وتمويلها، للتلاعب والتدخل فى الأحداث وفى الشئون الداخلية للبلدان ، يسمح لها بتداول مبالغ طائلة غير معروفة المصدر أو الهوية ..

ودوّت العواصف فى الجرائد والمجلات والمواقع الغربية لتتناول القضايا بالتفصيل.. وحاول المتحدث الرسمى باسم الفاتيكان ، الأب لومباردى ، التمويه على الموقف قائلا : "أن هناك سوء فهم فى الموضوع" ، لكن هذا التحايل لم يأت بنتيجة كالمعتاد، فقد كانت الفضائح أكبر من أن تحويها الكلمات ..

وأدّت هذه الفضائح الجديدة وربطها بفضائح الماضى وإفلاس بنك أمبروزيانو وكل ما واكبها من إغتيالات ، إلى تدخل الإتحاد الأوروبى والمصرف الدولى والحكومة الإيطالية لتحجيم هذا الإنفلات وتقييده ، خاصة فى الوقت الذى يجاهد فيه الفاتيكان يوميا لفرض عقيدته وتنصير العالم ! وقامت هذه اللجان مشتركة بتحديد غرامات مالية متفاوتة، ومدد عقوبات بالسجن، لكل عملية من مختلف عمليات غسيل الأموال ، وتهريب الأموال ، وطباعة أموال مزورة ، وتمويل الإرهاب ، وتجارة المخدرات ، والتهريب، والتعامل مع المافيا، وغيرها من المجالات التى مارسها الفاتيكان عبر تعتيم لوائحه لمدة قرون وحتى مطلع هذا العام ، 2011 ..

وإن كان ما تقدم بمثابة عرض موجز لما تناولته الكتب والجرائد والمجلات الفرنسية حول هذه الفضيحة ، ففيما يلى عرضا لما نطالعه فى أحد أكبر المواقع التابعة للفاتيكان. ففى 27 يناير 2011 ، كتب ساندرو ماچيستر تحت عنوان : **"ظلال وأضواء مالية الفاتيكان"**، بدأه بتمهيد يوضح فيه أن الهدف من اللقاءات التى تمت بين اللجان المالية الدولية والحكومة الإيطالية والفاتيكان هو إضافة إسم الكرسى الرسولى على "القائمة البيضاء" للدول الورعة التى لا علاقة لها بالإنحرافات المالية. إلا أن الحكومة الإيطالية تشك فى وجود عمليات غير شرعية ، وهناك خلافات فى الفاتيكان ، ومنها تلك الأسطورة السوداء التى تتهم أنچلو كالويا ، الذى أنقذ بنك الفاتيكان من الإفلاس".

ويبدأ المقال بفقرة تلخص ذلك الماضى غير المشرّف الذى طالعناه ، قائلا : "منذ أسبوع وسلطة الإستعلامات المالية (AIF)، الإدارة الجديدة التى أنشأها الفاتيكان للسهر على ألا تتكرر عمليات غسيل الأموال لنقود ناجمة عن مصادر إجرامية أو عن تمويل عمليات إرهاب ، وألا تتم مرة أخرى فى مؤسسات مرتبطة بالكرسى الرسولى. ويترأس هذه اللجنة الجديدة الكاردينال آتيليو نيكورا ، الذى يشغل أيضا منصب رئيس إدارة تراث الكرسى الرسولى..

ويوضح ساندرو ماچيستر أن أول همٍّ لهذا الكاردينال هو تسجيل إسم الكرسى الرسولى فى "القائمة البيضاء" ، أى قائمة أكثر الدول إلتزاما فى الصراع ضد الجرائم المالية وتفادى وقوعها. وبإنشاء هذه الإدارة وإصدار أربعة قوانين فورية ومُلزِمة فى 30 ديسمبر 2010 ، فإن الكرسى الرسولى قد إجتاز خطوة لا بد منها فى مسيرته نحو هذا الهدف. لأن "جماعة العمل

المالى الدولية" التى تعمل ضد عمليات غسيل الأموال القذرة ستراجع النظام المصرفى فى الفاتيكان ، وسوف تطلب إيضاحات ، وبالتالى إجراء أية تعديلات يقتضيها الموقف.

إلا أن أعمال هذه اللجنة لن تكون وحدها هى التى ستضع الفاتيكان فى "القائمة البيضاء" ، فهناك عقبة جادة تقف أمام ذلك وهى : التحقيق الذى تم فتحه يوم 21 سبتمبر 2010 ، بطلب من محكمة روما ، وكلٍ من رئيس ومدير بنك الفاتيكان "مؤسسة الأعمال الدينية" (IOR). فهما مشتبه فيهما باختراق القوانين المانعة لغسيل الأموال ، وفى عمليات تقدر بثلاثة وعشرين مليون يورو فى أحد حسابات هذا البنك لدى بنك آخر..

وقد طلبت المحكمة التحفظ على المبالغ بينما أعرب الكرسى الرسولى عن وجود "سوء فهم فى الموضوع" ! وفى 30 سبتمبر 2010 وافق چوتى تيدسكو ، الذى التقى بالبابا بنديكت 16 قبل ذلك باسبوع ، وافق على الذهاب إلى محكمة روما والمثول ، مثله مثل أى مواطن إيطالى عادى، ليقف أمام القضاء. وهذا الإجراء وحده يمثل واقعة لا سابقة لها فى تاريخ بنك الفاتيكان.

كما كان قد تم التحقيق قبل ذلك حول واقعة تقديم رشاوى بمبلغ خمس وأربعين مليون يورو. وحاول المسئولون فى البنك تغطية الموقف، إلا أن القضاة قد أعلنوا أن الأدلة التى تقدم بها البنك غير كافية ورفضت المحكمة فك تجميد المبلغ. وكان آخر هذه القرارات فى 20 ديسمبر 2010 . ومن الواضح أن مثل هذه القضية قد تجعل من الصعب إدراج إسم الفاتيكان فى "القائمة البيضاء".

وبذلك يسقط حق الفاتيكان فى المعاملة الخاصة التى كان ينعم بها وأساء إستخدامها بجدارة لمدد من المحال التأكد منها لإمتدادها على مدى القرون الماضية.. والموضوع بكل تفاصيله منشور أيضا فى مجلة "مونى ويك" (Money Week) العدد 102، الصادر فى 14 أكتوبر 2010.

ومنذ أول إبريل 2011 أصبح بنك الفاتيكان (إيور) يخضع لتنظيم جديد ، بناء على قرارات اللجان المشتركة للإتحاد الأوروبى والحكومة الإيطالية والبنك المركزى والفاتيكان، للسيطرة على كافة العمليات المصرفية وفقا للشفافية التى تخضع لها البنوك..

ويا لها من مؤسسة أعمال جد دينية !!

الفصل الثانى

مجمع الفاتيكان الثانى (1962-1965)

لقد عرف العالم عدة تغيرات جذرية منذ مجمع الفاتيكان الأول (1869-1870) ، منها نهاية النظام الأوروبى القديم مع الحرب العالمية الأولى ؛ تجربة النظام الشمولى ؛ إستتباب النظام الشيوعى فى الإتحاد السوفييتى ثم فى بلدان أوروبا الشرقية والوسطى والصين وجنوب شرق آسيا ؛ نهاية الإستعمار على الأقل شكلا؛ إنشاء منظمة هيئة الأمم وإنتشار ثقافة حقوق الإنسان ؛ الإنتعاش الإقتصادى لبلدان الشمال ؛ التطلع المتنامى إلى مزيد من الديمقراطية والحرية ؛ إنقسام العالم إلى كتلتين متباينتين متناحرتين ؛ صعود العالم الثالث على المسرح الدولى ؛ إنتشار العلمانية والإلحاد وتباعد الأتباع عن الكنيسة، بعد كل ما تكشف من حقائق علمية وفضائح أطاحت بمصداقية الأناجيل مثلما أطاحت بمصداقية الكنيسة .. وقد أدى ذلك إلى تغييرحياة المؤسسة الكنسية برمتها ..

وحينما أعلن البابا يوحنا الثالث والعشرون عن رغبته فى عقد مجمع عالمى كان الترحيب به عارما لكل ما يتعلق بمستقبل الإيمان المسيحى ولتخطى مختلف الإنحرافات الإجتماعية. ولم يوضح البابا فى خطابه أكثر من ثلاثة محاور أساسية هى: "التجديد الداخلى للكنيسة الكاثوليكية؛ تكثيف وجودها فى العالم ؛ الرغبة فى الحوار مع الكنائس المسيحية لأخرى".

وبدأ الإعداد للمجمع باستطلاع رأى العديد من الأساقفة والجامعات اللاهوتية بتوجيه الإسئلة وطلب الإستشارة إلى 2593 من القساوسة ، و إلى 156 من الدرجات العليا ، و إلى 62 جامعة على مستوى العالم. وتلقت اللجنة المكلفة بالإعداد للمجمع الفاتيكانى الجديد 2150 إجابة على الأسئلة المطروحة للدراسة والتعليق. وهو ما يمثل 76,4 % من الأسئلة المطلوب الإجابة عليها. وتم تصنيفها موضوعيا وأصبحت تشغل هذه الوثائق خمسة عشر مجلدا من الوثائق الخاصة بالمرحلة قبل الإعدادية للمجمع. وإنتهت هذه المرحلة قبل الإعدادية فى يونيو 1960. وإمتدت أعمال المرحلة الإعدادية نفسها من يونيو 1960 إلى أكتوبر 1962. وكان البابا قد قام بتشكيل عشر لجان وثلاثة أمانات عامة. ومن الواضح منذ البداية ان هناك ثمة إحجام أو إعتراضٍ ما على بعض الموضوعات المطروحة للمناقشة بينما طالب 350 أسقفا بإصدار إدانة صريحة واضحة ضد الشيوعية .

وفى الحادى عشر من شهر أكتوبر 1962 قام البابا بإفتتاح المجمع رسميا. وهو المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى ، و المجمع رقم 21 فى سلسلة المجامع المسكونية ، أى المجامع العالمية ، التى عقدتها الكنيسة الكاثوليكية الرومية ، وعادة ما يختصرون عنوانه الى "مجمع الفاتيكان الثانى" أو مجرد "فاتيكان 2" .. وهو أول مجمع يضم أساقفة من جميع أنحاء العالم ومن مختلف الأجناس ، وبلغ عددهم 2650 أسقفا من 136 دولة ينتمون الى 93 جنسية ، بخلاف 80 كاردينالا وثلاثة أباطرة ، إضافة إلى عدد كبير من المراقبين الدولين لأول مرة.. وقد أعرب العديد من المراقبين عن دهشتهم لهذا الحشد غير المسبوق لإقامة مجمع ..

وقد استغرق المجمع ثلاثة أعوام وشهران. وتكونت خلاله 168 لجنة عمل عامة ، وعشر لقاءات علنية. وأصدر أربعة دساتير ، وتسعة قرارات ، وثلاثة بيانات. وتختلف هذه المسميات وفقا للموضوعات التى تتناولها : فالدساتير عقائدية الطابع ، والقرارات تنظيمية وعلمية ، بينما البيانات تعنى أن موضوعها يتم تناوله لأول مرة فى مجمع عام . وكلها تهدف إلى التعريف بوجهة نظر الكنيسة حول موضوعات ذات طابع عام من قبيل الحرية الدينية ، والعلاقات بين الأديان ، والتعليم، وإن كانت جميعها تشير أو تتناول موضوع تنصير العالم بصور متفاوته.

ولقد بدأت أعمال المجمع فى 11 أكتوبر 1962 ، وانتهت فى 8 ديسمبر 1965 ، و امتدت جلساته على أربع دورات. الدورة الأولى من 11 أكتوبر إلى 8 ديسمبر 1962؛ والدورة الثانية من 29 سبتمبر إلى 4 ديسمبر 1963 ؛ والدورة الثالثة من 14 سبتمبر إلى 21 نوفمبر 1964 ؛ والدورة الرابعة من 14 سبتمبر إلى 8 ديسمبر 1965 .

ويعتبرونه أهم أحداث الكنيسة الكاثوليكية فى القرن العشرين ، وإن كان فى واقع الأمر يقولون أنه أهمها قاطبة. بل لقد وصفه الأب فرنشسكو ريكوسّا "بأنه من أهم أحداث التاريخ، بل لعله أهم من الثورة الفرنسية، فقد نجم عنه مجتمع متعدد الأجناس، متديّن، يسير بخطى واسعة نحو الجمهورية العالمية والديانة العالمية" ! وهى عبارة تكشف بوضوح عن مدى إرتباط هذا المجمع وكل المؤسسة الكنسية بالنظام العالى الجديد الرامى إلى فرض نظام سياسى وإجتماعى وإقتصادى ودينى واحد..

ومن ناحية أخرى تكمن أهمية هذا المجمع فى أن كل ما سبقه من مجامع يمكن أن نطلق عليها "مجامع تلفيقة"، بمعنى أنها كانت تجتمع لرأب التصدعات الداخلية أو الخارجية وكل ما يواكبها من مشكلات، الكثير منها عقائدية ، ناجمة عن الأبحاث اللاهوتية الحديثة التى كشفت الكثير من الزيف الذى يقف عليه هذا الكيان بعقائده المختلقة.. أو على حد قول جوزيف توماس فى كتابه عن "**مجمع الفاتيكان الثانى**" موضحا : " ان الفارق الكبير بين هذا المجمع والمجامع السابقة

هو أنها كانت تُدعى للإجتماع بسبب مخاطر تؤدى إلى الإطاحة بنقاء عقيدة الكنيسة وجديّة إنضباطها وأخطاء كان لا بد من إدانتها ومحاربتها ووضع علاج لها. أى أن المجامع كانت بمثابة لجوء الكنيسة المهددة سواء من الداخل أو من الخارج لحلها" ..

أما مجمع الفاتيكان الثانى فهو أول مجمع هجومى فى التاريخ لكل ما أطاح به ولكل ما تمخض عنه من قرارات نسفت عدداً لا يستهان به من الثوابت الدينية ، حتى العقائدية منها ولا نذكر منها على سبيل المثال سوى تبرأة اليهود من دم المسيح ، رغم كل الأعداد أو الجمل التى لا تزال موجودة فى الأناجيل الأربعة وتدينهم بصريح العبارة على تعذيبه و قتله، أى إن مخالفتها صريحة للنصوص الإنجيلية، إضافة الى إصراره الأكمه على تنصير العالم بشتى الوسائل ، وهو القرار الذى لا تخلو منه وثيقة من الوثائق الستة عشر التى أصدرها ..

وقد اندهش العالم الغربى من سماع البابا يوحنا الثالث والعشرين يعلن – بعد إنتخابه للبابوية بثلاثة أشهر ، رغبته فى الدعوة لعقد سينودس رومانى ، وإستدعاء مجمع عالمى ، ورغبته فى مراجعة القانون الكنسى ! وأتت هذه القرارات كرد فعل لما كان يعترى أوروبا والمجتمع الغربى بعامة من تغيرات ناجمة عن الدراسات الحديثة للكتاب المقدس وإنعكاسها على الأتباع ، وما لحق بالمجتمع من تطورات أخلاقية إنفلاتية والإنسياق فى الإلحاد وتزايد العلمانية بعد أن ثبتت عمليات التحريف والتزوير فى الكتاب المقدس برمته وخاصة فى الأناجيل بصورة لا يمكن إنكارها أو التحايل عليها، إضافة الى التقدم التكنولوجى وإنعكاسه على العقائد التى لم تعد تتمشى معه.. وكان المفترض فى الأبحاث التى سيتناولها المجمع العودة الى الجذور المسيحية ، العودة الى الكتاب المقدس والتراث الكنسى مع إستبعاد كل ما تراكم عليه من عادات على مر التاريخ. إلا ان الأمور سارت على عكس ما كان مرتب لها ، وهو ما يمكن ملاحظته بوضوح من الإختلافات الكبيرة بين الدورة الأولى والدورة الثانية. لذلك يتحدث كثير من النقاد عن عملية إختراق للفاتيكان ..

فقد كان هناك برنامجا معدا من كرادلة الفاتيكان ونصوص جاهزة على التوقيع وكأنهم توقعوا أن تنتهى أعماله فى جلسة واحدة. إلا ان كل ذلك قد تم إستبعاده وبدأ المجتمعون فى تناول الأمور بصورة أخرى. فمنذ البداية إرتسمت فجوة بين المتمسكين بالجذور الكلاسيكية الكنسية ، المتصدون لكل ما يلم بالمجتمع من تغيير ، وبين الذين يحاولون أخذ العقبات الناجمة عن العولمة وتطور العالم فى عين الإعتبار. فتمت مناقشة بعض القضايا الطقسية والعلاقات التى يجب على الكنيسة الكاثوليكية أن تتبعها مع الكنائس المسيحية الأخرى ، ومع الديانات غير المسيحية ، ومع المجتمع بعامة وأهمها هنا كيفية التعامل مع اليسار، وخاصة مسائل لاهوتية محددة مثل حرية العقيدة ومسألة الوحى فى المسيحية.

وكان الكثير من الأباء يرون ضرورة مواجهة التحديات المهولة التى تفرضها عليهم التغيرات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والتقنية ، خاصة ان مجمع الفاتيكان الأول ، المنعقد قبل ذلك بقرنٍ تقريبا ، لم تتم أعماله نظراً لنشوب الحرب الفرنسية البروسية ، ولم يقر نهائياً سوى قانون عقائدى واحد فقط هو : معصومية البابا من الخطأ !.. وهو ما أثار العديد من الإنقسامات والإعتراضات بين الكنائس لا تزال تقف عقبة أمام عملية توحيدها تحت لواء كاثوليكية روما. فلم يسبق أن تناولت المجامع صراحة إصدار قرارات صريحة متعلقة بالقساوسة أو تكوينهم ؛ وخاصة العلمانيين، أى المدنيين الذين لا يعملون داخل الإطار الكنسى ؛ ولا الحياة الدينية وضرورة تجديدها ؛ ولا سابقة أيضا لكيان الكنيسة المكرسة للسيدة مريم ؛ ولا حول النشاط التبشيرى للكنيسة تجاه غير المؤمنين. ولعل أكثر القرارات الكاشفة فى هذا المجال هى الوثيقة الخاصة بدور الكنيسة فى عالم اليوم. كما أنها أول مرة يتم فيها مناقشة دور الكنيسة حيال عملية توحيد الكنائس، والديانات غير المسيحية، وخاصة حرية العقيدة بمعنى حرية تغيير الديانة. وكلها موضوعات تتم مناقشتها لأول مرة فى تاريخ المجامع. كما أن المجمع لم يحسم الموقف من المسائل الخلافية بين المذاهب اللاهوتية.. ولعل ذلك يرجع إلى رغبة المجمع فى توحيد الكنائس من خلال الحوار مع كافة العقائد المسيحية.

إلا أن وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين ، الذى كان قد أعلن فى الخطاب الإفتتاحى دعوته الى التمييز بين الحقائق والإيمان والصورة التى تم الإعلان عنها تاريخيا ، وطالب بضرورة أخذ المشاكل المعاصرة فى الإعتبار وأن تكون التعاليم ذات طابع رعوى ، هذه الصورة قد تبدلت تماما بتولى بولس السادس مهام البابوية وترأسه الدورة الثانية بعد ثلاثة أسابيع من رحيل البابا السابق له ، معلنا عن أهداف محددة ، هى :

أ : تعريف طبيعة الكنيسة وتجديد دورها ودور الأساقفة ؛

ب : تجديد الكنيسة ؛

ج : إقامة الوحدة بين كافة الكنائس والإعتذار عن الدور الذى قامت به الكنيسة الكاثوليكية فى هذه الإنقسامات ؛

د : حوار الكنيسة مع المعاصرين ، وذلك إعتمادا على أن المسيحية موحاة من أجل جميع البشر بلا أى إستثناء. وهى إحدى الصيغ المهذبة لإعلان قرار تنصير العالم ..

وقبل إنتهاء أعمال المؤتمر بيوم واحد ، أى فى 7 ديسمبر 1965 ، تم إعلان المصالحة بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية ورفع اللعنات المتبادلة بينهما منذ عام 1054 ، وأدت

الى ما يُعرف باسم الإنقسام الكبير بين الكنيستين الغربية والشرقية. وتكشف هذه المصالحة عن ان عملية توحيد الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما أمر بدأ تنفيذه بالفعل وليست مجرد أمنيات حتى وإن كانت تحت التعتيم بالنسبة لعامة الأتباع ..

والبيانات والقرارات التى أصدرها مجمع الفاتيكان الثانى هى بمثابة تعاليم رسمية موجهة من الكنيسة الكاثوليكية ، حول نقاط بعينها ، وهى قرارات مُلزمة لكافة المسيحيين بكل اختلافاتهم وإنشقاقاتهم إلى 349 فرعا، وكل تدرجاتهم الإجتماعية ، إعتماداً على قرارات مجمعية سابقة ، بل ملزمة لكافة الملوك والرؤساء المسيحيين .. وعلى عكس كافة المجامع الكنسية منذ مجمع نيقية الأول عام 325 ، الذى تم فيه تأليه المسيح ، فإن هذا المجمع الفاتيكانى الثانى لم يصدر أية لعنات أو "حرمان من نعمة الكنيسة" على أحد ، لكنه أدان الأخطاء.. كما أنه لم يُصدر عقائد جديدة قاطعة ، وإنما أكد على قدسية الكيان الكنسى وعلى تضامن وتعاون الأساقفة ومساواة سلطتهم برئاسة البابا فى بعض المجالات. وهو ما يخالف قرارات مجمعية سابقة ، حيث ان البابا ينفرد بلقب ووظيفة "مندوب الرب يسوع المسيح على الأرض" ، فكيف يمكن تحويل الأساقفة – حتى وإن كان فى بعض المواقف أو اللجان، إلى فريق من الأرباب أو تقاسم نيابة "الربوبية" مع البابا ؟! كما ان كافة القضايا التى تناولها المجمع قد تم وفقا لمفهوم العقيدة الكاثوليكية و بأسلوب فى متناول المعاصرين.

والإطار العام للمجمع الفاتيكانى الثانى دار وفقا لما أعلنه بولس السادس من وصف وتوجيه ، بمعنى "ان الكنيسة كلها من المسيح ، وفى المسيح ، ومن أجل المسيح ، وكلها من البشر ، ووسط البشر ومن أجل البشر أجمعين ".. أى أنه لا إستثناء لأحد من التنصير ، وان سر الكنيسة والغموض الذى تقوم عليه بالمعنى الذى تناوله الأباء والتراث مقصود به : "السر الخالد للرب الذى ظهر وتحقق بالمسيح فى التاريخ"، وان هذه هى الدعامة الأساسية التى يعتمد عليها مجمع الفاتيكان الثانى ومحاولته تجديد الكنيسة بفضل إدراك أوضح لحقيقتها لجعلها أقدر على توصيل الإنجيل لكافة البشر.

<u>عبارة : "خارج الكنيسة لا يوجد خلاص" :</u>

ترجع عبارة "خارج الكنيسة لا يوجد خلاص" التى يستخدمونها كمعلومة وقرار لا نقاش ولا رجعة فيه ، إلى أعمال بعض الآباء من القرن الرابع والخامس ، ثم تم إدخالها رسميا فى النصوص الكنسية ، خاصة فى مجمع لاتران الرابع (1215) ، وفى الخطاب الرسولى للبابا بونيفاس الثامن (1302) ، وفى القرار الخاص بالأقباط فى مجمع فلورنسا (1442). وينص هذا الأخير على "ان الكنيسة الرومية تؤمن وتمارس وتعلن أن ما من واحد من الذين يوجدون خارج الكنيسة الكاثوليكية ، وليس الوثنيين وحدهم وإنما اليهود والهراطقة والمنشقون ، لا يمكنهم ان ينعموا بالحياة الأبدية وإنما سيذهبون الى النار الدائمة التى أعدت للشيطان وملائكته". وهو ما يؤكده مجمع الفاتيكان الثانى بعبارات مختلفة فى وثيقة **"نور الأمم"** ، على الأقل فى بنود 1 ، 14 ، 48 وخاصة البند 9 الذى يقول : " ان الكنيسة هى أداة الفداء لكافة البشر".. وذلك هو ما أصرّت عليه وثائق مجمع الفاتيكان الثانى ، كما أكد عليها البابا يوحنا بولس الثانى فى خطابه الرسولى **"المسيح فادى البشر"**. وتزايد الإصرار عليها فى نصوص فترة ما بين 1980 و1990 ، ومنها وثيقة **"حوار وتبشير"** (1984) ، وفى وثيقة **"حوار وتبليغ"** (1991). وفى الوثيقة الخاصة بغير المسيحيين (1984) تبدو فيها مهمة الكنيسة التبشيرية تعتمد على النقاط الأساسية التالية : الشهادة ؛ الإنتماء ؛ معايشة الطقوس ؛ الحوار مع غير المسيحيين بحثا عن الحقيقة ؛ والإعلان عن يسوع . فعلى حد قول البند 13 : "ان كل هذه العناصر تدخل فى عملية التبشير" ..

وذلك يعنى أنه بالنسبة للكنيسة فإن الحوار بين الأديان هو عبارة عن تبشير ، "وكلها وسائل لتطوير الثقافات وتبديلها عن طريق الإنجيل والتبشير"، وعن طريق الغرس الثقافى الذى تقوم به فى مختلف البلدان .. وما أكثر الوثائق التى صدرت لتحدد معنى الحوار بالنسبة للكنيسة ، وما أكثر الخطب الرسولية التى تتناول هذا المضمون. والخطاب الرسولى معروف أنه عبارة عن توجيه عام لكل التدرج الكنسى، فهو الذى يحدد خط سير كافة المؤسسات التى تكوّن الفاتيكان والكرسى الرسولى. أى أنه لا يمكن ولا يجوز لها إغفالها أو التغافل عنها.

♦ **وثائق مجمع الفاتيكان الثانى**

لقد أصدر المجمع ستة عشر وثيقة متفاوتة الطول ، من حوالى عشر صفحات الى قرابة المائة. وكل وثيقة تنتهى بعبارة : "مجمل هذا النص وكافة البنود الواردة فيه قد راق لآباء المجمع. ونحن ، بموجب السلطة الرسولية المخوّلة لنا من المسيح ، وبالتوافق مع الأباء المبجلين ، نقرّها ونصدّق عليها فى الروح القدس ونأمر بأن ما تم إقراره فى المجمع يتم نشره لمجد الله " ، ويليه توقيع البابا .. وهى وثائق مدرجة تحت ثلاث مسميات :

أربعة دساتير أو قوانين أساسية مجمعية (Constitutions conciliaires) ؛ وتسعة قرارات (Décrets) ؛ وثلاثة بيانات (Déclarations) ؛ عناوينها كالآتى ، دون مراعاة ترتيب تواريخ إصدارها :

* **الدساتير أو القوانين الأساسية المجمعية** :

الطقوس المقدسة ؛ نور الأمم ؛ الوحى الإلاهى ؛ الكنيسة فى عالم اليوم (وهو أطول النصوص الصادرة عن المجمع ، وقد تناول كل الموضوعات التى أفرد لها نصا مستقلا).

* **البيانات** :

التعليم المسيحى ؛ علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية (المعروفة باسم **"فى زماننا هذا"** وهى أقصر النصوص وأكثرها مثاراً للجدل) ؛ وحرية العقيدة .

* **القرارات:**

وسائل الإتصالات الإجتماعية ؛ الكنائس الكاثوليكية الشرقية ؛ توحيد الكنائس ؛ المهمة الرعوية للأساقفة ؛ تجديد وتأقلم الحياة الدينية ؛ تكوين القساوسة ؛ تجنيد المدنيين ؛ النشاط التبشيرى للكنيسة (وعنوانها **"بين الأمم"**) ؛ و مهام وحياة القساوسة .

♦ **أهم القضايا التى تناولها المجمع**

* الكنيسة ، بمختلف مكوناتها ، وذلك من خلال وثيقة **"نور الأمم"** ، التى ينص الفصل الثانى منها على أن الله لا ينقذ البشر أفراداً فحسب وإنما شعوباً أيضا ، لذلك كان قد اختار قديما الشعب

اليهودى وتحالف معه ليجعل منه "شعب الله المختار". ثم تلى ذلك التحالف الذى تم مع المسيح ، وبذلك أوجد شعب الله المختار الجديد ، كما يقولون ، الذى اختاره وفقا للروح وليس وفقا للجسد. وبذلك فكل إنسان مجبر على تلبية نداء المسيح ، وكل البشر مطالبون بالإنتماء للكنيسة. ولا نفهم كيف يمكن الإعلان عن ان المسيحيين هم "شعب الله الجديد" ، ولا ترد هذه العبارة أبدا فى العهد الجديد بالنسبة للكنيسة التى لم تكن موجودة أصلا أيام المسيح ؟!

ونطالع فى البند 16 من هذه الوثيقة : "والذين لم يتلقوا الإنجيل بعد مأمورون بصور مختلفة للإنضمام الى شعب الله" أى أنهم مأمورون بالإنضمام الى الكنيسة ! وهذا يوضح الموقف الفعلى للكنيسة تجاة المسلمين وتجاه أتباع الديانات الأخرى ، وأن الجميع مأمورين بصور مختلفة باعتناق المسيحية.. كما تناولت هذه الوثيقة ولأول مرة فى التاريخ فرض مساهمة المدنيين ، الذين هم خارج الكيان الكنسى ، فى عملية التنصير. وذلك خلاف القرار الخاص الصادر بشأن هذا الموضوع على حدة.

* الشعائر ، وهو من أوائل الموضوعات التى تمت مناقشتها ، بفكرة دراسة كيفية إستعادة الأتباع إلى حضور الطقوس والشعائر الكنسية والمساهمة فى إحيائها بدلا من التباعد عنها. كما أقر إستخدام اللغات المحلية للتقريب بين الشعوب المختلفة والكنيسة.

* النص المقدس ، والمقصود به الكتاب المقدس بجزئيه وخاصة الأناجيل ، التى كان قد دار حولها منذ انعقاد مجمع الفاتيكان الأول ، أى طوال قرن من الزمان ، العديد من الدراسات العلمية ومنها بأقلام كنسيين ، أطاحت بمصدقيتها تماماً . ومن الواضح ان المقصود من فتح هذا الملف هو كيفية تلافى الوقوف عند ما لا منطق فيه ، مع تقديم تفاسير جديدة تجتاز هذه المآخذ.

* الأساقفة والإعلاء من دورهم ، وخاصة إشراكهم فى تحمل أعباء البابا مشاركة. وهذه مخالفة أخرى لما هو متبع منذ قرون.. ولتلافى الإحتجاجات بقدر الإمكان استقر الرأى على ان يكون للكنيسة قيادتين مشتركتين أو متجاورتين وفقا للحالات : البابا ؛ والبابا ومجمع الأساقفة.

* الإلحاد ، وهى المرة الأولى فى تاريخ الكنيسة ان تطرح مثل هذا الموضوع للمناقشة بحثا عن حلٍ لتزايد إنتشاره بين الأتباع . والغريب أنها لم تتناول حقيقة ما أدى الى الإلحاد بمعنى الصدمة التى تعرض لها الأتباع من تزايد الأبحاث القاطعة التى تكشف زيف النصوص الأساسية.

وبعد إنتهاء المجمع أقسم الأساقفة على الإلتزام بكل ما جاء فى قراراته. وتم الإعلان عن عدة قرارات جديدة لتدعيم ما توصل اليه المجمع :

* إقامة إحتفالية لمدة أربعة أشهر من بداية عام 1966 لحث كافة الكاثوليك على دراسة قرارات المجمع وتقبلها ومساندتها والعمل بها.

* تغيير إسم "المكتب المقدس" الذى كان سابقا يحمل إسم "محاكم التفتيش" وجعله : "لجنة عقيدة الإيمان" ، ولا يزال يحمل هذا الإسم الى يومنا هذا .. الأمر الذى يكشف أن محاكم التفتيش لا تزال قائمة وإن كانت تتخذ اساليب مختلفة أو أكثر إلتواءاً بدلا من السحل أو القتل حرقاً بحضور المواطنين حتى يتعظوا ..

* إنشاء سكرتارية خاصة أو لجان للعناية بكل من : وحدة المسيحيين ؛ الديانات غير المسيحية ؛ الديانات غير التوحيدية.

* إنشاء لجنة للحوار ؛ ولجنة لتنصير العالم .

♦ **أهم الوثائق التى أصدرها**

لسنا هنا بصدد تناول الستة عشر وثيقة المتفاوتة الطول التى أصدرها المجمع الفاتيكانى الثانى أو عمل تحليل لها، لكنه من الضرورى تناول بعضها ، على سبيل المثال ، لتوضيح أنه أياً كان موضوع الوثيقة وأياً كانت أهميتها الرعوية فهناك دائما تأكيد على دور الكنيسة التبشيرى وعلى ضرورة تنصير العالم ، بأساليب متفاوتة ، لكن الإصرار واحد عبر كل الإصدارات ، وهو ما يمكن تلخيصه بأن هذا المجمع إنعقد لتدارس كيفية تنصير العالم ، لضلوعه سياسيا فى ذلك التحالف الشيطانى الرامى إلى العولمة، بحيث يصبح العالم قرية واحدة ، بنظام سياسى وإقتصادى ودينى واحد ..

* **دستور "حول الوحى"** (Dei Verbum) :

تتكون الوثيقة المتعلقة بالوحى من ستة فصول تتضمن 26 بنداً. وعلى عكس ما كانت المؤسسة الكنسية تفرضه قديما وحتى مجمع الفاتيكان الأول ، من "أن الله هو المؤلف الوحيد" للكتاب المقدس ، نراها فى هذه الوثيقة تعلن عن تنازل فاضح لتقول أن من كتبوا الكتاب المقدس مجرد بشر، مع مراعاة تقديم هذا التراجع بكبرياء وبهلوانية .. إذ نراها تبدأ بتحديد أنها تتبع نفس

خطوات مجمع ترانت ، ومجمع الفاتيكان الأول ، و"أن المجمع الحالى يعرض العقيدة الأصلية للوحى الإلهى وكيفية نقلها حتى يؤمن بها العالم أجمع" !.

وبعد تناول كيفية تجسد الله فى يسوع ثم صعوده ثانية عن طريق الروح القدس "فإن الله اللامرئى يخاطب البشر بهذا الوحى وهو يغدقهم حباً وكأنهم أصدقاء ، ويتحدث معهم ليدعوهم ويتقبلهم لمشاركة حياته (...) وأن الحقيقة العميقة لهذا الوحى الواضح حول الله وخلاص البشر يتألق بالنسبة لنا فى المسيح الذى هو فى آن واحد الوسيط واكتمال الوحى كله" (بند 2).

وفى البند الرابع تؤكد الوثيقة : "بما أن النسق المسيحى هو العهد الجديد والنهائى فلن يكون هناك أبداً أية رساله إلهية جديدة يتم إنتظارها حتى تجلّى ربنا يسوع المسيح منتصراً" .. وهذه العبارة فى البند الرابع تؤكد أن الكنيسة تصر على فرض أن المسيحية هى الرسالة السماوية الأخيرة وأنه لا توجد بعدها رسالات أخرى، وبذلك يتم إستبعاد الإسلام تماما من الرسالات السماوية ، وهو ما يمهد لوثيقة **"فى زماننا هذا"** ، التى تحدد علاقة الفاتيكان بالمسلمين رسمياً بعد أن وضعت الإسلام ضمن ديانات جنوب شرق آسيا كما سنرى عند تناول تلك الوثيقة.

وبعد تأكيد أن المسيحية هى من أجل خلاص كافة الأمم نطالع "أن المسيح قد أعلن الإنجيل بنفسه وأمر حوارييه بأن يبشروا به (...) وقام الحواريون بذلك بكل أمانة شفوياً أو بما كانوا يتلقوه من الروح القدس، أو عن طريق بعض مؤرخى القديسين من حولهم والذين كتبوا رسالة الخلاص بوحى من الروح القدس (...) إلا أنه لكى يظل الإنجيل محفوظا سليما دون أن يمسه شئ فإن الحواريين قد تركوا الأساقفة خلفاً لهم " .. وهو ما يعنى أن الأناجيل متواصلة السند من ربهم الى يسوع ، ومنه للحواريين ، ومنهم للأساقفة الذين توارثوا وحدهم مهمة حفظه وتبليغه عبر العصور.. بغض الطرف عن عمليات التغيير والتبديل والتحريف التى قاموا بها ، مؤكدين أن التراث والنصوص المقدسة تمثل الإيداع الوحيد لكلام الله (بند 10) وأنها تعتبرها جميعها مقدسة بما أن وحيها تم بمعرفة الروح القدس وان الله هو المؤلف وتم إسنادها كما هى للكنيسة .. لكن الله لكى يؤلف هذه الكتب المقدسة قد إختار بشرا واستعان بإمكانياتهم ووسائلهم لكى يقوم بنفسه بدفعهم الى كتابة كل ما كان موافقا لرغبته فحسب ، وان يدوّنوها كمؤلفين حقيقيين. وكل إضافات المؤلفين الملهمون أو مؤرخو القديسين إعتبرها إضافات من الروح القدس ولا بد من إعلان تعاليم هذه الكتابات بصرامة وبأمانة وبلا خطأ لأنها الحقيقة التى أراد الله أن يضمنها فى النصوص المقدسة من أجل خلاصنا (ب 11) !

أما البند التالى فينص على أنه "لكى نكتشف تماما معنى هذه النصوص المقدسة لا يجب الإهتمام بالمضمون أو بوحدة النص نظرا للتراث الحىّ لكل الكنيسة وتبعية الإيمان"، أى أنه

يجب التغاضى عن المتناقضات أو عن كل ما بها من لا معقول ، "وأن هذه الكتب، مع مراعاة أن بها ما هو غير صحيح أو بالى فهى رغم ذلك تمثل شهادة على علم تربوى إلهى حقيقى" ..

وتنتهى الوثيقة بتأكيد أن يتولى الأساقفة كيفية تعليم العقيدة الرسولية للأتباع بترجمة النصوص المقدسة وتزويدها بالتفسير اللازم الكافى حتى يتعاملوا معها بأمان .. "والأكثر من ذلك أن يتم عمل طبعات للنصوص المقدسة لغير المسيحيين ، مزودة كما يجب ومكيّفة وفقا لموقف المتلقى، بحيث يمكن للرعاة أيا كان وضعهم أن يجيدوا نشرها بلباقة" !!

* **<u>دستور "نور الأمم"</u> (Lumen Gentium)** :

تمثل وثيقة "**نور الأمم**" العمود الفقرى للنصوص الصادرة عن المجمع ، وواحدة من الدساتير الأربعة التى أصدرها مجمع الفاتيكان الثانى ، بما أن قراراتها ومحتوياتها تتعلق بالنصوص الأخرى التى أصدرها. وهى إجمالا تتناول النقاط الثمانية التالية : سر الكنيسة أو غموضها ؛ النشاط التبشيرى بين البشر ؛ شعب الله ؛ الكنائس الشرقية الكاثوليكية ؛ تكوين القساوسة ؛ الإستعانة بالمدنيين ؛ تجديد وتأقلم الحياة المدنية ؛ الكنيسة فى مسيرتها وإتحادها مع كنيسة السماء. وتبدأ أول جملة فى نص هذه الوثيقة بعبارة "أن المسيح هو نور الأمم" ، وهى مستوحاه إجمالا من الخطاب الرسولى للبابا بيوس الثانى عشر ، الصادر فى يونيو 1949 ، والذى وصف فيه الكنيسة بأنها "الجسد المجازى ليسوع المسيح".

وقد أوضح المجمع أن الكنيسة تعيش علاقة متواصلة مع المسيح ومع البشر ، وهو ما تم توضيحه فى الدساتير الأربعة. وتلك المتعلقة منها بالوحى وبالطقوس تؤكد أن الكنيسة تتلقى كل شئ من المسيح ، بمعنى "المسيح وإكتمال عملية الوحى" ، وان المسيح فى قلب صلاتها وعباداتها على أنه القس الوحيد الكبير. كما تنص وثيقة دور الكنيسة فى عالم اليوم على رغبتها وإصرارها على ان تخدم الإنسانية : أى أنه "ما من إنسان يمكنه الإفلات من العلاقات التى تريد أن تقيمها مع كل فرد ، مع احترام حريته" !؟.. فكيف يتم التنصير مع إحترام حرية الفرد ؟ ..

كما تناولت وثيقة "**نور الأمم**" الإصلاحات المتعلقة بإدارة الكنيسة والتأكيد على مكانة الكتاب المقدس فى حياة وطقوس الكنيسة ، كما اكدت على أهمية البعد الجماعى للإفخارستيا وبقية أسرار الكنيسة. وقد تم البحث عن وسائل جديدة للبعثات التبشيرية التى لا تنفصل عن الحوار مع الديانات الأخرى ، وان هذا قرار لا رجعة فيه.

ونطالع أحد مطالب الوثيقة على سبيل المثال ، لما هو مفروض على المسلمين ، فى البند السادس عشر منها ، والذى ينص على ما يلى :

"وأخيرا بالنسبة للذين لم يتلقوا الإنجيل بعد فهم مأمورون بصور شتى أن ينضموا لشعب الله، وأولهم ذلك الشعب الذى تلقوى العهود والوعود ، والذي خرج منهم المسيح وفقا للجسد ، وهو شعب حبيب من حيث الإختيار، بسبب الآباء ، لأن الله لا يندم على ما يهبه ولا على من يناديهم. إلا أن غاية الخلاص تضم أيضا الذين يعترفون بالخالق ، وأولهم المسلمين الذين يعلنون أن لديهم إيمان إبراهيم ، ويعبدون معنا الإله الوحيد (le Dieu unique) ، (...) فإن كل ما يوجد لديهم من طيّب وصدق فإن الكنيسة تعتبره كإعداد إنجيلى وكهبة من الذى ينير كل إنسان لتكون له الحياة. وللأسف فإن كثيرا ما يخدع الشيطان البشر ، لذلك ينساقوا للضياع فى تفكيرهم لأنهم أهملوا الإله الحقيقى من أجل مخلوقات كاذبة ، وخدموا المخلوق بدلا من الخالق ، أو يعيشون ويموتون بلا إله فى هذا العالم ، لذلك يتعرّضون لأقصى أنواع اليأس. ولذلك فإن الكنيسة المهتمة بمجد الله وبخلاص كل البشر، تتذكر وصية الرب : "بشروا الإنجيل لكل الخليقة" (مرقص 16 : 16) ، وتضع كل عنايتها لمساندة ولتشجيع بعثات التبشير"..

ولو تأملنا هذا النص لوجدنا أنه يأمر غير المسيحيين بالدخول فى المسيحية والإنضمام الى "شعب الله" ، الذى هو حاليا المسيحيون ، وليس اليهود ، الذين هم أيضا مأمرون بالدخول فى سر المسيح.. ثم نرى النص يذكر المسلمين إسماً و تحديداً ، الذين يعترفون بالخالق ، يعترفون بوجوده فقط ولا يعبدونه وإنما يعبدون كائنات كاذبة ، ويتصورون أنه "لديهم" إيمان سيدنا إبراهيم ، أى انه تصور وليس حقيقة .. وان المسلمين قد خدعهم الشيطان وضلّوا فى تفكيرهم بحيث تركوا "الإله الحقيقى ليعبدوا أكاذيب".

وتحديد أننا كمسلمين نعبد معهم "الإله الوحيد" هو الدافع وراء الوثيقة التى جاهد الفاتيكان للحصول عليها ، بعد ان قام البابا بنديكت 16 بسب الرسول عليه الصلاة والسلام وسب الإسلام والمسلمين فى محاضرة راتيسبون سنة 2006 ، كما سنرى فيما بعد فى خطاب ال 138 عالما أو خطاب "**تعالوا الى كلمة سواء**"، الذى يزعمون فيه ويقرون بأننا "نعبد نفس الإله" !! ونظرا لضياع المسلمين بلا إله حقيقى فإن الكنيسة تضع كل طاقاتها لمساندة وتشجيع عمليات التبشير والتنصير ، إعتمادا على مقولة يسوع : "بشروا الإنجيل لكل الخليقة" ! والمعروف أن الإنجيل أو الأناجيل لم تكن مكتوبة أيام المسيح ، وإن هذه العبارة إضافة لاحقة أُضيفت لإنجيل متّى ، وهو الأمر الثابت من نسخة الإنجيل التى ترجع الى القرن الرابع والمعروفة والمعروضة

باسم "**كودكس سينايتيكوس**" (Codex Sinaiticus) المكتشف فى سيناء وينتهى عند الإصحاح 8 وليس الإصحاح 16 ، الذى هو إضافة لاحقة مثل آلاف الإضافات والتناقضات..

ولأول مرة يتناول هذا المجمع قضية الكنيسة ويتساءل حول كنهها وكيانها خاصة بعد أن تباعد عنها الأتباع بصورة لا يمكن إغفالها. وتم تحديد أن الكنيسة "هى من الأسرار المسيحية ، أى أنها علامة وأداة الإتحاد الحميم لله مع البشر ووحدة كافة البشر" (بند 1)، لذلك تسهب هذه الوثيقة فى تناول وتعريف سر الكنيسة فى ثمانية بنود ، ومنها تخرج بضرورة إتحاد الكنائس بصورة لا رجعة فيها مع كافة العقائد المسيحية. وأول تغيير ملحوظ هو تغيير مسمى "الهراطقة المنشقون" إلى "الإخوة المتفرقون" ، وأنه لا بد من لمّ الشمل للوصول إلى الكنيسة العالمية.

فمنذ أولى كلمات وثيقة "**نور الأمم**" يعلن المجمع بصورة محددة وصارمة عن نيّته : "أن الكنيسة تعنى الإعلان بصورة أكثر دقة لأتباعها وللعالم أجمع عن طبيعتها وعن رسالتها العالمية فهى تبشيرية بحكم طبيعتها" .. وهذه المهمة مشروحة بالتفصيل منذ الفصل الثانى ، والهدف المعلن بلا مواربة هو توصيل الإنجيل لمن لم يتلقوه بعد (بند 40، ومن 47 الى 52 وغيرها) وخاصة إلى المسلمين.

وعلى الرغم من الإنقسام الذى حدث فى الكنيسة نتيجة لهذا المجمع ، والمعروف بأزمة الأسقف لوفڤر (Mgr Lefebvre)، فإن سينودس الأساقفة الذى إجتمع فى عام 1985 للإحتفال بمرور عشرين عاما على مجمع الفاتيكان الثانى، تم ليؤكد على إستمرار قراراته وتوجيهاته المتعلقة بالمسائل الكنسية وبوحدة الكنائس وتنصير العالم. وقد أشاد الجميع فى هذا السينودس بأن مجمع الفاتيكان الثانى يمثل نهاية عصر قسطنطين وكل ما عُرف بالقدرة على الإصلاح (ضد البروتستانتية)، وأن هذا المجمع الفاتيكانى الثانى قد فتح الآفاق واسعة لفكر وحياة الكنيسة الكاثوليكية التى انخرطت فى حوار ضرورى مع الجميع ، مؤمنين وغير مؤمنين. أنه بمثابة خطوة حاسمة نحو الألفية الثالثة التى يجب أن يتم فيها تحقيق الكنيسة العالمية أو توحيد كافة الكنائس وتنصير العالم .. وهذا التحديد الأخير يوضح معنى الإصرار على تنصير العالم .

* **دستور "الفرحة والأمل"** (Gaudium et spes)**:**

الدستور الرعوى للكنيسة فى عالم اليوم الصادر بعنوان "**الفرحة والأمل**" هو واحد من الوثائق المهمة لمجمع الفاتيكان الثانى ، وقد أقره 2307 أسقفا ورفضه 75 ، وصادر فى آخر يوم من

أيام المجمع. وقد احتلت هذه الوثيقة مكانة كبيرة فى تعاليم البابا يوحنا بولس الثانى ، وكان قد ساهم بقدر كبير فى صياغتها أيام المجمع رغم صغر سنه آنذاك.

وتتكون الوثيقة من جزئين ، الجزء الأول يتضمن أربعة فصول ، هى : كرامة الإنسان ؛ الجماعة الإنسانية ؛ النشاط الإنسانى فى الكون ؛ دور الكنيسة فى عالم اليوم. أما الجزء الثانى فيتضمن خمسة فصول ، هى : كرامة الزواج والأسرة ؛ إنبعاث الثقافة ؛ الحياة الإقتصادية الإجتماعية ؛ حياة الجماعة السياسية ؛ الحفاظ على السلام وبناء جماعة الأمم.

وفى البند الثانى من التمهيد نطالع تحت عنوان "لمن يتوجه هذا المجمع ؟" : "إن مجمع الفاتيكان الثانى لا يتردد فى أن يتوجه حاليا لا إلى أتباع الكنيسة فحسب وإلى كل أتباع المسيح ، وإنما إلى كافة البشر. فهو يود أن يعرض عليهم كيف يتصور وجود وعمل الكنيسة فى عالم اليوم"..

ولأول مرة فى التاريخ تتناول الكنيسة موضوع الإلحاد بصورة رسمية أو علنية ، وتتعرض لأشكال وجذور الإلحاد ، والإلحاد المنهجى ، وموقف الكنيسة فى مواجهة الإلحاد. إلا ان المجمع المبجل لم يتعرض للمشكلة من أساسها أو للأسباب التى أدت إلى الإلحاد ، وهى الحقائق التى تكشفت بوضوح لا ريب فيه لتدين النصوص الكنسية من أناجيل إلى وثائق وغيرها بالتحريف والتزوير ، وكل ما أدى إلى تكوين هذه المؤسسة من فريات والجذور التاريخية لها والقائمة على تلال من الأكاذيب والإنحرافات.. وهو ما أدى إلى إبتعاد الآلاف أو الملايين من الأتباع وإلى إيجاد عبارة "النزيف الصامت للكنيسة" للذين يبتعدون بلا ضجيج !

وفى الفصل الرابع من الجزء الأول فى دور الكنيسة فى العالم اليوم نطالع فى البند رقم 40 ، تحت عنوان "العقبات المتبادلة بين الكنيسة والعالم : "أن الكنيسة تتبع غاية خَلاصية وأخروية لا يمكن تحقيقها تماماً إلا فى القرن القادم" .. وإذا تذكرنا أن هذا النص يرجع إلى عام 1965 ، وأن ذلك القرن القادم المشار إليه قد بدأ فعلا وإنتهى أول عقد فيه ، بعد أن أصبح جليا للجميع أن عملية تنصير العالم وإقتلاع الإسلام والمسلمين أمر واقع بكل جبروت ولا مفر منه فى نظرهم..

ثم تناولت الوثيقة العلاقة المتداخلة بين الإيمان والثقافة وكيفية إستخدامها فى عملية التبشير نظرا للتوافق الذى يوجد بين الثقافة والمسيحية .. بل لقد تم إشتقاق كلمات جديدة للتعبير عن الإقتلاع الثقافى والغرس الثقافى لتتواصل عمليات إقتلاع الثقافات القائمة خاصة فى البلدان الإسلامية وغرس المفاهيم الكنسية والأناجيل كما يصرون !

ونفس التوجه من ضرورة تبليغ الإنجيل لكافة البشر نطالعه فى هذه الوثيقة ، اى أن مجمع الفاتيكان الثانى لا يكف عن ترديد هذا القرار فى كل وثائقه معلناً "أن مجمع الفاتيكان لا يتردد فى أن يتوجه لا إلى أتباعه فحسب وإلى كل من يتبعون المسيح وإنما إلى كافة البشر. فهو يود الإعلان للجميع كيف يتصور وجود وعمل الكنيسة فى عالم اليوم" ..

وفى البند الثانى نطالع : "أن العالم الذى يضعه نصب عينيه هو عالم البشر ، الأسرة الإنسانية بكاملها فى الكون الذى نعيش فيه. أنه المسرح الذى يؤدى عليه تاريخ الجنس البشرى ، أنه العالم وقد تشكل بمجهود الإنسان ، بهزائمه وإنتصاراته. وبالنسبة لإيمان المسيحيين فإن هذا العالم قد تم إنشاؤه والحفاظ عليه بحب الخالق ؛ نعم لقد سقط تحت عبودية الخطيئة ، إلا أن المسيح بالصلب والبعث قد حطم سلطة الشيطان وحرره ليتحول وفقا لغاية الرب ويصل إلى الكمال"..

فكل ما حاولت هذه الوثيقة أن توضحه وتثبته أنه لم تعد هناك مواجهة بين الكنيسة والرعية ، وإنما "الكنيسة هى موجودة فى زماننا هذا ، أنها فى قلب هذا العالم لتقوده إلى الخلاص". أى أن هذه الوثيقة تؤكد المقولة الشهيرة "خارج الكنيسة لا يوجد خلاص" ، لأن التبشير يعنى "إضفاء الأنسنة على العالم" من خلال الحوار للوصول إلى تنصير العالم !

* **بيان "الحرية الدينية"** (Dignatatis Humanae) **:**

تتكون هذه الوثيقة من مقدمة وفصلين وخاتمة ، تقع جميعها فى 15 بنداً. تحتل المقدمة البند الأول ، وتدور حول ضرورة حرية ممارسة الدين فى المجتمع ، وأن المسيحية ، "**هذا الدين الأصيل الوحيد نؤمن بأنه يوجد فى الكنيسة الكاثوليكية الرسولية وحدها و التى أوكل إليها ربنا يسوع مهمة تبليغها إلى كافة البشر ، حين قال لهم : "إذهبوا وكرزوا جميع الأمم باسم الآب والإبن والروح القدس** " (متى 29 : 19-20) **!**

وأكبر دليل على زيف هذه الوصية المسندة زورا إلى يسوع ، فى إنجيل متّى ، أن بدعة الثالوث قد تم إختراعها فى القرن الرابع ، فى مجمع القسطنطينية سنة 381 ميلادية .. فكيف يمكن أن توجد فى نص تمت صياغته ، كما يقولون ، فى النصف الثانى من القرن الأول الميلادى ؟!

ويمتد الفصل الأول عبر البنود من 2 إلى 8 ، تحت عنوان "المذهب العام لحرية العقيدة" ، مؤكدا "أن حرية العقيدة يجب أن تمثل حقا يندرج فى اللوائح القانونية ليمثل حقاً مدنياً للجميع" ثم يوضح البند السادس "**أنه لا يحق للسلطة المدنية أن تفرض على المواطنين عقيدة ما أو أن**

تمنع شخص ما من الإنخراط فى مجتمع دينى مخالف أو أن يخرج عن عقيدة مجتمعه" ..
وهى صيغ ملتوية للتحايل على قانون حد الردة الذى لا يتم استخدامه فى الجانب الإسلامى بل الكنيسة هى التى تطارد من يتجه من أتباعها إلى الإسلام ..

أما الفصل الثانى فهو بعنوان "حرية العقيدة على ضوء الوحى" ، ويمتد من البند 9 الى 14 ، الذى يوضح تحت العنوان الفرعى "وظيفة الكنيسة" أنها تنص على كافة أتباعها أن يأخذوا العقيدة المقدسة للكنيسة التى هى ، وفقا لإرادة المسيح ، سيدة الحقيقة ، وأن وظيفتها هى الإعلان عن سلطتها لتأكيد مبادئ النظام الأخلاقى الناجم عن طبيعة البشر ، وأن المسيحيين يجب عليهم التوجه بالحكمة إلى كل من هم خارج الكنيسة ، وأن يجتهدوا لنشر نور الحياة بكل تأكيد وشجاعة رسولية إلى درجة نزف دمائهم " !

وتشير الخاتمة ألى ان هناك أنظمة يعترف دستورها بحرية العقيدة إلا أن السلطات المدنية ذاتها تجاهد لمنع المواطنين من ممارسة الدين وتجعل حياة المجموعات الدينية صعبة وواهنة " ! والإشارة واضحة لمن يتوجه هذا الخطاب الملتوى ..

* **<u>قرار "بين الأمم"</u>** (Ad gentes) **:**

نتناول هذا القرار السادس من القرارات التسعة التى أصدرها المجمع بشئ من التفصيل لأنه متعلق بدور الكنيسة بين الأمم ، أى بين الشعوب. وهى تتكون من مقدمة وسته فصول وخاتمة ، عناوين الفصول وأقسامها الداخلية كالآتى :

1 ـ <u>مبادئ عقائدية</u> : خطة الآب؛ رسالة الإبن؛ رسالة الروح القدس؛ الكنيسة مرسلة من المسيح؛ النشاط التبشيرى؛ سبب وضرورة التبشير؛ النشاط التبشير فى الحياة وعبر التاريخ البشرى؛ الطابع الأخروى للنشاط لتبشيرى؛

2 ـ <u>العمل التبشيرى ذاته</u> : مقدمة؛ شهادة الحياة والحوار؛ وجود الرحمة؛ تغيير العقيدة (ضرورة تنصير كافة البشر بإصرار ودأب)؛ الإعداد المسيحى؛ تكوين الأمة المسيحية؛ إستتباب الإكليروس المحلى؛ تكوين الدعاة؛ الحث على الحياة الدينية؛

3 ـ <u>الكنائس الخاصة</u> : تزايد الكنائس الجديدة؛ النشاط الرسولى الخاص بها؛ تشجيع تجنيد المدنيين؛ التنوع فى الوحدة؛

4 ـ المبشرون : الرسالة التبشيرية؛ تديّن المبشرين؛ التكوين الدينى والأخلاقى؛ التكوين العقائدى والرسولى؛ المؤسسات التى تعمل فى التبشير؛

5 ـ تنظيم النشاط التبشيرى : مقدمة؛ تنظيم عام؛ تنظيم محلى فى الإرساليات؛ التنظيم المحلى؛ تنظيم نشاط المؤسسات؛ التنظيم بين المعاهد الكنسية؛ التنظيم بين المعاهد العلمية؛

6 ـ التعاون : مقدمة؛ الواجب التبشيرى لكل شعب الله؛ الواجب التبشيرى للجماعات المسيحية؛ الواجب التبشيرى للأساقفة؛ الواجب التبشيرى للقساوسة؛ الواجب التبشير لمعاهد الكمال؛ الواجب التبشيرى للمدنيين العلمانيين – أى الذين هم خارج الكادر الكنسى.

وتقدم وثيقة "**بين الأمم**" تلخيصاً لكل ما تم تناوله من مناقشات وأبحاث لتأسيس الكنيسة وترسيخها فى المجتمع المحلى والدولى على السواء، لذلك لم تتناول الأسس اللاهوتية لعملية التبشير فحسب وإنما أضافت بعض التأملات حول الطبيعة الدينية والروحية لهذا النشاط وحول الكنائس الشابة التى سيتم غرسها نتيجة للنشاط التبشيرى.. **"فالكنيسة لا يجب أن توجد فى العالم إلا فى حالة تبشير"**، لأنها هى ذاتها تبشير .. **"ولا يجب عليها إستبعاد أى وسيلة من الوسائل الحديثة أو العصرية التى تقوم بتسهيل هذا الوجود النشط خاصة فى وسائل الإتصالات الإجتماعية".**

وإذا كانت الكنيسة تعتبر نفسها فى حالة تبشير متواصل فقد تم تأكيد هذا التوجه بصورة لافتة منذ الخطاب الرسولى الذى كان البابا بيوس الثانى عشر قد أعلنه فى إبريل 1957 بعنوان "**أمنح الإيمان**" ، ويمثل نقطة تحول صريحة فى تزايد عملية التبشير. فقد كان من نتيجته ، وفقا لموقع "أساقفة فرنسا" ، إرسال أكثر من 1300 قس فرنسى للتبشير فى إفريقيا وأمريكا اللاتينية وتحويل أكثر من 180 جمعية تنصيرية الى جمعيات دولية. وفى نفس الفترة تم تكوين تجمعات مدنية للتعاون مع القساوسة ، بحيث تم إرسال اكثر من 2700 قس فرنسى خارج فرنسا فى عام 2005 – وإن كان العدد سنة 1994 كان قد وصل إلى 7000 منصّر من فرنسا وحدها.

وتتناول وثيقة "**الى الأمم**" النشاط التبشيرى للكنيسة والعقائد المذهبية الأساسية لعملية التبشير، فالإعداد لها يجب ان يتضمن معرفة اللاهوت ، وعلم الأجناس، والتاريخ والجغرافيا، ومناهج الإتصال ، ومقارنة الأديان ، والتفسير المسيحى ، والإعتبارات المنهجية بين مختلف المسميات المسيحية. فعلى مر العصور لم يكتف المبشرون بالتعميد وغرس الكنائس فى كل جزء من العالم إعتباطا ، وإنما قاموا بدراسة الأديان والمناطق وألفوا القواميس لتسهيل عملية التواصل.

ومنذ اولى كلمات هذه الوثيقة نراها تنص على "**أن الكنيسة ترمى بكل كيانها وجهودها إلى تبشير الإنجيل لكافة البشر**" ، و"**أن الكنيسة مطالبة بإلحاح لإنقاذ وتجديد كافة البشر ليعود كل شئ إلى المسيح ولتصبح كل الشعوب عبارة عن أسرة واحدة مندمجة فى المسيح وتصبح شعب واحد هو شعب الله**".. وفى البند السادس من الفصل الأول نطالع : "أن المبشرين الذين ترسلهم الكنيسة ليبشروا كافة الشعوب ويغرسوا الكنائس فى أرض هذه الشعوب والجماعات التى لم تؤمن بعد بالمسيح" .. مبررين بأن هذا النشاط "**يرجع إلى رغبة الله الذى يريد أن يتم إنقاذ كافة البشر ليعرفوا الحقيقة لأنه لا يوجد سوى إله واحد ووسيط واحد هو يسوع المسيح ، فيجب على الجميع أن يتبدلوا ويعتنقوا الإيمان بالمسيح**".

وتتناول الوثيقة فى الفصل الثانى أهمية الحوار فى عملية التبشير وتنص على "أهمية وجود الكنيسة بين المجاميع الإنسانية من خلال أبنائها ، لأن جميع أبناء الكنيسة مكلفون بتبليغ الرسالة بحكم تعميدهم فى الصغر".. ثم تتناول كيفية التبشير المحلى وأهمية تكوين رجال دين محليين يجيدون اللغة والعادات والتقاليد ، ويعرفون كيف يجدون المداخل المناسبة لعملية التبشير والتنصير.

ويسهب الفصل الرابع فى شرح رسالة المبشرين وتكوينهم الدينى والأخلاقى وتكوينهم العقائدى والرسولى ، "لأنه يجب على كل فرد فيهم أن يكون معداً ومستعداً فى تخصصه ومجاله ليكون على مستوى المسؤلية ومستوى متطلبات رسالته"..

أما الفصل الخامس فيتناول كيفية ترتيب وتنظيم النشاط التبشيرى بصفة عامة ، ثم يتناول التنظيم المحلى للبعثات التبشيرية وأهمية التنسيق بينها. كما تنص الوثيقة على ضرورة التنسيق بين المعاهد والمؤسسات الدينية المحلية والخارجية .. وفى البند 41 تتناول الوثيقة "واجب التبشير بالنسبة للمدنيين"، وإن كان هذا الواجب يمثل هنا جزء من هذا النص الخاص بدور الكنيسة بين الأمم ، فقد أفرد المجمع وثيقة كاملة متعلقة بدور وأهمية مشاركة المدنيين فى عملية التبشير والتنصير. وهى المرة الأولى فى التاريخ التى تصدر فيها الكنيسة تعليمات وقرارات متعلقة بالمدنيين وبمثل هذه الصراحة والوضوح.

وتنتهى الوثيقة بخاتمة من عدة أسطر وبرجاء : "أن تتوسط مريم العذراء ، ملكة الرسل ، ليتم تحول كافة الأمم بأسرع ما يمكن إلى معرفة الحقيقة وان يبدأ مجد الله المتألق على وجه المسيح بالإشعاع على الجميع بفضل الروح القدس" !..

* **قرار "تجنيد المدنيين"** (Apostolicam Actuositatem) **:**

فى مختلف نصوص العهد الجديد لا يوجد أثر لكيان كنسى مخصص ومنفصل عن كافة الأتباع، فالكنيسة لم تكن موجودة أيام يسوع . لكن ، على مر السنين ،تكون ذلك الكيان الكنسى اللاهوتى بكل ما يضمه من قساوسة بتدرجاتهم حتى صاروا بمثابة دولة متشعبة متغلغلة داخل الدولة ، أو هى أقرب ما تكون إلى شبكة أخطبوتية إمتدت حول العالم.. و بذلك تزايدت الهاوية بين رجال الإكليروس والمجتمع المدنى ، ومن الواضح والغريب أن نطالع قول البابا بيوس العاشر سنة 1906 ، فى خطابه الرسولى "**رجالنا الشجعان**" : "أن الكنيسة هى فى الأساس مجتمع غير متكافئ ، بمعنى أنه يتضمن نوعيتان من الأشخاص: الرعاة والقطيع ، من يحتلون مختلف التدرجات الكهنوتية، وكمّ الأتباع. وهاتان الفئتان متميزتان فيما بينهما لدرجة أنه فى كيان الرعاة فقط يكمن الحق والسلطة اللازمة لتحريك وقيادة كافة أعضاء المجتمع لكافة أغراض ذلك المجتمع. أما عن الرعية فلا حق لها إلا أن تترك نفسها تنقاد كالقطيع المطيع ، وتتبع خطى الرعاة" !!

وسبحان من غير الأحوال ! فعندما رأت المؤسسة الكنسية أن عدد رجالها لا يكفى لتنفيذ مخطط تنصير العالم ، بادر مجمع الفاتيكان الثانى بإعلان تغيير موقفه وخص المدنيين ، أو خص قطيع تلك الخراف التى كان عليها فحسب أن تؤتمر فتطيع ، فإذا بهم يتم استخدامهم ويُفرض عليهم المشاركة الإجبارية فى عملية التبشسر والتنصير.. لذلك تحدث عنهم فى الفصل الرابع من دستور الكنيسة وخصهم بقرار ، الذى نحن بصدده، وتناولهم مرة أخرى عند الحديث عن الكنائس الشابة فى "بين الأمم". أى أنه لم يعد من الممكن اعتبارهم مجرد ذلك القطيع من الخراف السلبية المطيعة مثلما وصفهم البابا بيوس العاشر فى خطابه الرسولى !

ولا يسع المجال هنا لعرض ما نجم عن هذا القرار من ردود أفعال ، إلا أن المجمع جاهد لرأب هذا الصدع بأن فرض ما أطلق عليه "الشراكة الهرمية" ، أى أن الجميع شركاء ، لكن مع مراعاة التدرج الهرمى القائم بين الفئتين. لذلك فرض على كافة الأتباع المساهمة الإجبارية فى عملية التبشير ، معتبراً هذا التكليف نوع من رد الإعتبار للمدنيين وإعادة تقييم لرسالتهم فى المجتمع ، وذلك بأن خصّهم بوثيقة متفردة ، بخلاف كل ما تمت الإشارة اليه فى الوثائق الأخرى .. وهى أول مرة فى التاريخ الكنسى أن تقوم هذه المؤسسة بإصدار قرار صريح بشأن تجنيد كافة المدنيين وفرض إشتراكهم فى عملية التبشير والتنصير بحكم التعميد الذى حصلوا عليه فى الصغر، وأصبحوا بمقتضاة مرتبطين بالمسيح وبكل ما يتعلق به.

ويتكون القرار الخاص باستخدام المدنيين فى الخدمة الكنسية من ستة فصول ومقدمة. وتتكون عناوين الفصول الستة مما يلى: مشاركة المدنيين ؛ الأهداف المطلوب الوصول إليها ؛ مختلف الحقول الخاصة بالتبشير ؛ مختلف وسائل التبشير ؛ ما يجب ملاحظته ؛ الإعداد اللازم للمدنيين. وتمتد الوثيقة على 32 بند متفاوتة الطول.

وتبدأ الوثيقة بتوضيح أن المجمع المقدس ، ورغبة منه فى تكثيف النشاط الرسولى لشعب الله ، يتجه بإهتمام بالغ إلى المسيحيين الذين ليسوا مدرجون فى الكادر الكنسى ، والذين توجه إليهم المجمع فى بعض بنود وثائق أخرى ، حول دورهم الضرورى فى مهمة الكنيسة.. ولا يمكن للمدنيين أن يتخلفوا عن خدمة الكنيسة أو عن مساندتها لأن ذلك جزء من رسالتهم المسيحية.. ثم تنتهى هذه المقدمة بتوضيح : "أن هذه الوثيقة ستتناول توضيح طبيعة الدور الذى يقع على كافة المدنيين فى الخدمة الكنسية وطابعها المتنوع ، موضحة المبادئ الأساسية والتوجيهات اللازمة لتأتى مساهمتهم على أكمل وجه" ..

وفى توضيح مجالات عملهم المختلفة يوضح الفصل الثالث أهم مجالات الممارسة التبشيرية ، ومنها الجماعات الدينية؛ والأسرة؛ والشباب؛ والأوساط الإجتماعية؛ والقطاعات الوطنية والدولية.. كما يشير هذا البند رقم 9 إلى ضرورة الأستعانة بالمرأة فى مختلف القطاعات التبشيرية للكنيسة.

والطريف هنا أن نفس هذه المؤسسة الكنسية قد دأبت على استبعاد المرأة من الحياة الكنسية والإجتماعية ، وأقامت المجامع لتدرس إن كان لها روح بشرية أم حيوانية ، وقتلت الآلاف من النساء بزعم أنهن من السحرات ، واعتبرت الكنيسة المرأة كائنا منبوذا ، بل حتى يومنا هذا، بعد العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، يرفض بابا الفاتيكان إدراجها ضمن هيئة الكهنوت أوالعاملين فى المجال الدينى .. لكن حينما احتاج إليها لتنصير العالم عرف كيف يتوجه إليها باسم ربهم يسوع المسيح لتشارك فى عمليات التبشير وليس فى الكيان الكنسي !

وتنتهى الوثيقة بتوجيه نداء إلى كافة المدنيين بالتقدم طواعية وبحماس لتلبية هذا النداء والإنضمام إلى فريق الذين سبق ولبّوا نداء المسيح ، وأن الرب يسوع المسيح شخصيا هو الذى يدعوهم من خلال المجمع لينضموا إليه وأن يهتموا بحماس وشغف بعملية التبشير وكأنها مسألة شخصية تعنيهم بالتحديد ..

ومن أهم الكتب التى صدرت عقب إنتهاء المجمع كتاب بعنوان **"فاتيكان 2 وتطور الكنيسة"** للأب أنطوان كازانوفا ، الذى عاصر المجمع وحضر جلساته عن قرب. ويبدأ الفصل السادس المتعلق بسياسة المجمع موضحا : " لا بد لى أن أوضح منذ البداية ظاهرة أساسية هى : تخلى

الكنيسة عن موقفها السابق المعادى للشيوعية والقائم على السب والتجريح والحرب الخفية أو اللعنات. وذلك رغم إلحاح العديد من الضغوط الخارجية والداخلية ليصدر المجمع إدانة صريحة ضد الشيوعية. إلا أن الكاردينال ألفرينك قد أعرب عن رأيه قائلا فى الدورة الثالثة : لنتفادى إدانة جديدة للشيوعية.. لماذا ؟ لأننا قمنا بذلك مراراً وتكراراً ومرات لا تحصى ، ولا داعى أن نقوم بذلك مرة أخرى. فلن يغيّر من الأمر شيئا. إن التجربة التى توصل إليها بعض الأكفاء تثبت أن مثل هذه الإدانات لا طائل منها ولا تؤدى إلى أى شئ. وعلى العكس من ذلك ، إن الحوار يمكنه أن يكون مجدياً. دعونا لا نخدش هذا الحوار ببيانات ملتوية" ! وقد نشرت جريدة "**لوموند**" الفرنسية هذا التعليق فى 7 نوفمبر 1964.

وكان البابا بولس السادس قد قال ما يفسّر موقف الكنيسة بوضوح فى خطابه فى سبتمبر 1963 حين أوضح : "**يجب ألا يُفهم أن هذه الخطوة من جانب الكنيسة، والتى تضعها اليوم على رأس برنامجها، الذى يشغل إنتباهها ويقتضى كل عنايتها ، أنها تعنى تغييراً فيما يتعلق بالأخطاء المنتشرة فى مجتمعنا وسبق للكنيسة أن أدانتها ، من قبيل الماركسية الملحدة. فالبحث عن تطبيق علاج حاسم وسريع لذلك المرض المعدى والقاتل لا يعنى تغيير الموقف تجاهه، وإنما البحث عن محاربته، ليس بأساليب نظرية، وإنما بحلول عملية**" ..

ومن الواضح أن ذلك البابا ومَن حوله فى المجمع قد أدركوا أن الصراع ضد هذا "المرض المعدى والقاتل" لا يمكن أن يتم كما فى الماضى باللعنات والشتائم ، وإنما من خلال الحوار، لذلك لا يجب أن نُدهش عند رؤية البابا بولس السادس يحث على الحوار ، لأن كل ما جاهد طاقمه من الأساقفة فى عمله ، من خلال الحوار، هو إفراغ الإشتراكية من مضمونها الثورى ليسهل إقتلاعها. وبذلك تحول الحوار فى الإستخدام الكنسى إلى نوع من وسائل الصراع المتستر حتى تتم مآربهم.

وقد أوردنا هذا نموذج من أعمال وموقف المجمع لتوضيح كيف تم تنفيذ عملية إقتلاع اليسار بتغيير منهج السب والإدانة والشائعات الكاذبة، مثلما كانوا يفعلون فى حق الإسلام والمسلمين. وبإستخدام أسلوب الحوار لكسب الوقت إلى أن تتم العمليات الأخرى غير المعلنة، إنتهى اليسار كما كان مخططا له فى عقد الثمانينات. وقد إنتهى فعلا بفارق عام واحد ، إذ إنتهى الإتحاد السوفييتى سنة 1991 .. لذلك يصر الفاتيكان على إستخدام الحوار مع الإسلام والمسلمين ، فهو العقبة التى تقف بثبات وتمنع تنفيذ الجزء الباقى من نظام العولمة.

♦ خلاصة قرارات المجمع

ويمكن تلخيص القرارات الأساسية الواردة فى الستة عشر وثيقة إجمالا فيما يلى :

1- تبرأة اليهود من دم المسيح ، رغم مخالفة ذلك للعقيدة وللنصوص الإنجيلية الشديدة الوضوح .

2 - إقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات (من القرن الماضى). حتى لا تبقى أية أنظمة بديلة للرأسمالية الإستعمارية. وقد تم ذلك بالتواطؤ بين الفاتيكان والمخابرات المركزية الأمريكية وجورباتشوف كعميل من الداخل .. وما أكثر ما كتب عن تفاصيل اختلاق حزب " تضامن" فى بولندا ، واختلاق "العام المريمى" لتأجيج مناخ دينى مفتعل ، أو حتى حول كل ما تم صرفه من مبالغ لتنفيذ هذه المخططات ..

3- إقتلاع الإسلام حتى تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تنصير العالم. وهذا المطلب وارد بصور متفاوتة فى مختلف نصوص هذا المجمع.

4 - توصيل الإنجيل لكافة البشر.. وهى الصيغة المضغمة التى تم إعلانها آنذاك ، ثم قام البابا السابق يوحنا بولس الثانى سنة 1982 بتوضيحها فى خطاب رسمى معلِنا ضرورة تنصير العالم ، مشيرا إلى أن ذلك قرار لا رجعة فيه ..(لأنه قرار مجمع مسكونى، أى مجمع عالمى) !

5 - توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما ، وإنشاء لجنة خاصة بذلك ، رغم الخلافات العقائدية الجذرية بينها. وعندما لم يتم ذلك القرار، راح يوحنا بولس الثانى يحثهم قائلا : " إن هذه هى الوسيلة الوحيدة للتصدى للمد الإسلامى " (وارد فى كتاب : **الجغرافيا السياسية للفاتيكان**)

6 - فرض عملية التبشير على كافة المسيحيين ، الكنسيين منهم و المدنيين ، وهى أول مرة فى التاريخ تقوم فيها الكنيسة بإصدار قرارات مكتوبة ومعلنة متعلقة بالمدنيين الذين لا يندرجون فى الهيكل الكنسى. كما طالبت كل المسيحيات أن يشاركن فى عمليات التبشير.

7 - استخدام الكنائس المحلية فى عمليات التبشير ، الأمر الذى يضع الأقليات المسيحية فى موقف عدم الأمانة أو الخيانة للبلد الذى يعيشون فيه أى للأغلبية المسلمة ..

8 - فرض بدعة " الحوار" كوسيلة للتبشير و كسب الوقت حتى يتم التنصير بلا مقاومة ..

9 - إنشاء لجنة للحوار برئاسة الكاردينال آرنزى

10 - إنشاء لجنة خاصة بتنصير العالم برئاسة الكاردينال جوزيف طومكو. وقد قام أعضاء اللجنتين بإصدار وثيقة مشتركة فى 1991/6/20 بعنوان : "**حوار و بشارة** " تتضمن التوجيهات اللازمة لعملية التنصير الدائرة منذ ذلك الوقت فى تصعيد متواصل ..

11 – ومن أهم ما أقره هذا المجمع وأغربه إعتراف الفاتيكان أن الأناجيل ليست منزّلة من عند الله وان من كتبها هم بشر ، إلا ان هذه الإختلافات التى فيها أو فيما بينها ليست متناقضات ، وإنما هى "من قبيل التعددية فى التعبير" ، ورغمها يفرضونها على أنها منزّلة ، بل ويصر على تنصير العالم بموجبها !

ولا يجب تناول مجمع الفاتيكان الثانى دون الإشارة إلى المعارك الطاحنة التى نجمت عنه ، وأهمها الزوابع التى إندلعت نتيجة لموقف مونسينيور مارسيل لوفڤر (1905-1991). إذ كان من أهم الشخصيات التى تصدت لقرارات المجمع ، ووصل به الرفض الحاسم لها إلى درجة أنه قد إنشق رسميا عن الفاتيكان ، سنة 1970 ، ليؤسس "أخوية القديس بيوس العاشر" ، ولها طقوسها الدينية غير تلك التى قام المجمع بتغييرها. وكذلك أسس المعهد الدولى لدارسى اللاهوت، فى بلدة إيكون بسويسرا ، بغية تخريج قساوسة تقوم بتكريس حياتها بعد ذلك للمجال الكنسى وفقا للمفهوم الأصولى الذى ظل ينادى به طوال حياته ..

ومن أهم إعتراضاته على مجمع الفاتيكان الثانى التغيرات الكنسية التى أدخلها ، ومنها ما يتعلق بحرية العقيدة وكل النصوص التبريرية التى واكبتها ، إذ وجد أن جميعها تناقض التراث الكنسى. وقد صّوت ضد تلك الوثيقة كما إعترض على فكرة الشراكة المبتدعة للأساقفة مع البابا؛ وتوحيد الكنائس دون الدخول أولا فى الكاثوليكية صراحة قبل الحوار؛ وخاصة تغيير القداس التقليدى القائم بناء على قرارات مجمع ترانت (1879-1870).

وإن كانت إنتقاداته قد بدأت محدودة الإنتشار ، إلا أنها سرعان ما أصبحت تتصدر الصحافة والموضوعات الدينية. وفى 21 نوفمبر أصدر منشورا يتضمن إعتراضاته على قرارات المجمع التى رأى " أنها ناجمة عن الليبرالية وكلها مسممة : إنها نتيجة الهرطقة وتؤدى إلى الهرطقة حتى وإن لم تكن كل قراراتها هرطقة ؛ وأنه من المحال لأى كاثوليكى مدرك للوضع وأمين مع نفسه أن يتبنّى هذه الإصلاحات أو أن يخضع لها بأى وسيلة" ..

وفى يونيو 1976 قام بترسيم ثلاثة عشر قساً من خريجى معهده ، دون موافقة الفاتيكان بالطبع. فما كان من البابا بولس السادس إلا أن حرمه إلى الأبد من الكنيسة ، فى 22 يوليو 1976، أى بعد أقل من شهر على ما تم إعتباره تحدٍ صريح لنفوذ البابا وللفاتيكان. وفى حديث مع جريدة "لوفيجارو" الفرنسية وصف لوفڤر مجمع الفاتيكان الثانى بأنه "مجمع إنشقاقى" وتساءل حول شرعية البابا بولس السادس فى كل ما قام به من تغيير ..

وكان لوفڤر من الذين طالبوا المجمع أثناء إنعقاده ، هو وأكثر من ثلاثمائة أسقفا ، بإستصدار قرار يدين الشيوعية صراحة هى والماسونية قائلا : "إن الإنسان لا يتعامل مع الشيطان" ، معتبرا أن كل من يحاربها يقيم المسيحية الحقة فى بلده ! وعند وفاته كانت الأخوية التى أسسها توجد فى أكثر من خمسين بلد فى القارات الخمسة رغم تصنيف مؤسسها بأنه من الأصوليين المتشددين.

ولم يمض عاما واحدا على إنتهاء المجمع حتى كان العديد من الأتباع فى تخبط وقد أصابهم الهلع من كمّ التغيرات الجذرية والتى منها ما يخالف العقيدة ، كتبرأة اليهود من دم المسيح، ومنها ما يخالف التراث، كتغيير نظام القداس، وكل ما تمخض عنه المجمع. فما كان من الكاردينال ألفريدو أوتّاڤيانى، رئيس مكتب عقيدة الإيمان وتولى رئاسة اللجنة العقائدية أثناء المجمع، إلا أن طلب من كل الأساقفة وممن هم أعلى رتباً أن يجيبوا على إستطلاع تقدم به حول الخطر الذى يحدق ببعض الحقائق الأساسية للعقيدة.

وفى 20 ديسمبر 1966، أى بعد خمسة أشهر تقريبا، قام المونسنيور لوفڤر بالرد على طلب الكاردينال أوتّاڤيانى. والرد مكون من خمس صفحات كاملة نطالع منها :

"إن خطابكم الصادر فى 24 يوليو 1966 والمتعلق بالتشكيك فى بعض الحقائق، قد قامت السكرتارية التابعة لنا بإرساله إلى كافة الرؤساء. وما أقل الإجابات التى وصلتنا. والرد الذى تلقيته من إفريقيا لا ينكر أن هناك خلطا كبيرا يسود، وأنه حتى لو لم يتم التشكيك فى هذه الحقائق صراحة أو بصورة عملية، فمن الملاحظ أن هناك فتورا فى الحمية الدينية وفى الإنضباط فى الحصول على المناولة، وخاصة مناولة الغفران. والملاحظ أيضا إنخفاض ملحوظ تجاه الإفخارستيا خاصة بين القساوسة، وهبوطا ملحوظا فى عدد من يتقدمون للدخول فى مجال الكهموت ودراسته (...).

"ويبدو أن قلة الإجابات التى وصلتنا ناجم عن صعوبة إدراك الأخطاء التى قام بها المجمع، وهذا الخلط ناجم عن الصياغة الملتوية للنصوص التى تبلبل العقول بعبارات متناقضة وفيها لبس، والتى يمكن أن نستشف من بين سطورها ديانة جديدة (...). إن الخطر الحالى يبدو لى أكبر من النفى أو التشكيك فى حقيقة عقيدتنا. ونلاحظه اليوم فى الخلط الشديد فى الأفكار وفى تفكك المؤسسات الكنسية والمؤسسات الدينية، وحلقات البحث، والمدارس الكاثوليكية وفى كل ما كان يمثل الدعائم الثابتة للكنيسة، وهى فى الواقع إستمرار منطقى للهرطقات والأخطاء التى تنهش قلب الكنيسة منذ القرون الماضية، خاصة منذ ليبرالية القرن الماضى التى جاهدت بأى ثمن لعمل مصالحة بين الكنيسة والأفكار التى أدت إلى الثورة الفرنسية.

"ولقد تقدمت الكنيسة بقدر ما أمكنها الإعتراض على هذه الأفكار التى تتعارض مع الفلسفة النقية للاهوت (...). وفى كل مرة كانت بعض الجماعات الكاثوليكية تنساق وراء هذه الأساطير كان البابوات يتصدون لها بشجاعة وينصحونهم وإن اقتضت الضرورة كانوا يدينونهم. فقد قام البابا بيوس التاسع بإدانة الليبرالية الكاثويكية؛ وقام البابا ليون الثالث عشر بإدانة الحداثة؛ والبابا بيوس العاشر بإدانة التشتت فى كل إتجاه؛ والبابا بيوس الحادى عشر بإدانة الشيوعية؛ والبابا بيوس الثانى عشر بإدانة الحداثة الجديدة. وبفضل هذه اليقظة الرائعة تدعمت الكنيسة ونمت (...).

"كما أن الإعداد الذى سبق المجمع قد أطيح به ليفسحوا الطريق إلى أكبر مأسة عرفتها الكنيسة فقد شاهدنا تزاوج الكنيسة بالأفكار الليبرالية (...) "..

وبعد أن قام المونسنيور لوفڤر باستعراض كل النقاط السلبية الناجمة عن قرارات المجمع، راح يوجز الموقف قائلا : "لا بد أن نخرج من كل هذا بأن المجمع قد حبذ بطريقة غير مفهومة إشاعة الأخطاء الليبرالية. وأنه نتيجة لذلك فإن الإيمان والأخلاق والإنضباط الكنسى قد تمّ دك أساساتها، تماما كما كان البابوات يحذّرون من ذلك. إن هدم الكنيسة يتقدم بخطى حثيثة بسبب سلطة مبالغ فيها معطاه للأساقفة، بحيث أنها جعلت البابا نفسه عاجزا" ..

وبعد عشر سنوات مليئة بالأحداث التى أطاحت بالمونسنيور لوفڤر نظرا لكل إعتراضاته على المجمع، قام بجمع كل مداخلاته أثناء الدورات الأربع ، إضافة إلى الرد الذى أرسله على الإستطلاع الوارد فيما تقدم، وطبعها فى كتاب بعنوان : "**إنى أتهم المجمع**"! وفى خاتمة مكونة من نصف صفحة لهذا الكتاب أوضح إن كل ما جاء فى رده إلى الكاردينال أوتَّاڤيانى لا تزال الأحداث الجارية تؤكده ، موضحا أن الإبتعاد عن التراث منافى لطبيعة الكنيسة ، التى كانت دائما تكن العداء التلقائى لكل تجديد ولكل تغيير أو لأى بترٍ لتراثها بأى حجة كانت.

وإن كان من الممكن أن يوصف موقف لوفڤر أنه من الأصوليين ، بالمعنى والمردود الكنسى للكلمة، أى أنه يحافظ على التراث المسيحى بكل ما به من المتناقضات والأكاذيب المتراكمة ، مثلما وصفه كل من تصدى له دفاعا عن موقف الفاتيكان ، إلا أنه يكشف، من ناحية، أخرى حقيقة الوضع الداخلى فى تلك المؤسسة الفاتيكانية العاتية، وكيف أنها فى واقع الأمر أبعد ما تكون عن تلك الصورة الفارعة الهيلمان.

والطريف فى هذا الموضوع أن البابا الحالى ، بنديكت 16، حاول فتح قنوات للحوار مع أتباع لوفڤر لعودة أعضائها إلى أحضان الفاتيكان ، ضمن كل ما يقوم به من محاولات لتوحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما ، أى لتنفيذ أحد قرارات المجمع الفاتيكانى الثانى .. بل لقد قام

فى يناير 2009 برفع إدانة الحرمان والإستبعاد عنها ، لكن ذلك لا يعنى أن المياة قد عادت لمجاريها بين جماعة الأخوية والفاتيكان، فالمباحثات لا تزال جارية، ومطالب الأخوية وفقا لمبادئ لوفڤر لم تستوف بعد فى نظرها ..

♦ ♦ ♦

وبمناسبة مرور عشرين عاما على مجمع الفاتيكان الثانى ، إنعقد سينودس فوق العادة فى 25 يناير 1983، وأصدر القانون الكنسى الجديد من أجل تنفيذ قرارات المجمع ، إضافة إلى إصدار كتاب التعليم الدينى الجديد ، الذى صدر فى عام 1992 . وذلك ما كان البابوات الذين تواصلوا بعد المجمع قد أصروا عليه. وقد نص هذا القانون الكنسى الجديد على ضرورة تطوير أهم المؤسسات الداخلية والرعوية والإقتصادية. كما عرفت لجان أخرى تغييرات أساسية مثل المكتب المقدس، الذى كان قبل ذلك يدعى محاكم التفتيش ثم أصبح بقرار من المجمع أسمه "لجنة عقيدة الإيمان". وأيا كانت المسميات فالأعمال التى يقوم بها واحدة لم تتغير إلا فى وسائلها الشكلية وفقا للعصور.. وقد زادت سلطة هذه اللجنة الرقابية على الكثير من اللجان الأخرى التى وُضعت تحت سيطرتها.

كما قام البابا بولس السادس بزيادة تأكيد دور السينودس وأن تعلو مكانته على اللجان الأخرى. بحيث أصبح بمثابة حلقة الوصل الأساسية بين الرئاسة المركزية وكافة الكنائس المحلية فى البلدان الأخرى من العالم.

وإن كان المجمع الفاتيكانى الثانى هو أول مجمع تتساءل فيه الكنيسة عن نفسها وعن حالها، فقد قامت بذلك بتأكيد زيادة مكانة المسيح فى العالم. فبعد أن كانت الكنيسة تضع نفسها فى الصدارة أو فى محور العقيدة. ووضع المسيح فى الصدارة بهذه الكيفية هو ما يسمح لها بأن ترتكز عليه لتسود العالم بتفصيل قرارات المجمع وتنفيذها. كما قامت برأب الفجوة الساحقة التى صنعتها فيما مضى بينها وبين "القطيع المطيع" من الأتباع ، الذى كانت تقوده بتعالى ، وإقحامه فى تنفيذ كل ما أصدرته من قرارات ووثائق بأن فرضت عليه المشاركة إجباريا فى عمليات التبشير والتنصير. لأن هدف المجمع واحد ومعلن بكل وضوح فى كافة الوثائق التى أصدرها وهو : توصيل الإنجيل إلى كل البشر ، أى تنصير العالم.

لذلك صيغت بوضوح شديد عبارة "**أن الكنيسة لا يجب أن تكون فى العالم إلا فى حالة تبشير ، ويجب عليها استخدام كافة وسائل الإتصالات الحديثة التى يمكنها تسهيل المهمة، لأن الكنيسة تبشر ومجبرة على التبشير دوما بالمسيح الذى هو الطريق، والحقيقة، والحياة**" ..

ويبقى السؤال مطروحا .. فلم يتساءل هؤلاء الأباء أبدا لماذا أصبح اليوم من الصعب على الأتباع أن يؤمنوا أو لماذا يتباعدون ؟ وافترضوا أن لدى الأتباع إيمانا راسخا لا يتزحزح ، بينما الإلحاد قد ترسخ فى النفوس من كثرة ما تم اكتشافة فى تلك العقيدة من تغيير وتبديل ، وهو شرخ لا يزال فى تزايد رغم كم المحاولات البهلوانية الإستعراضية التى يقوم بها الفاتيكان لجذب الأتباع، ولم يتساءلوا أبدا عن أسبابه.. بل لقد أعلن البابا بيوس السادس فى عيد العنصرة، يوم 8 ديسمبر 1965 ، عن أن لقاء المسيح بالبشر الذى تعلن عنه الكنيسة على وشك الحدوث. ولم يتم هذا اللقاء حتى الآن. مما أدى إلى هبوط نسبة المتقدمين للسلك الكهنوتى وإنسحاب الآلاف من القساوسة والأتباع من الكنيسة فى صمت ، حتى أطلقوا عبارة "النزيف الصامت للكنيسة" على من ينسحبون خارجين فى صمت .. بل لقد كتب الأب لويس بوييه عبارة لها مغزاها حين قال :

- "وكأن الكاثوليكية تتحلل" !

الفصل الثالث

وثيقة "فى زماننا هذا"

أو

"علاقة الفاتيكان بغير المسيحيين"

تعد وثيقة "**فى زماننا هذا**" أقصر الوثائق التى أصدرها مجمع الفاتيكان الثانى ، فهى أقل من سبع صفحات، وأكثرها إثارة أو إنقلاباً بالنسبة لمواقف الفاتيكان ، كما يصفها البعض، لكل ما أدت إليه من توابع. وقد تم التوقيع عليها بعد مداولات عنيفة يوم 28 اكتوبر 1965 ، أى عند إنتهاء المجمع تقريبا، بأغلبية 2221 صوتا بينما رفضها 88 صوتا ، إذ تسببت فى إنقسامات داخلية بين كبار الأساقفة بزعامة الأسقف لوفيڤر، إمتدت زوابعها حتى يومنا هذا..

وتكمن أهمية هذه الوثيقة فى أنها تحدد علاقة الفاتيكان أو الكنيسة الأم مع غير المسيحيين، وتؤسس مبدأ الحوار مع الديانات غير المسيحية، وهى واجهة خدّاعة لهدف آخر تماما هو تنصير العالم، وخاصة تبرأة اليهود من دم المسيح !. وهو ما يمثل إنقلابا غير منطقى فى موقف مؤسسة عتيدة عنيدة ظلت تحارب اليهود لمدة ألفى عام تقريبا ، وكالت لهم من الإهانات والمآسى ما يصعب تصوره ، وليس هذا دفاعا عنهم وإنما إشارة إلى كل ما سجله التاريخ من مواقف الكنيسة ضدهم بخلاف ما لا يزال واردا فى الأناجيل .. ثم ها هى فجأة تكتشف أنهم "الأخوة الأكبر" منها، و"الأخوة السابقون فى الإيمان"، و"الإخوة الذين أخذت عنهم الإيمان والعهد" !.. وهنا تكمن واجهة خدّاعة أخرى، فبعد أن كان اليهود "أصحاب العهد" مع الله، وشعب الله المختار ، ها هى الكنيسة تطلق على نفسها صاحبة "العهد الثانى"، وبالتالى أصبح المسيحيون هم شعب الله المختار ، ورسالته هى آخر الرسالتين التوحيديتين، بناء على إستبعادها الإسلام من أرض الرسالات و وضعته مع الديانات الأسيوية، أى مع البوذية والهندوسية.. وهو ما سوف نراه بشئ من التفصيل فيما بعد .

بل هناك إشارات أخرى تؤكد أن هذه الوثيقة تمهد الطريق لنظام العولمة، حيث أنها تبدأ بعبارة "فى زماننا هذا حيث يصبح الجنس البشرى كل يوم أكثر تقاربا وإتحاداً" .. وتشير إلى كل الناس بعبارة "إن كل الشعوب تكوّن بالفعل جماعة واحدة، ولهم أصل واحد، بما أن الله قد أسكن كل البشر على سطح الأرض" .. كما أقر الآباء المجتمعون أن كل الأديان تحاول الرد على

نفس الأسئلة الأساسية حول الحياة، والخير، والشر، والآلام، والخطيئة، والسعادة والحساب، والجزاء بعد الموت ..

والطريف أن الكنيسة لا ترفض الديانات الأخرى فى هذه الوثيقة وإنما تقدر تعطش الهندوسية والبوذية للحكمة الإلهية، "فهم يبحثون عن التحرر من الضيق سواء بحياة النسّاك أوبالتأمل العميق أو بالجوء إلى الله بحب وإخلاص".. وترى الكنيسة أنه عليها تنمية هذه القيم والمشاعر لتجعل منها مدخلا لأغراضها..

وتعلن الكنيسة الكاثوليكية أنها تقدّر المسلمين لعبادتهم إله واحد، قد تحدث إلى البشر، كما تقدّر إنتظارهم يوم الحساب، وصيامهم، وذكاتهم، وصلاتهم، "فهم يجاهدون للخضوع بكل روحهم إلى قرارات الله حتى وإن كانت مخفية غير واضحة، مثلما خضع إبراهيم لربه، والذى يستند إليه الإيمان الإسلامى طواعية" .. وتحث الوثيقة المسلمين على نسيان مصاعب الماضى والعمل على تفعيل القيم المشتركة كالعدالة الإجتماعية والسلام والحرية..

و بهذه الوثيقة يُعد هذا المجمع هو أول مجمع عالمى فى التاريخ يطرح تعليقا لاهوتيا حول العلاقات بين إسرائيل والكنيسة. والملاحظ هنا هو كتابة "إسرائيل" إشارة إلى الدولة المحتلة لأرض فلسطين، وليس الديانة اليهودية. أما عن الديانة نفسها فترى الكنيسة أن بدايات خلاصها ترجع إلى الآباء الأولين، موسى والأنبياء. وأن المسيح قد صالح اليهود والوثنيين بجسده على الصليب وجعلهما واحدا.. وبهذه الوثيقة تعلن الكنيسة تأسفها لكافة أنواع الإضطهاد ضد البشر، وتتأسف للكراهية والإضطهاد ومظاهر معاداة السامية التى تم توجيهها ضد اليهود .. وهناك إشارات إلى المحرقة وإلى العديد من المذابح التى تعرضوا لها والإضطهاد الذى ترك بصمته على تاريخ الشعب اليهودى !

وتنتهى الوثيقة بتوجيه نداء أخوّة عالمى بما "أن الله قد هدم كل الإنقسامات بين البشر، فلا يوجد سبب لخلق التفرقة فيما يتعلق بالكرامة الإنسانية والحقوق الناجمة عنها".

وقد تم نشر هذه الوثيقة، مع كل ما واكبها من مناقشات وتعليقات، باللغة الفرنسية ، فى دار نشر "دى سير" (Du Cerf) ، سنة 1966، أسوة بباقى وثائق المجمع الفاتيكان الثانى. و يقع الكتاب فى 335 صفحة من الحجم المتوسط والبنط الصغير. وهو ما يعنى أنه يمكن تناول كل ما جاء فيه وعرضه بالتفصيل والتعليق عليه فى كتاب بأسره وليس فى مجرد فصل من كتاب.

ويتكون ذلك الكتاب من مقدمة وثلاثة أجزاء، ثم عرض لكل جزء من الديانات بعنوان : القيم الدينية الهندوسية ؛ القيم البوذية ؛ الدين الإسلامى ؛ الدين اليهودى ؛ ثم فصل عن الأخوّة العالمية ونبذ الفنف ؛ ثم بعض الملاحق والوثائق.

تلك كانت النظرة الأولى فى عجالة، أما إذا تصفحنا النصوص عن قرب، وخاصة تلك التى تتناول الشرح والتعليق لرأينا أشياء أخرى ..

ففى التمهيد الذى كتبه الأب هنرى، وصف هذه الوثيقة قائلا : "أنها تمثل قلب المجمع. أنها تمثل فاتيكان 2 بكل ما تكونه وبكل ما جلبته بعد صدورها من تبعات" .. إلا أنه يشير إلى بعض الأحداث التى سبقت إنعقاد المجمع ، ومنها جهود جمعيات الصداقة اليهو- مسيحية التى كانت قد أقامت مؤتمرا دوليا فوق العادة ، من 30 يوليو الى 5 أغسطس 1947 ، لمحاربة معاداة السامية. وقد أصدر ذلك المؤتمر بيانا من عشرة نقاط لترشيد التبشير وتصويب التعليم المسيحى؛ ومنها أيضا موقف المونسينيور رونكاللى، الذى تصرف لصالح اليهود أثناء الحرب فى إسطنبول وغيرها ؛ و يوم 18 يناير 1960 عندما طلبت المنظمة اليهودية العالمية لقاء البابا يوحنا الثالث والعشرين لشكره ؛ وتلاها عدة لقاءات مع بعض الهيئات، منها : إتحاد النداء اليهودى ، فى 17 أكتوبر 1960؛ و لقاء يوليوس إسحاق الذى إلتقى بالبابا سنة 1960 أيضا وطلب منه صراحة تصويب مناهج التعليم المسيحى المعادى للسامية ؛ إضافة إلى العديد من المؤسسات الإنجيلية أو اليهو- مسيحية فى مدينة سيتون هول بالولايات المتحدة ؛ ولقاء جماعات من القساوسة والعلمانيين الذين قدموا للبابا تقارير ومذكرات ومطبوعات من قبيل "كراسات صهيونية" تتناول مشاكل تعليم العهد القديم والعهد الجديد، ودور الشعب اليهودى فى تاريخ الخلاص المسيحى ..

ويورد الباحث رنيه لورانتان فى كتابه حول "**الكنيسة، اليهود وفاتيكان 2**" تفاصيل لقاء يوليوس إسحاق المؤرخ اليهودي المعروف بدراساته حول تطور معاداة السامية عبر التاريخ، والبابا يوحنا الثالث والعشرون، فى 13 يونيو 1960 ، وقدّم له ملفا يضم ثلاثة موضوعات هى:

* برنامج إصلاح التعليم المسيحى فيما يتعلق بإسرائيل ؛

* مثال من الأساطير اللاهوتية المسيحية ومنها شتات إسرائيل وأنه عقاب إلهى ؛

* مقطتفات من كتاب التعليم الدينى الذى أصدره مجمع ترانت (1545-1563) ليوضّح أن تهمة قتل الرب تناقض التراث الكنسى السليم.

وعند إنتهاء اللقاء، الذى إمتد خمس وعشرون دقيقة، سأل المؤرخ مضيفه إن كان يمكنه أن يحمل معه بصيص من الأمل ؟ فأجابه البابا قائلا : "من حقك أكثر من بصيص أمل (...) لكن يجب علىّ أن أستشير وأن أجعلهم يبحثون. فنحن لسنا فى نظام حكم ملكية مستبدة مطلقة" ..

وفى الجزء المتعلق بتاريخ المجمع يواصل رنيه لورانتان موضحا أنه فور صياغة بيان **"فى زماننا هذا"** تم نشره إهمالا (أو إحراجاً) فى الصحافة الأمريكية ! مما أثار العديد من التعليقات. وعند بداية الدورة الثالثة طافت وثيقة حول الأباء المجتمعون تقول : **"أن يحرص الجميع على تفادى إلصاق تهمة قتل يسوع باليهود ؛ ضرورة تفادى كل ما يمكنه إثارة الأحتقار والكراهية ضد اليهود"** !!

وسرعان ما تم تغيير العديد من العبارات والمواقف ، فبعد أن كانت الوثيقة تحمل عنوان : "بيان حول اليهود وغير المسيحيين" ، تم إستبعاد كلمة "اليهود" وتحول إلى العنوان إلى بيان حول : **"علاقات الكنيسة والديانات غير المسيحية"** ..ويا له من تلاعب للتركيز على إن هدف هذه الوثيقة دينى وليس سياسى !

كما أن الكاردينا بيا كان قد زار إنجلترا فى أغسطس 1962 وأدلى بحديث لجريدة **"چويش كرونيكل"** ، ملخصه كالآتى : "سيكون من مهام المجمع المقبل أن يستبعد ذلك الخطأ الفادح فى تبعاته والذى بموجبه أصبح كل اليهود مسئولين عن صلب يسوع المسيح، حتى نفس سكان مدينة القدس قديما لم يكونو مسئولين عن إدانة يسوع الناصرة. فآلاف اليهود هم الذين أسسوا الكنيسة الشابة مع القديس بطرس، وقلة فقط من بينهم هى التى ساندت الحركة السياسية التى طالبت بموت المسيح لأسباب متعلقة بالدولة. وتحميل ذلك الجرم على كل اليهود هو ظلم مماثل لقتل كافة الألمان بسبب هيتلر" ! وهذا الكاردينال بيا هو الذى قد طالب العديد من المنظمات اليهودية بأن تلقى بثقلها للتعريف برأيهم (وارد فى مجلة **"وثائق كاثوليكية"** العدد رقم 1383، 2 سبتمبر 1962) .. ويا له من تنازل فادح وفاضح فى آن واحد !

وبعدها قرر البابا إصدار وثيقة تتعلق باليهود ..

فمن الواضح، ومما يقال صراحة أيضا، أن فكرة إصدار وثيقة حول علاقات الكنيسة بالديانات غير المسيحية لم تكن واردة عند بداية المجمع، الذى كانت وثائقه شبه جاهزة ولا ينقصها إلا العرض للتوقيع، وكأنهم كانوا يتوقعون أن تنتهى أعماله فى دورة واحدة ، إلا أن ثقل الضغوط السياسية التى مارسها اللوبى اليهودى والتى بدأت منذ عام 1947، من جانب اليهود والموالين لهم ، وتوالت حتى إنعقاد المجمع ، تؤكد أهمية الدور الذى لعبوه ، بحيث إنطلقت العديد من التعليقات والكتب والأبحاث تشير إلى إختراق اليهود لصرح الفاتيكان..

كما أن هناك حدثان أساسيين قد مهدا لذلك أيضا : إصدار الوثيقة الخاصة بدور الكنيسة فى المجتمع، لتأكيد أنها تمثل شعب الله وإبراز عالمية رسالتها لتنصير العالم ؛ والحدث الثانى هو زيارة البابا بولس السادس للأراضى المقدسة وإسرائيل فى 4 ديسمبر 1963 ، أثناء إنعقاد المجمع، وتلاه إنشاء أمانة عامة للديانات غير المسيحية برئاسة الكاردينال ماريللا ؛ وإصدار الخطاب الرسولى المعنون " **كنيسة يسوع المسيح**" ..

وقد أدى نشر هذا الخطاب الرسولى ، فى 6 أغسطس 1964 ، أثناء إنعقاد المجمع إلى التأثير الواضح على الدورة الثالثة. فقد دوّى كالطبول القارعة ، على حد قول من وصفوه، لأنه كان بمثابة الخطاب البرنامج للبابا بولس السادس ، الذى كان قد تولى كرسى البابوية قبل ذلك بحوالى شهرين. وقد تضمن هذا الخطاب الكثير من المفردات ذات الدلالة المغايرة لسير المناقشات فى المجمع ، والتمهيد للتغيير الجذرى الذى حدث، وذلك من قبيل : النهل من المنبع ؛ التجديد والإصلاح ؛ التعايش السلمى مع الأخر ؛ الحوار .. وكلها بمثابة مفاتيح للتوجيه الذى يرمى إليه هذا الخطاب الرسولى وتأثيره المطلوب على خط سير المجمع .. فهو يهدف إلى الإصلاح الكنسى لكن مع إحترام التراث ؛ والحوار مع العالم لكن مع مواصلة التنصير ؛ وإحترام حرية الإنسان لكن مع دفعه إلى الدخول فى سر المسيح !

وعندما قدّم الكاردينال بيا مسودة المشروع إلى اللجنة المركزية لأخذ الرأى ، فى مايو 1962 ، عند بدايات المجمع ، تم سحب الوثيقة فورا من كثرة الإعتراضات التى دوّت، وكل الحضور من رتب الأساقفة وما فوقها ! إلا أن الكاردينال بيا لم يتوقف وخاطب البابا ، وبعدها بدأ الإعداد لصياغة الوثيقة التى تبدأ بعبارة "**فى زماننا هذا**" ..

وفى الجزء الثانى من الكتاب الذى يعرض تاريخ وكيفية إصدار هذه الوثيقة ، يقول الأب كوتييه، مشيرا إلى كلمات الكاردينال بيا حين أعلن عنها قائلا : " ليُسمح لى أن أؤكد على أهمية هذه الوثيقة من ناحية أنها تتعلق بالديانات غير المسيحية. فهى أول مرة فى تاريخ الكنيسة أن يقوم مجمع بعرض مبادئه على أتباعها بهذا الوضوح. ويجب أن نأخذ معنى ذلك فى الإعتبار. فالأمر يتعلق بأكثر من مليار شخص لا يعرفون بعد أو لا يعترفون بالمسيح وبعمله الخلاصى. وهؤلاء البشر يمكن إنقاذهم إذا أطاعوا ما يمليه عليهم ضميرهم. لكنه يتعيّن على الكنيسة واجب ضخم بالدخول معهم فى الحوار (...)، ويمكنها أن تقوم بذلك كما تنص عليه الوثيقة، بالإعتراف بالقيم الروحية والأخلاقية التى فى كل ديانة منها ، وبتقدير أتباع هذه الديانات. فمَن يعيشون وفقا لضميرهم الشخصى مرتبطون بإيمان ضمنى بالمسيح وبجسده الدينى، إلى أن يتم إعترافهم وتقاسمهم بكل ما يحمله المسيح من ثراء، وذلك وفقا للخطاب الذى تقدم به أسقف مدينة بوسطن بالولايات المتحدة والذى يعلم مضمونه تماما مكتب عقيدة الإيمان" ـ وهو الإسم السابق للجنة

محاكم التفتيش الذى تم تغييره فى هذا المجمع .. إلا أن عبارة الخطاب الذى تقدم به أسقف مدينة بوسطن تشير صمتا إلى ما كان يصل المجمع من توجيهات عبر المحيطات ..

ورغم كل الحيطة والسرية التى أحيطت بها صياغة هذه الوثيقة ، إلا أن أخبارها قد تسربت رغم التعتيم الشديد والواجب بالنسبة لموضوع يؤدى إلى العديد من الإنفجارات ، وقد تسللت مبكرا .. فقد ارتفع صوت بعض الهيئات الإسلامية أو المدافعين عن أرض فلسطين مشيرين إلى المغزى السياسى الكامن خلف هذا الإعتراف. وهنا يقول الأب كوتييه : "هل كان من الممكن تفادى أى سوء فهم أو إستبعاد فكرة بعض حكومات الشرق الأوسط وإدراكها أن الهدف الأساسى لوثيقة "**فى زماننا هذا**" هو الإعتراف السياسى بدولة إسرائيل ؟".. الأمر الذى يكشف بوضوح عن حقيقة أهداف هذا المجمع الذى إجتمع فعلا لتبرأة اليهود من دم المسيح، وهى الإدانة التى ظلت تطاردهم لأكثر من الفى عام ، فلا يزال فى الكنيسة من يرفضون هذه التبرأة ، فالإدانة ثابتة فى نصوص أناجيلهم الأربعة ـ رغم كل ما طالها أو أصابها من تعديل وتغيير.. فلم يكن بوسع الفاتيكان والكرسى الرسولى الإعتراف بدولة إسرائيل ، كما حدث فيما بعد ، لولا هذه التبرأة الضالة المضللة.

ومن الجدير بالملاحظة، أنه عندما تم تقديم النص النهائى فى الدورة الثالثة للمجمع، أصر الكاردينال بيا ان يوضح فى تقريره قائلا : "إن التعديلات التى تمت فيه أجريت بحيث يتم التعبير بوضوح شديد عن الجانب الدينى ويتم إستبعاد أى تفسير سياسى بأى ثمن"، وكتب باللاتينية (omni ope) لتأكيد العبارة. وهو ما يكشف حقيقة الموقف المزدوج للفاتيكان فى حق الإسلام والمسلمين.

وينهى الأب كوتييه الباب الثانى قائلا :

"لقد كانت صياغة الوثيقة صعبة، بل كانت درامية أحيانا . فلقد تولدت بدافع الحب تجاه اليهود، والإعتراضات العنيدة التى أثارتها والتهديدات التى سببتها لبعض المسيحيين فى الشرق قد أدت إلى تعديلات بدت وكأنها نزعت عن النص حرارته وحماسه. إلا أن كلمات البابا بولس السادس قد أوضحت أن هذه الحرارة وهذا الحماس متدفق الحيوية فى قلب الكنيسة" !..

ولعل ما فى هذا القول ما يغنى عن أى تعليق من أن هدف المجمع هو تبرأة اليهود من دم المسيح للإعتراف لهم بدولة إنتزعوا أرضها من أصحابها بأقصى أنواع الإجرام التى استطاعوا ممارستها ..

♦ ♦ ♦

وننتقل هنا لتناول الجزء الخاص بالإسلام والمسلمين فى هذه الوثيقة المعنونة **"فى زماننا هذا"**. وقد قام القس روبير كاسبار، أستاذ "علم اللهوت الإسلامى" بالمعهد البابوى للدراسات العربية فى روما، ومستشار السكرتارية الخاصة بغير المسيحيين، بصياغة عرض ما دار من مناقشات وإقتراحات وتعديلات. وأثناء انعقاد المؤتمر كان عضوا فى اللجنة الفرعية الخاصة بالإسلام. ونبدأ بترجمة النص نفسه ليتمكن القارئ من متابعة الموضوع والتعليقات التى واكبت صياغته. يقول النص، الذى يمثل الفقرة الثالثة فى الوثيقة :

الديانة الإسلامية :

3 – **" إن الكنيسة تنظر أيضا بعين الإعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد ، الحىّ القيوم ، الرحمن القدير ، خالق السماء و الأرض ،الذى تحدث إلى البشر. إنهم يحاولون الخضوع بكل قواهم لقرارات الله ، حتى وإن كانت مخفية ، مثلما خضع إبراهيم لله والذى يتخذه الإيمان الإسلامى طواعية مثلا له. وعلى الرغم من أنهم لا يعترفون بيسوع كإله ، فهم يبجلونه كنبى؛ ويوقرون أمه العذراء ، مريم ، وأحيانا يتوسلون إليها بتضرع. كما أنهم ينتظرون يوم الحساب، الذى سيجازى فيه الله البشر بعد بعثهم ، وهم يقدرون الأخلاق، ويقدمون عبادةٍ ما لله ، خاصةً بالصلاة، والزكاة والصوم.**

" وإذا ما كان عبر القرون قد اندلع العديد من الخلافات و العداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يهيب بهم جميعا نسيان الماضى وأن يجتهدوا بإخلاص فى محاولة للفهم المتبادل، وأن يقوموا معا بحماية ونشر العدل الإجتماعى، والقيم الأخلاقية، والسلام والحرية ، من أجل كافة البشر " (صفحة 29).

وعند قراءة الست وثلاثين صفحة المتعلقة بصياغة نص الوثيقة ، لا يمكن للقارىء ألا يشعر بالإمتعاض تجاه ذلك الموقف المتعنت وغير الأمين، لهؤلاء الأباء الأجلاء ، الذين تفننوا فى استبعاد الإسلام كديانة توحيدية ، أتت لتصويب ما تم من تحريف وإنحراف فى الرسالتين السابقتين. و يبدأ الأب كاسبار بتوضيح الجو العام الذى دارت فيه هذه الجلسات ، قائلا:

"لا بد لى من الإعتراف أولا بأن الديانات غير المسيحية تحتل مكانة ضئيلة فى اهتمامات هؤلاء الأساقفة والمؤسسات المعنية ففى كل التدرج الأوروبى والأمريكى كان الصمت كاملا. فقط جامعات الدعاية المسيحية فى روما ونيميج وخاصة الجامعة الجريجورية فى روما وجامعة لوفانيوم فى الكونغو ليوبولدفيل هى التى طلبت دراسة وتعليم الديانات غير المسيحية بشكل

إيجابى وبلا تهميش. وأساقفة البلدان التى بها الإرساليات يتحدثون كثيرا عن المشكلات التى تصادفهم فى التبشير ، وقليلا ما يذكرون الديانات غير المسيحية كديانات فى حد ذاتها، ولا شىء تقريبا يقال عن الإسلام . والمرء يدهش من ملاحظة الصمت المطبق للكنائس الشرقية حول هذا الموضوع الذى يواجهونه يوميا . وعمليا ، فإن الأساقفة القلائل الذين تحدثوا عنه هم قلة من أندونيسسا والباكستان وإفريقيا الغربية (النيجر وجامبيا وسييرا ليون ونيجريا) ، وخاصة من شمال إفريقيا (الجزائر والمغرب وليبيا)" (صفحات 201 و202).

ومن المؤسف رؤية أن التعنت الوحيد لهؤلاء الأباء الأجلاء هو الإهتمام بتدارس كيفية تنصير العالم ، رغم تلك اللافتة المعلنة عاليا والمنادية بحرية العقيدة وحرية الإختيار وإحترام القريب ! من ناحية أخرى ، لا نرى ضرورة لفتح هامش نوضح فيه الموقف المثير المنفّر لهؤلاء الأباء الأجلاء ، وخاصة موقف هؤلاء الذين يمثلون الكنائس الشرقية ، أى الأقليات المسيحية التى تعيش بين المسلمين ، وعدم أمانتهم تجاه البلدان التى يعيشون فيها ، ومن المؤسف أن يكون أول رد فعل لباقى الأباء سلبى بهذا الشكل، إذ يقول الأب كاسبار أن منهم من طالب "بالكف عن محاولة البحث عن أى مشترك بين الديانتين والبحث عن طريق مناسب لنريهم الأخطاء والأساطير الموجودة فى القرآن وفى التراث الإسلامى ولنرفضها بوضوح" ، وهو ما أقره العديد من الأساقفة ..

ويبدأ الأب كاسبار بتلخيص مختلف وجهات النظر التى لاحت منذ أولى الحوارات، والتى يدرجها فى نقطتين ، موضحا أنه لا بد من أخذهما فى الإعتبار ، مقولة : " **أن الإسلام عبارة عن شرّ مطلق لا بد من دحضه ، وخطر بالنسبة للكنيسة لا بد من محاربته**" ؛ والثانية ، "**تلك التى ترى فى الإسلام بصيص من النور لبعض الحقائق والتشابهات مع المسيحية والتى يجب تنميتها** "(صفة 202). وأن البطريارك مكسيموس هو الذى أسدى ملاحظة "أنه لا يمكن التحدث عن اليهود دون التحدث عن الديانات الأخرى و خاصة الإسلام" (صفحة 203).

وهنا تجدر الإشارة إلى ما سبق وتم توضيحه ، أن أحد أهم الأسباب التى دعت إلى إجتماع هذا المجمع هو التنازلات غير المسبوقة التى تمت لليهود أو التى تم فرضها على الكنيسة ، رغم مخالفتها الشديدة للنصوص ، وتدارس كيفية جعل الأتباع يبتلعونها ! و أن المحاولات الأولى لصياغة نص متعلق بالإسلام تم اتخاذها فى دورة 1964 ، لإدخال فقرة حول المسلمين فى نص الوثيقة .

وكان النص المبدئى المتعلق بالإسلام يتضمن العبارة التالية : "وليسوا غرباء أيضا عن التنزيل الذى تم على الأباء ، أبناء إسماعيل ، الذين يعترفون بإبراهيم كأب لهم ، ويؤمنون بإله

إبراهيم". وكانت هناك ملحوظة مرفقة بالنص توضح أن "أبناء إسماعيل" هم المسلمون... إلا أن التصويت على النص الذى كان يتضمن عبارة " أبناء إسماعيل" قد قوبل باعتراض شديد. ويوضح الأب كاسبار سبب ذلك قائلا : "ما الذى حدث ؟ من بحث تعليقات التصويت تبيّن أن النص المقترح، رغم إعتداله "ليسوا غرباء عن التنزيل الذى تم على الأباء" يمكنه أن يستبق الحكم فى حل مسائل صعبة ومصار جدل شديد، من قبيل الإنتساب التاريخى للعرب إلى إسماعيل، وخاصة ربط الإسلام بالتنزيل الإنجيلى " (صفحة 205). وهو ما يؤكد عدم الأمانة المتعمّد فى صياغة هذه الوثيقة التى يعتبرها الفاتيكان حجر الأساس فى التعامل مع كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين.

وبعد مداولات ممتدة ، وإقتراعات وإستبعادات ، يوضح الأب كاسبار أن النص الأصلى المكوّن من بضعة أسطر، والخاص بالمسلمين ، قد تمت زيادته بشكل ملحوظ : " فهو يستخلص الخطوط الرئيسية لعبادة المسلمين ويدعو إلى نسيان خلافات الماضى ، وإلى الحوار والتعاون بين المسيحيين و المسلمين لصالح الإنسانية العام" (صفحة 206). وقد تم التصويت عليه بعدد 1910 موافقون و 189 معترضون. وإعيد مرة أخرى لإعادة النظر ، وأقرها 1763 صوتا ورفضها 250 ، وتم إقرارها نهائيا يوم 28 اكتوبر 1965 بأغلبية 2221 صوتا مؤيدا ضد 88 صوتا رافضا.

ويحاول الأب كاسبار تبرير ذلك الموقف المتعنت ضد الإسلام موضحا "ان اللقاء بين الإسلام والمسيحية قد بدأ بسوء فهم ، واستمر عبر القرون فى عداء معلن ، على تصادم الأسلحة والمناقشات الدينية الناقدة (...) . وأنه خلال القرنين الماضيين إنتقل الغرب المسيحى إلى الهجوم المباشر ، بسبب ضعف الإمبراطورية العثمانية، لإحتلال معظم البلدان المسلمة مباشرة أو بوضعها تحت الحماية" (صفحات 208-209).

ومما يتأسف له الأب كاسبار أن مسيحيى الشرق، الذين يعيشون فى تداخل نسبى مع المسلمين، يعرفون تماما عقيدة و شرع الإسلام ، إلا أن أهم ممثليهم ، من قبيل يوحنا الدمشقى أو تيودور أبو قرة ، رغم معرفتهم بالتفاصيل ، فقد تبين أنهم غير قادرين على فهم جوهر عظمة الإسلام ، وهى : التصعيد المطلق لله الواحد. وقد كان الوضع فى الغرب المسيحى أسوأ من ذلك ، فلمدة قرون قد اكتفوا بتناقل أسوأ الأساطير والإتهامات ضد الإسلام ونبيه ، دون حتى أن يكلفوا أنفسهم بالإستعلام عن عقيدته. فأول ترجمة تمت للقرآن لم تظهر إلا فى القرن الثانى عشر ، أى بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام. وكان ذلك بناء على دعوة من بطرس المبجل ، رئيس دير كلونى" (صفحة 209) ..

وقد فات الأب كاسبار أو تغافل إضافة أن رئيس الدير هذا، الأب بطرس المبجل ، قد طلب من المترجم ، روبير دى رتين ، قائلا : "أن تأتى ترجمته بحيث من يقرأها ، من المسلمين الذين تنصيرنهم حديثا ، أن تمحو أى أثر للإسلام من ذهنهم " (وارد فى كتاب "**القرآن**"، للمستشرق الفرنسى رجيس بلاشير ، صفحة 9).

إلا أن الأب كاسبار يضيف: "أن هذه الترجمة وكل الترجمات التى تلتها لم يكن لها أى هدف آخر إلا الإستعانة بها كأساس لدحض القرآن والنيل منه . وتحمل هذه المجموعة من المترجمين أسماء من قبيل ريكردو دى مونتى كروتشى ، دنيس لو شارتروه ، جان دى توركمادا ، نيكولا دى كوز ، جيوفانى أندريا ، مارتن لوثر ولودفيكو ماراتشى ، وهم من أشهرهم ".. أى أنها اسماء لكبار العلماء والباحثين .. إلا أن القائمة تمتد بكل أسف حتى جاك بيرك وأندريه شوراكى فى أواخر القرن العشرين ، وغيرهم كثير .

وفى الجزء الثانى من نصه التفسيرى ، يتحدث الأب كاسبار عن "مكانة الإسلام فى تاريخ الخلاص" قائلا : "أن نص البيان حول الديانات غير المسيحية ، فيما يتعلق بالإسلام ، مكتوب وفقا لترتيب له مغزاه. فلو أخذنا رؤية الخطاب الرسولى المعنون "**كنيسة يسوع المسيح**" الذى هو أيضا يتناول دستور "**نور الأمم**" الفصل الثانى بند 16 ، المتعلق بعلاقات شعب الله مع غير المسيحيين ، لرأينا أن وثيقة "**فى زماننا هذا**" أيضا تضع الإسلام بين الديانات الأسيوية الكبرى، التى تولدت بعيدا عن أية صلة بالمسيحية ، بينما العلاقات مع الديانة اليهودية شديدة الوضوح. وهكذا فإن الإسلام يبدو كأقرب الديانات للتنزيل اليهودى المسيحى. لكن البيان لا يقول شيئا حول الوضع الدينى للإسلام بالنسبة لهذا لتنزيل . إن النص الموازى الوارد فى وثيقة "**نور الأمم**" أكثر دقة وتكتمل كل قوته بفضل الأحداث التى أدت إلى تبنيه. ولقد سبق و أوضحنا أن المجمع كان قد استبعد الصياغة الأولى للبيان والتى كانت توحى، بشئ من التحفظ ، إلى وجود صلة ما بين " التنزيل الذى تم على الأباء " والإسلام . والنص الذى تم تبنيه يتفادى إتخاذ أى موقف حول هذه المسألة . إنه يضع الإسلام فى الصف الأول للديانات التوحيدية غير اليهو-مسيحية. ومن المهم أن نرى جيدا ما الذى أراد المجمع أن يقوله ، وما الذى لا يريد قوله ، وما هى الأسباب التى دعته إلى ذلك " ! (صفحة 213).

وهنا نورد النص الكامل للبند 16 من وثيقة "**نور الأمم**" ليدرك القارئ الترابط أو التداخل بين مختلف الوثائق الكنسية التى تصاغ جميعها لتساند بعضها البعض لأهداف بعينها. ويقول البند :

"وأخيرا بالنسبة للذين لم يتلقوا الإنجيل بعد فهم مأمورون بصور شتى أن ينضموا لشعب الله، وأولهم ذلك الشعب الذى تلقى العهود والوعود ، والذي خرج منهم المسيح وفقا للجسد ،

وهو شعب حبيب من حيث الإختيار، بسبب الآباء ، لأن الله لا يندم على ما يهبه ولا على من يناديهم. إلا أن غاية الخلاص تضم أيضا الذين يعترفون بالخالق ، وأولهم المسلمين الذين يعلنون أن لديهم إيمان إبراهيم ، ويعبدون معنا الإله الوحيد (le Dieu unique) الرحيم ، الذى سوف يحاكم البشر يوم الحساب يضم أيضا الذين لا زالوا يبحثون فى الظل وتحت الصور عن إله يجهلونه ، فإن الله ليس بعيدا عنهم ، بما أنه هو الذى يمنح للجميع الحياة وكل شئ ، بما أنه يريد كمنقذ أن يوجه كل البشر إلى الخلاص. وبالفعل ، إن الذين يجهلون إنجيل المسيح وكنيسته ، لكنهم يبحثون عن الله بقلب مخلص ويجتهدون بتأثير رحمته أن يتصرفوا بصورة تحقق إرادته كما تمليها عليهم إرادتهم وضميرهم ، فهم أيضا يمكنهم الوصول إلى الخلاص الخالد. إلى هؤلاء الذين دون خطأ من جانبهم لم يصلوا بعد إلى معرفة واضحة بالله لكنهم يجتهدون أن تكون حياتهم مستقيمة ، فإن العناية الإلهية لا ترفض لهم النجدة اللازمة لخلاصهم. وبالفعل فإن كل ما يوجد لديهم من طيّب وصدق فإن الكنيسة تعتبره كإعداد إنجيلى وكهبةٍ من الذى ينير كل إنسان لتكون له الحياة. وللأسف فإن كثيرا ما يخدع الشيطان البشر ، لذلك ينساقوا للضياع فى تفكيرهم لأنهم أهملوا الإله الحقيقى من أجل مخلوقات كاذبة ، وخدموا المخلوق بدلا من الخالق، أو يعيشون ويموتون بلا إله فى هذا العالم ، لذلك يتعرّضون لأقصى أنواع اليأس. ولذلك فإن الكنيسة المهتمة بمجد الله وبخلاص كل البشر، تتذكر وصية الرب : "بشّروا الإنجيل لكل البشر" (مرقص 16 : 16) ، وتضع كل عنايتها لمساندة ولتشجيع بعثات التبشير"..

وبدلا من نتناول الرد على عبارة الأب كاسبار قائلا : "من المهم أن نرى جيدا ما أراد المجمع أن يقوله ، وما الذى لا يريد قوله ، وما هى الأسباب التى دعته إلى ذلك " فالأمر شديد الوضوح، نواصل عرض تعليقه على نص الوثيقة إذ راح يكشف عن سبب إستبعاد الإسلام موضحا : " يكفى أن نقرأ القرآن ولو سطحيا لندرك على الفور أنه يحتوى على أشخاص وقصص وموضوعات ترجع إلى التراث الإنجيلى. وأن دراسة أكثر تعمقا تؤدى إلى نوعين من القرائن : من ناحية ، إن موقف محمد تجاه النصوص ومن يُطلِق عليهم "أهل الكتاب" قد تطوّر. ففى البداية لا يكف عن تكرار إنتمائه الى سلطتهم ويعطى نفسه مهمة تقديم نفس النصوص التى أتت على موسى واليهود ويسوع إلى مواطنيه ؛ ثم ، نرى القرآن يأتى بسلطة على الرسالتين السابقتين ويعلن أنهما حقيقيتان. وفى النهاية يُصبح القرآن وحده هو معيار الحق وإن النصوص الأخرى ليست أصلية إلا فى النطاق الذى تتفق فيه معه. إن الإسلام يزعم إنتمائه إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل عبر اليهودية والمسيحية".

وهنا وضع كاسبار هامشا يقول فيه : "القرآن سورة 2 : 125-140 ؛ سورة 3 : 65 -68 ؛ سورة 22 : 78 الخ ، الخ، إن المسلمين حاليا مقتنعون بأنهم ينتمون إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل ، إلا أن القرآن ليس واضحا حول هذه النقطة والتراث القديم للإسلام قد تطوّر كثيرا. ومن وجهة نظر علمية إن الأصل من ناحية النَسَب ومن الناحية العرقية للعرب عن طريق إسماعيل أبعد ما يكون عن الإستقرار. راجع ما كتبه ماكسيم رودنصون تحت عنوان "**جزيرة العرب قبل الإسلام**"، فى كتاب "**التاريخ العالمى**"، موسوعة لابلياد ، باريس 1964 ، المجلد الثانى صفحات 6-13. ومن وجهة نظر الكتاب المقدس واللاهوت الإنجيلى، لا يبدو أن إسماعيل ودوره ومباركته لها أى مغزى آخر سوى إبراز إختيار إسحاق ومصير الشعب المختار. راجع كتاب ج. م. بابو (J. M. Babut) : "**إسماعيل بن إبراهيم**" ، بحث لاهوتى إنجيلى فى مجلة "**العالم غير المسيحى**" رقم 43 و44 (1957) ، صفحات 274-295. وهناك أبحاث جارية حول هذه النقاط المختلفة".

الأمر الذى يكشف عن مدى الإصرار للتلاعب بالتاريخ وبالنصوص بغية الحفاظ على هذه المسيحية وفرضها على العالم.

ويواصل الأب كاسبار إستكمال الفقرة السابقة قائلا : "من ناحية أخرى إن الموضوعات المشتركة بين القرآن والتراث الإنجيلى ، سواء تعلق ذلك بالأشخاص أو بقصص الأنبياء ، فهى فى الواقع شديدة الإختلاف فى الجهتين. فإبراهيم هو بطل التوحيد الصرف أكثر من إنسان العهد؛ ويسوع ليس إلا نبى؛ وأصول القرآن هى فى الغالب الأعم الأناجيل المحجبة أو من التراث العبرى أكثر منها من الكتاب المقدس الأصلى".

وعلى الرغم من موقفه المنصف فى كثير من الأحيان ، إلا أنه لا ينسى أنه جزء من هذه المؤسسة وعليه تبنى موقفها وتبريره. لذلك يتناول موقف أعضاء اللجنة الذين صاغوا قرار الوثيقة ، فى الفقرة التالية ، موضحا أنهم كانوا منقسمون إجمالا إلى فريقين أحدهما يميل أكثر إلى فكرة وجود عناصر مشتركة ويجعلون الإسلام تفريعة من التراث الإنجيلى (ووضع هامشا) والآخر أكثر ميلا للإختلافات وإلى تفرد الخط الإنجيلى ولا يقرون أن يكون الإسلام تفريعة من المسيحية "لأنه تكوّن من الخارج ، من إتصاله باليهودية والمسيحية ، وبالإستعارة منهما للعديد من الملامح ، دون أن يندرج بينها حقا. إن الإسلام هو نتيجة جهد بشرى ، سواء كان ذلك بوحى إلهى أم لا ؛ أنه ديانه وضعية أو فرقة من تلك الفرق اليهو- مسيحية التى لاحت فى القرون الأولى. أى أن علاقة الإسلام بالتراث الإنجيلى ليست واضحة وتثير العديد من النظريات المختلفة. وإحتراما لحرية البحث هذه ولكى لا يستبق نتائجها المحتملة ، رفض المجمع النص

الأول وإحتفظ إيجابيا بالحد الأدنى : أن الإسلام يوجد فى الصف الأول للديانات التوحيدية غير المسيحية"..

أما الهامش الذى وضعه فيقول : "إن لويس ماسينيون هو الذى ذهب إلى أبعد من ذلك بتبنيه الرؤية الإسلامية البحتة للديانات السماوية الثلاث الناجمة عن إبراهيم : اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ، معتبرا هذا الأخير ناجما عن إسماعيل ووارثا لمباركته ولمصير إستبعاده. وراجع كتابه المعنون **"صلوات إبراهيم الثلاثة"** خاصة الصلاة الثانية المتعلقة بإسماعيل".

ومن الواضح من تكرار الإشارة إلى سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل، عليهما السلام، أن الإصرار على إستبعاد سيدنا إسماعيل من التاريخ الكنسى أو التاريخ الإسلامى، وبالتالى إستبعاد إنتساب المسلمين إلى سيدنا إبراهيم عن طريق سلالة سيدنا إسماعيل، من حيث النسب والعرق، يمثل خطا أساسيا تنتهجه المؤسسة الكنسية وفريق كتّابها ضمن حملة إستبعاد الإسلام من الوجود.

وفى الجزء الثانى من النص الذى كتبه الأب كاسبار ، يتحدث فيه عن التوحيد الإسلامى ويقوم بنوع من شرح النص الرسمى ، وكيفية إختيار الكلمات للنص النهائى للوثيقة. ومن المحبط والمثير للإستفزاز أن نرى كيف تم اختيار كل كلمة بريبةٍ و بحرصٍ شديدين ، وكيف تم اختيار أسماء الله – فى تلك الوثيقة ، بلؤم ودهاء ، إذ يقول الأب كاسبار : " وهكذا قام المجمع بوصف إله الإسلام باختيار الملامح الأساسية للإيمان الإسلامى والشبيهة لما هو وارد فى المسيحية. فأسماء أخرى (من أسماء الله) كان يمكن أن تؤكد الخلافات بدلا من التشابهات" (صفحة 219).

وفى مواصلة شرحه هذا ، يلفت الأب كاسبار النظر إلى أن الوثيقة : " تضع إبراهيم لا كجد فى سلسلة نسب العرب المسلمين ، وإنما تضعه كنموذج للإيمان الإسلامى لخضوعه لإرادة الله " (صفحة 221).

وإذا ما قام القارىء باسترجاع نص تلك الوثيقة والفقرة المتعلقة بالمسلمين ، ويمكنه ذلك بالرجوع بضعة صفحات ، سيلحظ النقاط التالية :

* أن كلمة " إسلام " غير واردة بهذا النص أو فى هذه الوثيقة.

* أن الكنيسة تنظر أيضا بعين الإعتبار إلى المسلمين ، فلا تشير إليهم على أنهم أتباع الرسالة التوحيدية الثالثة ، التى أتت لتصويب كل ما تم من تحريف وتغيير فى الرسالتين السابقتين وخاتمها، وإنما تنظر إليهم فحسب بعين الإعتبار ، بل حتى كلمة "تقدير" التى كان فى الصياغة الأولى قد تم إستبعادها !

* أن الإله الذى يعبده المسلمون " قد تحدث إلى البشر" بالتعميم ، أى أنه لم يتحدث تحديدا إلى سيدنا محمد ، عليه الصلاة والسلام ، مثلما تحدث إلى موسى أو مثلما أوحى إلى عيسى ، عليهما السلام ! فكل ما يعنى هؤلاء الأساقفة هو إستبعاد الإسلام من الوحى وفرض فكرة أنه ديانة من صنع البشر.

* الإصرار المتعمّد لاستبعاد النسب التاريخى للمسلمين إلى سيدنا إبراهيم عن طريق إبنه إسماعيل . وهنا لا يمكننا إلا أن نتساءل : هل إختفى نص العهد القديم من الوجود، لذلك لم يتمكن هؤلاء الأباء المساكين المجتمعين للتلاعب بصياغة ذلك البيان ، ولا يعرفون تاريخ المسيحية بالنسبة لقرابتها وعلاقتها فى سلسلة النسب مع الإسلام والمسلمين أو مع سيدنا إسماعيل ؟! ومع ذلك فالتاريخ لا يزال ثابت بكل وضوح فى الوثائق والنصوص !

* أن الإيمان الإسلامى يتخذ سيدنا إبراهيم كنموذج، يتخذه مجرد مثلا طواعية ولا ينتسب إليه ! ومن العار أن نرى مواصلة ذلك التعنت بلا خجل ، لأن هذا التحريف يستبعد الإسلام من أرض الرسالات ، كما له إنعكاس أساسى على القضية الفلسطينية باستبعاد الفلسطينيين بالتبعية من هذه المنطقة، بمعنى أنه لم يكن هناك أى وجود للإسلام والمسلمين سواء أكانوا عربا أم فلسطينيين !

* السعى الحثيث لإستبعاد الإسلام من النص الإنجيلى رغم كل الإشارات التى لا تزال فى الكتاب المقدس بعهديه ، حتى بعد كل ما أصابه من تعديلات وتغييرات متعددة ، لكى لا نقول تحريف و تبديل ، وهو ما أثبته بجدارة رجل القانون الأمريكى جوزيف هويلس، فى كتابه المعنون : **التحريف فى المسيحية** ، أو كما أكدته الأبحاث المعروفة ب "**ندوة عيسى**" والآلاف غيرهم .

* عملية التزوير فى التاريخ و وضع الإسلام بين الديانات الكبرى الأسيوية التى تولدت بعيدا عن المسيحية ، حتى وإن كان أهمها كما يقولون ، هى مغالطة من الوضوح بحيث ان أى شخص ملم بجزء ولو ضئيل من المعلومات التاريخية والجغرافية سيدرك التحريف.. وإذا كان هؤلاء الأباء الذين ألفوا التغيير والتبديل فى نصوصهم لا يعرفون الفرق جغرافيا بين آسيا وبلاد العرب و فلسطين ، فما الذى يمكننا أن نتوقعه من أمثالهم ؟ !

من الجارح والمخيّب للآمال أن نرى كل ذلك التصلّب لهؤلاء الآباء الأجلاء ، وإصرارهم على التزوير و تغيير الحقائق التاريخية ، وخاصة الإعتماد على هذا التزوير لإصدار أحكام وفرضها على العالم ، ووضع توجيهات للتصرف أو فرض قرارات بعينها ! و من المثير للدهشة أن نراهم يجمعون على قول " إن المسلمين يقدرون الحياة الأخلاقية " ! ولو كان هؤلاء الأجلاء قد سألوا عن المضمون الحقيقى للقرآن فيما يتعلق بالأخلاق ، لأتتهم كرد مفعم رسالة

الدكتوراه التى تقدم بها الدكتور محمد عبدالله دراز، تحت عنوان " **الأخلاق فى القرآن** " المكوّنة من 770 صفحة ، والتى تمت مناقشتها فى السوربون سنة 1952.. ليروا إلى أى مدى إن الأخلاق لا تمثل فحسب جزء لا يتجزأ من القرآن ، وانما هى واحدة من أهم دعائمه التى تنظم حياة المسلم فى كافة المجالات ، حتى فى المجال الحربى : حيث لا يحق للمسلم أن يبدأ بالإعتداء ولكن بالرد فقط وبقدر الإعتداء نفسه . والنصوص موجودة لكل من يود معرفة الحقائق بلا إلتواء ..

أما الفقرة الثانية التى تطالب المسلمين بالنسيان ، فهى أيضا بحاجة إلى وقفة موضوعية لكى نرى كيفية التلاعب بالحقائق التاريخية وبالإسلام والمسلمين . ففيما يتعلق "بالخلافات والعداوات " التى اندلعت بين المسيحيين والمسلمين" ، من الثابت فى وثائق ونصوص المؤرخين المسيحيين أن الإسلام قد تمت محاربته منذ بداية إنتشاره على أنه "هرطقة " من الهرطقات التى كانت ترفض تأليه يسوع. ومنذ أولى الأيام قام الكتّاب المسيحيون بوصف الإسلام بأقذع وأحط الأوصاف. ففى النصف الأول من القرن الثامن قام يوحنا الدمشقى بتشبيه الإسلام بحركة هرطقية شديدة القرب من الأريوسية – والأسقف أريوس كان من الذين يرفضون تأليه يسوع وشلحته الكنيسة.

وفى منتصف القرن التالى نطالع فى "**حوليات تيوفان**" قوله : "أنه فى عام 622 توفى نبى مزيف من سلالة إسماعيل" (وارد فى كتاب فيليب سيناك : "**صورة الآخر**" صفحة 30). أى أنه حتى القرن التاسع الميلادى كانوا يعرفون و يكتبون فى كتبهم وفى مراجعهم أن النبى محمد، صلوات الله عليه، من سلالة إسماعيل ! كما نطالع فى صفحة 97 من نفس كتاب "**حوليات تيوفان**" : " ومنذ ذلك الوقت لن يُذكر اسم نبى الإسلام إلا مقرونا بالمسيح الدجال. وفى منتصف القرن الثانى عشر ، قال القديس برنار ، الذى كان يحث على الحرب الصليبية الثانية، أن نهاية المسيح الدجال قد إقتربت وان المسلمين الذين يتهددون القدس ليسوا سوى أولياء الظلمات وقد اجتمعوا من أجل نهايتهم المحتومة " !.. ومن المحزن والمؤسف ، أن نرى القديسين يسقطون فى هاوية التزوير والتحريف للتاريخ ! على أى حال فهذا القديس لم يكن وحده هو الذى انجرف إلى هاوية التحريف والتزوير التى تتواصل حتى يومنا هذا بهَوَسٍ أكثر تسلطا و قبحاً !

هل لنا أن نذكّر ما قاله الأب كاسبار فى صفحة 209 ، بعد أن استعرض العداوات والخلافات التبريرية المسيحية ، من " أنه طوال القرنين الماضيين (والنص مكتوب فى سنة 1965) قام الغرب المسيحي بالهجوم والإعتداء على البلدان الإسلامية باستعمارها أو بوضعها تحت الحماية (...) والمسيحيون الذين يعيشون وسط المسلمين ، ولو فى تداخل جزئى ، تبيّن أنهم غير قادرين

علـى ادراك مـا يكـوّن جـوهر وعظمـة الإسـلام ، التـى هـى : التصـعيد المطلـق لله الواحـد. وكـان الوضـع فـى الغـرب المسـيحى أسـوأ . فلمـدة قـرون طويلـة سـيكتفى الغـرب بنشـر أسـوأ وأحـط الأحكام على الإسلام ونبيه ، دون حتى أن يكلفوا أنفسهم بتبين حقائق ذلك المذهب " ؟.

ولا معنـى لإضـافة هنـا أن حتـى البابـا بنـديكت السـادس عشـر، فـى محاضـرته الشـهيرة فـى راتيسـبون سـنة 2006 ، لـم يـتمكن مـن إدراك عظمـة التصـعيد المطلـق لله الواحـد الأحـد فـى الإسلام، و وجد أنه أمر لا يتفق مع العقل والمنطق !!!

وعند الحديث عن الفقرة الأخيرة التى تطالب "بالفهم المتبادل" بين المسيحيين والمسلمين، يشير الأب كاسبار إلـى العديد مـن الدراسـات التـى بـدأت بالفعل فـى محاولـة للتقارب بـين المسيحية والإسـلام. إلا أن المطلـوب أكثـر مـن ذلـك بكثيـر ، موضـحا مـا يعنيـه قـائلا : "أنـه يعنـى العمـل المعلوماتى الذى يجب أن يتم لدى المسيحيين ، القساوسة ، ودارسو اللاهوت ، والعلمانيين سواء أكانوا مثقفون أم رجال أعمال ، وخاصة كل الذين عليهم التعامل مع المسلمين ، فـى أوروبـا أو فى بلدان مسلمة. وهـى معلومـات يجـب أن تكـون مؤسسـة علميـا ، وموضـوعية ، ومتفتحـة للقيم الإسلامية ، دون أن يؤدى ذلك إلى إستبعاد أصالة المسيحية. بـل يمكننـا أن نتصـور بخـلاف هـذه الجهود ، أن الحوار بين المسيحيين والمسلمين حتى على مستوى العقيدة ، لا مـن أجـل مصـالحة وهميـة ، يرفضـها كـل مـن الإسـلام والمسـيحية ، لكـن لإسـتبعاد الأفكـار المسبقة والإعتـرادات الخاطئة لعرض أهمية العقائد بموضوعية للطرف الآخر" (صفحة 231). أى أن المطالبـة تعنـى بالتحايل والمراوغة بحيث يظل جلباب المسيحية المهلهل هو دائما فى الصدارة !

وهنا لا يسعنا إلا أن نتسـاءل لمـاذا الإصـرار علـى إيقـاد كـل ذلـك الحقد والكراهيـة ضـد الإسـلام والمسلمين والإصرار على ترسيخها ؟! لمـاذا ذلـك الوجـه المـزدوج أو التعامـل بـوجهين، خاصـة حينما نقارنها بالتنازلات التى قدمها الفاتيكان لليهود ؟! فهى تنـازلات أخرجتـه عـن معنـى أناجيلـه ونصوصـها. بـل مـا الـذى يمكـن قولـه عـن ذلـك الإصـرار علـى اقـتلاع الإسـلام كديانـة توحيديـة وبكل تلك الضراوة ؟ و مع ذلك فالتـاريخ شـديد البسـاطة والوضـوح رغـم كـل عمليـات التحريـف تلـك. ثـم يطالبوننـا بالنسـيان ، نسـيان كـل تلـك الحـروب والإغتيـالات وجـرائم الإقـتلاع منـذ بـدأ الإسلام ينتشر وحتـى يومنـا هـذا ، نسـيان كـل هـذ المظلـم الـدامى وأن نجتهـد بصـدق لفهـم متبـادل .. أليس من العدل أن الذى قام بكل هذه الجـرائم علـى مـر القـرون أن يبـدأ أولا بـالإعتـذار عنهـا وأن يغير من موقفه الظالم المحرِّف، بدأ بهذه الوثيقة، ثم يتحدث عن المصالحة ؟

وإذا مـا استبعدنا كافة التفاصيل لنتخطـى الـزمن لتنـاول تـاريخ رسـالة التوحيد فـى بضـعة كلمـات سنجد : أن رسـالة التوحيد نزلـت علـى موسـى النبـى عليـه الصـلاة والسـلام ، ثـم عـاد اليهـود إلـى

العجل وقتل الأنبياء. فأُنزلت رسالة التوحيد على عيسى النبى عليه الصلاة والسلام موضحا أنه لم يرسل إلا من إجل خراف بيت إسرائيل الضالة (متى 15 : 24). وفى مطلع القرن الرابع ، فى سنة 325 ، قام المتحكمون فى الكنيسة الكاثوليكية بتأليه يسوع ، ثم بعمل عقيدة الثالوث عام 381 وفرضوها ، غير عابئين بالنصوص والحقائق التاريخية ، واقعين بذلك فى هاوية الشرك بالله .. لذلك تم تبليغ الرسالة لثالث مرة على النبى محمد عليه الصلاة والسلام . وكانت رسالته لا من أجل إرجاع الخراف الضالة فى الرسالتين السابقتين إلى التوحيد فحسب، وإنما للعالمين ، ليسيروا على السراط المستقيم الحق وعبادة الله الواحد الأحد. وهو ما نطالعه بوضوح فى نص شهادة الإسلام: " لا إله إلا الله "، لا أشخاص مؤلهة ولا ثالوث يشرك بالله . وهذا هو ما يؤكد بوضوح التصعيد المطلق لله الواحد الأحد ، الله الذى ليس كمثله شىء.

وعلى عكس ما تقولة وثيقة الفاتيكان الشهيرة حول "أحكام الله المخفية أو غير الواضحة" فى الإسلام ، فإن وضوح الأحكام الإلهية الإسلامية ، التى تم الحفاظ عليها سالمة بدقة وحرص شديدين ، ترجع إلى أنه لا توجد فى الإسلام معميات مفروضة بظلمات أيا كانت ، لا يوجد إيمان بألوهية المسيح ، لا يوجد تاريخ تم "تنسيقه" وفقا للأهواء بعد تغييره وتحريفه ، لا يوجد مسيحا ولا وساطة منسوجة بين الله والبشر ، لا يوجد خلاص على يد أى شخص أيا كانت مكانته فكلها بدع مختلقة ! لا يوجد فى الإسلام أى شىء من هذه الأحاييل الكنسية. لايوجد سوى إختيار واضح بين الخير و الشر ، بين الحلال والحرام ، بين السراط المستقيم وسراط معوجّ ملتوى يختاره المرء لنفسه .. أنه اختيار متواصل على كل إنسان أن يقوم به ، وهو ما يضعه وحده أمام الله سبحانه وتعالى، ولا شىء معه سوى أعماله التى قام بها فى الدنيا والتى اختارها طواعية ليجزيه الله فى يوم الحساب. ذلك هو الإسلام : الشهادة بأنه لا إله إلا الله ، والإستقامة .

إن هذا الوضوح البسيط للأحكام الإلهية فى الإسلام ، وهذه النزعة الإنسانية العميقة والعادلة ، هى التى جعلت أنه على مدى إثنى عشرة عاماً انتشر الإسلام فيما بين النهرين وفلسطين وسوريا ومصر ، مخلّصا شعوبها من الإضطهاد المتعصب ، بفضل الإسلام والمسلمين ، وهو ما يؤكد و يضفى مصداقية واضحة على ظاهرة إنتشار الإسلام، وهى من الظواهرالأكثر وضوحا والأكثر تأثيرا على العالم ، منذ مطلع القرن السابع وحتى يومنا هذا.

وإذا انتقلنا بإيجاز شديد إلى تاريخ النصوص ، ما الذى سنراه وفقا للأبحاث الحديثة خاصة ؟ أن النصوص العبرية قد احترقت مع المعبد قبل الميلاد بخمسة قرون ، ثم قام عزرا بكتابتها من الذاكرة بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة ، ولم تنته صياغتها إلا فى القرن العاشر الميلادى ! ونصوص العهد الجديد قد تمت صياغتها فى أواخر القرن الميلادى الثانى ، بأقلام كتبة مجهولون وليست الأسماء التى هى معروفة بها . ثم قام القديس جيروم بصياغتها من بين أكثر من خمسين نسخة

مختلفة من الأناجيل. والخطاب/المقدمة الذى يوجهه القديس جيروم للبابا داماز ، الذى طلب منه القيام بذلك العمل ، لأكبر دليل على التحريف والتلاعب الذى تم فى نصوص العهد الجديد (راجع طبعة البنديكتين سنة 1693) !

وعلى أى حال فلم يكن بلا سبب أن تقوم الموسوعة البريطانية بقول أن هناك أكثر من 150000 خطأ ترجمة وتناقض وعدم توافق فى الأحداث. وقد قام العلماء حديثا برفع هذا الرقم إلى الضعف بفضل الأبحاث التى أجروها. وفى واقع الأمر، لا توجد أى وثيقة واحدة أصلية ، لا بلغة عيسى عليه السلام ، ولا من عهده : كل هذه النصوص عبارة عن نصوص منقولة عن نصوص منقولة ومعاد نقلها . وهو ما يجب أن نضيف عليه إعادة تغيير هذه النصوص والعقائد عبر المجامع ومن طبعة إلى أخرى على مر العصور. وعلى العكس من ذلك ، فمن الثابت والمعروف لدى الجميع ان النص القرآنى هو النص المنزّل الوحيد الذى تم الحفاظ عليه بلا تحريف أو تغيير ولو حرف واحد من حروفه ، منذ انزله الله حتى يومنا هذا وسيظل محفوظا إلى يوم الدين ...

وقبل عصر التنوير بكثير ، وفى زمن لم يكن أحد بعد يعرف بما يدور فى كواليس المؤسسة الكنسية ، قام القرآن الكريم بإنكار صَلب يسوع ، وبإنكار تأليه يسوع، وبدحض الثالوث، كما قام بكشف مختلف أنواع التلاعب الذى تم فى النصوص الإنجيلية. وهو ما تم إثباته قطعا طوال القرن العشرين خاصة ، بل ومن قبله بكثير، وتلك الحقائق هى ما تمثل أزمة "الأصولية والحداثة".. تلك المعركة الحامية التى كادت أن تأتى على المؤسسة الكنسية برمتها فى مطلع القرن العشرين .. إن هذه المعلومات فى الغرب باتت من المعلومات الدارجة التى نطالعها فى الموسوعات والقواميس ، بل فى الجرائد والمجلات ، حتى المدرسية منها من أمثال قاموس لاروس الصغير. وهذه الحقائق هى فى الواقع التى تثير أحقاد المتحكمين فى المؤسسة الكنسية. ونذكر مما أورده القرآن الكريم على سبيل المثال :

* **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً** (النساء / 157)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ... (النساء/171)

* **وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** (البقرة 42)

* **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** (البقرة / 59)

* **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (البقرة / 75)

ومن الملاحظ طوال النص القرآنى ان عيسى عليه السلام يُطلق عليه : "عيسى بن مريم " إستبعادا لتلك الهرطقة التى تقول أنه "إبن الله" أو "ألله نفسه" !

وهنا لا يمكننا إلا أن نتساءل بكل مرارة : ألم تكف حوالى الفين عاما من التاريخ المدرج بالدماء والحروب الضارية التى قادتها هذه المؤسسة الفاتيكانية لتفرض نفسها بكل ذلك الطغيان ، لكى تفهم أنها ليست على الطريق المستقيم ؟! وبدلا من مواصلة قلفطة التحريف والتزوير والغش لتبشير الشعوب و لتنصير الشعوب ، خاصة بعد كل تلك الأبحاث الجديدة الجادة والتى عرضنا منها تلك الشذرات ، أليس أكثر إنسانية وأكثر منطقية أن تترك هذه المؤسسة الناس فى حالها وأن تكرس جهودها لاستبعاد كل تلك الآلام التى تغص بها الأرض ، وكل هذه الأوبئة ، والمجاعات ، والأمراض ، وكل هذه الكوارث الطبيعية أو المفتعلة ، التى تتهدد الحياة على الكرة الأرضية بكلها ، دون الإصرار الأعمى على تنصير الشعوب ؟! إن مليارات الدولارات التى تنفق هباء وبعتهٍ غير مسبوق لتنصير العالم سوف تعاون بلا شك فى النخفيف من وقع ذلك المصير المأساوى الذى ينتظرنا جميعا أو على الأقل التقليل من حدته..

ولا يسعنا إلا العودة إلى تلك الجملة البذيئة والظالمة ، لكنها جدّ كاشفة ، والتى تصف الإسلام **"بأنه عبارة عن خطأ مطلق لا بد من دحضه ، وخطر بالنسبة للكنيسة لا بد من محاربته "** ، لنسأل تلك المؤسسة الفاتيكانية ، بكل صدق وموضوعية ، أى الديانتين يعد خطأ مطلق بالنسبة بالنسبة للحق وبالنسبة للدنيا : تلك المسيحية الفاتيكانية المتعنتة ، المتصلبة الرأى ، والتى تم اختلاقها تلفيقا عبر المجامع على مر العصور كما رأينا نموذجا من كيفية صياغة هذه الوثيقة التى نحن بصددها ، أم الإسلام ، الذى لم يهن عليهم حتى ذكر أو كتابة اسمه فى تلك الوثيقة ، والذى لم يكفّوا عن محاربته بضراوة وعدم أمانة لا مثيل لهما ؟!

♦ ♦ ♦

وقبل تناول الجزء المتعلق باليهود فى وثيقة "**فى زماننا هذا**" تجدر الإشارة إلى الكاردينال الذى أطلقوا عليه عبارة "مهندس المجمع" ، والذى صاغ أهم وأخطر والثائق المتعلقة بتبرأة اليهود من دم المسيح.. إنه الكاردينال أغسطين بيا . فقد كانت هذه الوثيقة نقطة إنطلاق لنظرة مسيحية جديدة حيال اليهود ، أو بقول آخر، من خلال نص مكوّن من أربعين سطراً ، هو كل نص "الديانة اليهودية"، وهو نص غير مسبوق فى التاريخ الكنسى برمته ، أدارت الكنيسة ظهرها، فى حركة بهلوانية بارعة ، لثمانية عشر قرنا من العداء المسيحى المتواصل ضد اليهود وقررت أن تنظر إليه بنظرة جديدة ، ـ حتى وإن تم ذلك على حساب معاداة ديانة أخرى بكل شعوبها أو على حساب شعب بعينه.

وفيما يتعلق بالموقف الشخصى للكاردينال بيا فى إدارة وصياغة هذا الجزء من الوثيقة ، يمكن ملاحظة الآتى ، مما هو وارد فى بحث بمجلة سيديك الدولية، التى أصدرت عنه عددا خاصا سنة 1969 ، وهى جمل أو عبارات جد كاشفة للدور الذى لعبه فى المجمع :

* أنه طوال مدة المجمع وفترة الإعداد له كانت له العديد من اللقاءات والإجتماعات بجماعات الصداقة اليهودية المسيحية ، من مختلف البلدان، وكانوا يمدونه بالوثائق أو بالطلبات التى عليه إدراجها أو الإستعانة بها ؛

* أول إشارة تدل على توجّه مضمون وثيقة المجمع هذه ، قد بدرت من الكاردينال بيا فى إحتفال جمعية الصداقة فى روما ، يوم 14 يناير 1962 ، حين تحدث أمام جمهور مكون من أكثر من مائة شخص يمثلون 43 دولة، و18 دينا مختلفا، حول ضرورة التعاون الأخوى فى كل ما هو طيب وخير بين الشعوب والأديان .. ولم يُشر الكاردينال إلى دولة بعينها أو إلى ديانة ما ، لكن اليهود أدركوا أنه قد أعرب عن الموقف الجديد للكنيسة تجاههم قبل بداية المؤتمر.

* لقد أعدت الأمانة العامة الخاصة بوحدة المسيحيين عدة نصوص ووثائق للمجمع، لكن الكاردينال بيا كان يصر دائما على تقديم وعرض كل ما يتعلق باليهود. وعند عرض البيان النهائى قدمه قائلا : "إن الشراكة الحميمة بين الكنيسة ، شعب الله المختار فى العهد الجديد، والشعب المختار فى العهد القديم، واضحة لكافة المسيحيين، وهكذا توجد رابطة شديدة بين عملية توحيد الكنائس والمسائل التى تمت مناقشتها فى هذه الوثيقة".. وبذلك تم إستبعاد كل الأفكار المسبقة ومعاداة السامية بجرّة قلم رغم كل الإعتراضات التى دوّت خلال الجلسات ..

وقد لفتت مسألة العلاقات بين الكنيسة والديانة اليهودية أنظار العالم أثناء المجمع، وأصبح واضحا أن هذه العلاقات لا تتوقف عند حدود بحث لاهوتى أو مجمعى ، وإنما تتعلق بالواقع الشديد التعقيد لتاريخ بعينه . فقد أصبحت هذه الوثيقة الركيزة الأساسية التى إعتمد عليها

الفاتيكان لإعلان إعترافه بدولة سفاح على حساب شعب يتم إقتلاعه بإصرار وجبروت ، من أجل ترّاهات دينية ونصوص هم أول من يعلم بتحريفها ..

وعند تقديم النص النهائى أصر الكاردينال بيا على توضيح : "إن التعديلات التى تمت فيه أجريت بحيث يتم التعبير بوضوح شديد عن الجانب الدينى ويتم إستبعاد أى تفسير سياسى بأى ثمن"، وكتب باللاتينية (omni ope) لتأكيد العبارة.

وتكفى مثل هذا الإشارة لندرك أنها مجرد عبارات تمويهية كالمعتاد..

وبعد المجمع بعامين أصدر الكاردينال بيا كتابا بعنوان "**الكنيسة والشعب اليهودى**" ، يمكن تلخيص أفكاره الرئيسية فى أربعة نقاط هى :

1 – أن إسرائيل تظل دوما هى شعب الله المختار الذى خرج منه المسيح للعالم أجمع . وهو ما يخالف كل النصوص الدينية أو الإنجيلية الرسمية التى تنص على أن المسيح يمثل العهد الجديد الذى وقعه الله مع البشر ، وبالتالى لم يعد اليهود هم شعب الله المختار !

2 – أن المسيح قد قبل الصلب بمحض إرادته من أجل التكفير عن خطايا كل البشر ! وكأنه يقول أن المسيح هو الذى صلب نفسه أو إنتحر بمحض إرادته من أجل تكفير خطايا كل البشر.. والمعروف أن بولس، الذى لقّب نفسه رسولا، هو الذى قال هذا التبرير الذى سنعود إليه.

3 – إن تهمة قتل الرب (déicide) ، (ويُقصد بها عملية قتل المسيح)، هى عملية موضوعية ويمكن إعتبار أن أعضاء المحكمة الذين حكموا عليه هم القتلة وليس الشعب اليهودى بأسره ؛ وأنه من الأفضل حذف هذه الكلمة تماما من قاموس اللغة لكل ما تحمله من أصداء مرفوضة !

4 – أن العلاقات الحالية مع اليهود يجب أن توضع تحت بند الأخوة العالمية والمسيحية .

ومن الصعب إدراك عمق وأبعاد ما تعنيه وثيقة "**فى زماننا هذا**" دون أن نأخذ فى الإعتبار التغيير أو "التجديد" اللاهوتى الذى تم منذ أول وثيقة "**نور الأمم**" بند "غموض سر الكنيسة". كما لا يمكن إدراك غياب الإشارة إلى آباء الكنيسة وكتاباتهم المعادية ، أو التى تسببت فى إشعال معاداة السامية أو معاداة اليهود ، إذا أغفلنا نقاط استثنائية أو متفردة وردت فى نص دستور "**حول الوحى**" الذى اصدره المجمع والعلاقة بين النصوص الإنجيلية والتراث.

وهذا التغيير الذى يصعب تصوره أو إدراكه هو الذى سمح للبابا يوحنا بولس الثانى أن يتجرأ ، عند زيارته للمعبد اليهودى فى روما يوم 13 إبريل سنة 1986، ليقول عبارات تناقض تماما كل التراث الكنسى حيث أعلن : " إن الدين اليهودى ليس غريبا عنا وإنما هو جزء لا يتجزأ منّا.

لذلك تربطنا به علاقات لا توجد بيننا وبين أية ديانة أخرى. أنتم إخواننا المفضلون ، وبمعنى آخر يمكننا قول : إخواننا الأكبر منا " .. وذلك رغم كل ما كالته الكنيسة لهم على مر العصور !

ويقوم الأب كوتييه بعرض البند الرابع من وثيقة "فى زماننا هذا" المتعلق بالدين اليهودى ، مثلما قام الأب كاسبار بعرض ما يتعلق بالدين الإسلامى. وهو ما تطلب منه الكثير من التلاعب اللغوى والقفذ على الحروف والمعانى ليعرض مختلف تجاوزات الكنيسة فى هذا البند وكل ما تسببت فيه من نقاش محتد فى عملية تبرأة اليهود من دم المسيح. فتكفى الإشارة إلى أن إنجيل يوحنا وحده يتضمن أكثر من 35 جملة أو عدد تشير بوضوح لا لبس فيه إلى أن اليهود هم قتلة الرب أو أنهم جماعة كارهة ليسوع ومسئولون عن المعارضة التى تم تنظيمها ضده. فغير صحيح أن عبارة "اليهود" فى هذا الإنجيل أو غيره من الأناجيل يُقصد بها أعضاء المحكمة التى أدانته فقط أو هم والذين كانوا فى صراع ضده ، مثلما تزعم هذه الوثيقة. فعبارة اليهود هذه تضم كل فقرهم من فاريسيين وصادوقيين وكبار الكهنة الذين يكنون له العداء ، فكم من مرة ترد عبارة "الشعب كله" التى لا مواربة ولا لبس فيها.

ويوضح الأب كوتييه عند تناوله لهذا البند المكوّن من أربعين سطرا ، صاغها الكاردينال بيا بدهاء شديد ، قائلا : "إعتمادا على الخلط فى المفاهين والمعانى التقليدية للكلمات فيما يتعلق باليهود والتى تمثل مشاكل عويصة الحل عند تفسيرها أو ترجمتها". وذلك من قبيل جملة يسوع فى خطابه إلى السامرية الشديدة الوضوح حين أعلن : "لأن الخلاص هو من اليهود" (يوحنا 4 : 22) ، التى تناقض ما هو وارد فى نفس إنجيل يوحنا وفى باقى الأناجيل، والتى تكشف فى نفس الوقت عن إختلاف واضح فى مراحل صياغة الأناجيل وتناقضاتها. فكيف يمكن أن يعقل أى قارئ لهذه النصوص أن اليهود الذين يصفهم يسوع بأنهم "أولاد أفاعى" ويتهمهم كتبة الأناجيل بأنهم قتلوه ، ثم نطالع فى نفس هذه الأناجيل "المقدسة" أنها تقول أن خلاص البشرية (والمقصود بها المسيحيون) سيكون على أيدى اليهود !!

الفصل الرابع

الحوار فى وثائق الفاتيكان

يبدو أن للحوار بين الأديان أهمية واضحة على الصعيد العالمى، وله أكثر من مكان لكى لا نقول أكثر من مجال.. فهناك "البرلمان العالمى للأديان" ، وقسم خاص بحوار الأديان فى مقر منظمة اليونسكو، والمؤتمر العالمى للآديان ، وهناك بالطبع منظمات الحوار بين الأديان وأهمها "اللجنة البابوية للحوار بين الأديان"، ويتفرع عنها "اللجنة البابوية للحوار الإسلامى-المسيحى".. وقد يبدو للبعض أغربها أن يكون للحوار بين الأديان برلمانا لمناقشة قضاياه..

إلا أن هذا البرلمان الذى يضم أديان العالم بين جنباته هو أول محاولة لعقد حوار إجمالى بين الأديان. وقد تم إنشاؤه فى أواخر القرن التاسع عشر، وإجتمع لأول مرة فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة ، من 11 إلى 27 سبتمبر 1893، بمناسبة المعرض الدولى المقام هناك.وقد خبت المحاولة مع الوقت ثم قام أتباع سوامى فيفكانندا ، الذى حضر أول إجتماع، بإعادة إحياء الفكرة سنة 1988 للإحتفال بمرور مائة عام على إنشاء برلمان الأديان. وفى عام 1993 أعيدت الإجتماعات فى "برلمان أديان العالم". ومنذ ذلك الوقت إجتمع سنة 1999 فى مدينة كيب تاون فى جنوب إفريقيا ؛ وفى سنة 2004 فى برشلونة بإسبانيا أيام المهرجان الدولى للثقافات ؛ وسنة 2009 فى مدينة ملبورن باستراليا. وسوف تقوم مدينة بروكسل باستضافة إنعقاد إجتماع البرلمان سنة 2014. ويضم هذا البرلمان شخصيات من أكثر من ثمانين دولة ، ويدعو أكثر من عشرة آلاف عضوا فى لقاءاته ليعملوا معا من أجل مجتمع قائم على السلام والتجانس.

ولأول مرة يجتمع ممثلون من الأديان الشرقية والأسيوية والغربية فى محاولة لها مغزاها ، وهى البحث عن نقاط الشبه والتوافق من أجل مزيد من التقارب ! أو بقول آخر البحث عن المشترك وتفعيله، كما يقولون حاليا وإغفال الإختلافات الأساسية .. وهو ما يمثل خروجا عن الدين. لأن الاختلافات العقائدية التى أوضحها المولى عز وجل فى القرآن الكريم ، على الأقل بين أبناء الرسالة التوحيدية وبلاغاتها الثلاثة شديدة الوضوح. فكيف نغفل هذه الحقيقة الإلهية ونتغاضى عنها للبحث عن المشترك وتفعيله ؟!

أما "المؤتمر العالمى للأديان" من أجل السلام ، وهو هيئة أخرى غير البرلمان، فقد تم إشاؤه سنة 1970 ، ويعد أكبر تحالف دولى لممثلى الديانات الكبرى فى العالم من أجل خدمة السلام. وفى 6 يناير 2009 إفتتح الدلاى لاما مؤتمرا لحوار الأديان تحت عنوان "حوار الأديان،

سمفونيات عالمية" .. وقد تناول هذا المؤتمر بحث الوسائل الممكنة لمعالجة الخلافات بين الديانات الكبرى.

وقد كان من الضرورى البدء بتوضيح بهذه الجزئية تحديدا لأنها الخط الأساسى حاليا فى مجال الحوار الفاتيكانى. فكثيرا ما نطالع عبارات من قبيل "لقد حاولنا محاربة الإسلام قرونا طويلة لإقتلاعه وفشلنا ، فلنترك الخلافات جانبا ونبحث عن المشترك وتفعيله وستخبو الخلافات وحدها" .. وهو ما يوضح محاولة تغيير شكل الصراع، والهدف واحد لا يتغيّر، فالغرب المسيحى المتعصب هو الذى لا يكف عن محاولات إقتلاع الآخر بل ولا يكف عن ترديده وإلا فما معنى عبارة "تنصير العالم" ؟

ولعل الإشارة إلى جوليان رييس (J. Riès) وتناوله لمعنى الحوار ، فى كتابه عن المعنون "**المسيحيين بين الأديان**"، يعطى فكرة سريعة لذلك المجال ، فهو يوضح كيف "أن الحوار قد بدأ مع الإسلام قبل الحروب الصليبية التي ما أن توقفت حتى حل التبشير مكانها ، وكيف أن هذا الحوار منذ اللحظات الأولى كان قائماً على التجريح والعنف ، ولا يهدف إلا إلى تشويه الإسلام والمسلمين". ويشير رييس إلى أن "أول رد فعل يرجع إلى تلك الأيام التي تَلَقى فيها قيصر بيزنطة ميشيل الثالث (842 م - 867م) خطابين من المسلمين يتضمنان رفض فكرة الله المتجسد في يسوع. وقام القيصر بتحويل الخطابين إلى نيستاس ، أحد مثقفي البلاط ، للرد عليهما. وأجاب نيستاس قائلاً : "إن محمداً مهووس بفكرة إثبات رسالته ، وإقرار أصلها الإلهي؛ الأمر الذي يفسر منهجه القائم على الاحتيالات ، والخبث والرياء ، والدهاء ، والتظاهر ، والأكاذيب" ثم اختتم بحثه بأن "الرسالة القرآنية من وحي الشيطان" (صفحة 231). ولا داعى للإشارة هنا إلى عدم أمانة ذلك المثقف فهو لم يتناول نص الخطابين وإنما راح يشوّه محتواهما .

ويضيف جوليان رييس قائلاً : "وانهال المفسرون البيزنطيون على النص القرآني ليقرأوه بعيونهم كمسيحيين عدوانيين ضد الإسلام .. وهكذا تكونت بالتدريج فجوة شاسعة بين الدين الإسلامي والصراع المسيحي" (صفحة 232).

وما إن خمدت الحروب الصليبية حتى بدأ الحوار بهدف محاصرة الإسلام عن طريق الإرساليات التبشيرية، وهو ما كان قد أعلنه بطرس المبجل (1092 - 1156) ، فهو رائد الحوار بين المسيحية والإسلام في الغرب ، إذ قال للمسلمين : "إنه لن يبدأ حرباً صليبية جديدة بالسلاح وإنما بالكلمات" . الأمر الذي يكشف عن حقيقة معنى الحوار في المسيحية منذ لحظاته الأولى .. ذلك الحوار الذي بدأه نفس ذلك القس المبجل مع "مسلمي أسبانيا وتمخَّض عن إبادتهم جميعاً وإلقاء الإسلام بعيداً عن أسبانيا" على حد وصف (جوليان رييس في صفحة 245) من كتابه المذكور.

وكان لا بد من البدء بهذه الإشارة الخاطفة لتوضيح كيف أن موقف الكنيسة من الحوار مع المسلمين يتصف منذ أولى لحظاته بعدم الأمانة.. غير أن عدم الأمانة هذه لم تتوقف عند حدٍ ما وإنما تزايدت إلى أن توحّشت، ووصلت بها المغالطة إلى درجة المطالبة رسميا بإقتلاع الإسلام. فذلك هو القرار الأساسى لمجمع الفاتيكان الثانى المعلن تحت ستار "تنصير العالم" ، ذلك المجمع الذى لا تخلو وثيقة من الوثائق الستة عشر التى أصدرها من الإشارة إلى ضرورة تنصير العالم.

♦ <u>توجيهات من أجل الحوار</u>

وتبدأ مجموعة وثائق الفاتيكان المتعلقة بالحوار فى العصر الحديث بما كتبه الكاردينال موريللا (Morella) تحت عنوان "**توجيهات من أجل حوار بين المسيحيين والمسلمين**". والكاردينال موريللا من الذين ساهموا فى أعمال مجمع الفاتيكان المسكونى الثانى (1962-1965) ، وقد تم إختياره يوم 19 مايو 1964 ليترأس أمانة سر لجنة الحوار مع غير المسيحيين ، التى تفرعت منها بعد ذلك اللجنة البابوية للحوار مع المسلمين. وفى 15 يونيو 1969 أصدر كتابا من 161 صفحة، يتضمن توجيهاته الصريحة للكنسيين العاملين فى مجال الحوار مع المسلمين. والكتاب مكوّن من ستة فصول ، عناوينها كالآتى : "موقف المسيحى فى الحوار ؛ معرفة القيم الإسلامية ؛ مختلف الذين نحاورهم من المسلمين ؛ كيف نستعد للحوار ؛ أبعاد الحوار الإسلامى-المسيحى ؛ عقيدة المسيحى المشترِك فى الحوار".

ونورد فيما يلى مقتطفات من هذه التوجيهات ، – علّها تعاون المسلمين ، على الأقل المشاركين منهم فى لجان ذلك الحوار المخادع ، رؤية الوجه الآخر للحوار الكنسى مع المسلمين ، وهى لعبة قائمة على التلاعب بالألفاظ والغدر من أجل التنصير :

* ضرورة التواجد الكامل مع الآخـر ، وهـذا التواجد يتطلب أن نعيش معهم نفسياً في عالمهم دون أن نكـف عن أن نكون مخلصين لأنفسنا ولعقيدتنا .

* ضرورة تغيير موقفنا الماضي القـائـم علي التحـقير و الإزدراء.

* لابــد من معرفة ثقـافة المسلم ووسَطَه الإجتماعي– الثقـافي ، وتاريـخه ، أفـراحه وأحزانه.

* علينا أن نعمل على تغـيير عقليتنا كمسيحين في تناول هـذه المهمة وإلا لأصبحت مستحيـلة .

* علينا أن نسمع من المسلم رأيه في الإسلام عــبر العصور حتي في الأوساط التي نــزع عنها الإسلام ، وأن نتعلم الإستماع إليه .. فـقد يعارضنا الإسلام على تطهيـر إيماننا وعقيدتنا وأن نكتسب وعياً أكـثر حيويه بــوجود الله في حياتنا .

* هناك موقـفان لابـد منهما أثناء الحوار: أن نكون صرحاء وأن نـؤكد مسيحيتـنا وفقاً لمطلب الكنيسة .

* أخطر ما يمكن أن يوقّـف الحوار : أن يكتشف من نُـحاوره نـيتنا في تنصيره ، فإذا ما قد تم إستبعاد هــذا الموقف بين الكاثوليكي وغير الكاثوليكي فإنه لم يُستبعد بعد بين المسيحي والمسلم ؛ وإذا ماتشكك من نــحاوره في هــذه النيه علينا بوقـف الحـوار فـوراً مؤقتاً ، وهــذا التوقف المؤقت لا يعـفينا من تأكيد مواقــفنا بوضوح .

* سيفـقد الحوار كل معناه إذا قــام المسيحي بإخفاء أو التقليل من قيمة معتقداته التي تختلف مع القــرآن .

* علينا معرفة لماذا الإسلام يرفض أو يــدين ســر الخلاص وفـقاً لما تعلنه الكنيسة.

* علينا أن نفهم تماماً أن الإسلام دين وأمة وثقافة وحضارة ، وأياً كان تنوع حصاد الإسلام علينا التعرف على خاصيته الحقيقية ، ذلك لأن "أمة النبي" مازالت تمثل مرجعاً روحياً يلتف حــوله الجميع ، ولكن لايجب أن نغفل أن في يومنا هــذا كثير من الشباب يــود كسر هذا القيد ولا يعني ذلك أنه يرفض الأمة أو الدين برمته ..

* إن الحضارة التقنية تُــهدد الإسلام اليوم أكثر من أي وقت مضى ، وعلينا أن ننـتقد في الإسلام ما يمـثل مساساً بالـحرية الشخصية .

* إن القرآن بالنسبة للمسيحي يتضمن الفكرة التي وضعها فيه مُحـمد على أنها من الله وأن عليه تبليغها ، وهذه الفكرة مـرتبطة بمفاهيم وحــقبه زمانية محـددة وخاصة ما يعكسه القــرآن من معرفه بالحقائق المسيحية .. ولدينا فِــهم الـقرآن للتوحيد وهو فِهم يمكن أن يتـقبل عــدّة تفسيرات جـديدة ، وعلى المسلمين أن يتوصلوا إليها عبــر الحـوار مع المسيحـين .

* لايجب على المسيحي أن ينــاقش مصداقية أو أصالة الحـديث النـبوي فـلن يستمع إليه أي أحـد .

* إن عــدم ممارسة المسلم لأركان الــدين الخمسه لا تعني أنه لا يتمسك بـدينه .

* أن القـرآن يؤكـد ، من جهـه، أن الله له مطـلق الحرية على الإنسان ، ومن جـهه أخـرى، يؤكـد أن للإنسان مطلـق الحـرية على أفعاله – وكل علـم الـدين الإسلامى يتـأرجح بين هـذين القـطبين ، ومن ذلك يجب ألا ننسى خضوعه لله .

* يجب تـفادي الـدخول في مناقشات حـول ما يـرد في القـرآن بشأن المسيح والمسيحيه، ولنترك المسلم يتساءل عنها كيفما شاء وعلينا أن نـتذكر أن قبولنا لسـر المسيح يُمثل سر إيماننا .

* على جميع المسيحين تفـادي الحـديث عن مُـحمد أثنـاء الحـوار بأي إستخفاف وعـدم كشف أنهم يحـقرون الإسلام أو ما يحيطون به مُـحمد من تبجـيل .

* علينا بعـدم التـوغـل في خـلافــات الـمذاهب الإسلامية وألا نـفاضل بينها فالكنيسة هي التـي تقـوم بذلك من خـلالنا وبواسطتنا .

* يـجب ألا نـنسى أن أكثـر مـن ثـلاثـة أربــاع العـالم الإسلامي يـقع خــارج نـطاق اللغة العـربية.

* أن العـالم الإسـلامي في كل البلدان يسير نحـو الحداثة ويبحث عـن نماذجه في الغرب الأوروبي أو الأمريكي ، وهـذا البحث عـن الثقافه الغربية وأنماطها خـير أرضية للحـوار ؛ وأول فئة يجب التركيز عليها هـم الطلبة الـذين يـدرسون بالخارج إذ عادة ما يكونوا قد بـدأوا يتحررون من إسلامهم ، فعلينا إحتضانهم ومعاونتهم على العثور على الإيمان بالله دون أي إنتقادات .

* كما يـوجد حالياً كثير من المسلمين الـذين يحـاولون تـهميش إسلامهم نظراً لتكوينهم وتشربهم الثقافه الغـربية ، وهؤلاء أكثر مما نتخـيل .

* إذا ما إلتقينا ببعض هؤلاء الـذين تشربوا مختلف أشكال المادية الغربية لايجب علينا أن ننتـقدهم على أنهم غير مبالون أو ملاحده .

* علينا إدراك أن الفكـر الإسلامي شـديد التوغـل في عقلية المسلم فهـو يبحث عن العصريه وليس عن رفـض الـدين كليه .

* من أهـم عقبات الحـوار ما قـمنا به في الماضي ضد الإسلام والمسلمين ، وهذه المرارات عادت للصحوة حالياً ، وقد أُضيفت الآن قضية إسـرائيل وموقف الغرب منها ، ونحن

كمسيحين نعرف ما هي مسئوليتنا حيال هذه القضية وعلينا أن نبحث دائماً عن توجه إنساني خاصة أن حل هذه المشكلة ليس في أيدينا .

* أن الموقف الحيادي هو دائماً أسلم المواقف إلي جانب الصراحه .

* لايكفي أن نقترب من المسلمين بل يجب أن نصل إلي درجة إحترام الإسلام على أنه يُمثل قيمه إنسانية عاليه وتقدماً في التطور الديني بالنسبه للوثنية .

* علينا بعدم تكرار أفكارنا المسبقه عن الإسلام أثناء الحوار ، ومنها أن الإسلام دين قدري (المكتوب) ؛ أو أن الإسلام دين الخوف ، أو أنه لا توجد قيم أخلاقية في القرآن أو أنه لا توجد قيم أخلاقية أسرية ، أو أن الإسلام دين مُتعصب قد إنتشر بالسلاح ، أو جمود الإسلام .

* على المسيحين الإستماع إلي ما يتم في الإسلام حالياً من تحديث بلا تعليق ومتابعة ما يتم في مجال التحديث للمجتمع المدني – وذلك ما يسعدنا .

* علينا مراعاة تصور المسلم عن المسيحية ورأب خلافاتنا العقائدية، التي كثيراً ما إستغلها المسلمون ، لذلك يجب تفادي المناقشات حول الخلافات بين المسيحيين والتمسك بالنقاط المشتركة والتوغل من خلالها .

* مراعاة سوء فهم المسلم للعقيدة المسيحية لأن العبارات الواردة في القرآن عن المسيحية تشوهها ، فهم ينفون التثليث وتجسد الله في المسيح ، وأي حوار في هذا المجال سيواجه بالفشل ما لم يغير المسلم من موقفه .

* في أي حوار يجب على المسيحي أن يقنع المسلم بأن المسيحية قائمة على التوحيد وألا يناقش أية تفاصيل فأي كلام سيقوله المسيحي تبريراً للعقيدة لن يمكنه أن يقنع به المسلم الذي لا يرى في الثالوث إلا المساس بالتوحيد ، ويستند في ذلك إلي سورة التوحيد .

* وقد أعطى الكاردينال كونج محاضرة في الأزهر في 31 مارس 1965 حول الطابع المطلق للتوحيد في المسيحية وإنه إله واحد ، وكم كانت دهشة الحاضرين كبيرة وسعادتهم أكبر وهم يسمعون أحد كبار كرادلة الكنيسة يؤكد ذلك ، ولا يجب فهم هذا الموقف على إنه إنكار للعقيدة المسيحية أو أن المسيحي عليه أن يتناسى عقيدته وأسرارها وخاصه أسرار الخلاص : إن ذلك ليس إلا تكتيكاً يخدم أغراضنا ، لأن الله واحد ، لكنه واحد في ثلاثة أقانيم ، وهكذا سيقوم المسلم بفهم الكنيسة وتقبلها .

* ضرورة القيام بفصل المسيحية في حـد ذاتها عن العالم الغربي ومواقفه المُعادية ومواقفه الإستعمارية ، فالمسلم لم ينس ذلك بعد .

* على من يقوم بالحوار من المسيحيين فصل ما هو دنيوي عما هو ديني في المواقف السابقة للكنيسة والغرب من الإسلام والمسلمين والبحث عن نقاط مشتركة .

* أفضل وسيلة لشرح طبيعة الكنيسة هـو وضعها في إطـار عـالميتها ومطالبتها بـوحـدة الناس جميعاً لخـدمة الله وهكـذا فإننا نقترب من مفهوم مجمع الفاتيكان الثاني .

* مازال المسلم يشك للآن في نـوايا المسيحي ، وهــى أصعب نقطة في الحوار لذلك لا يجب على المسيحي أن يُعرب عن عـدم إكتراثه بذلك فحسب ، وإنما عليه أن يستمع إلي نقاط الإعتراض ، مع تمسكه في قـرارة نفسه بكل عقائده الكنسية .

* أن الناس جميعاً مـا زالت تبحث عن إجـابات لأسئلة من قبـيل من نحن ؟ وما المصير؟ وما جـدوى الإنسان ؟ إلـــخ .. ويجب إدارة الـحـوار بحيث تـقـدم خـلاله إجابات لهـذه التساؤلات .

* يجب الإعتماد على الغرس الثقافي ، ولا يجب إغفال الدور الذي يقوم به الغرب في العالم الثالث من تغيير حضـاري .

* لقد سبق لمثل هـذا الحوار بين العـرب المسيحين والمسلمين أن بدأ في الماضي ، في دمشق (القرن الثامن) وقـرطبه (القرن الثانى عشر) وأقـرب من ذلك في الشرق الأوسط (في القرن التاسع عشر) وهـو مازال يتواصل ، ونأمل أن يـزداد في كل مكان تتواجد فيه المسيحيه و الإسلام ، ولن نكُف أبـداً عن تأكيد أهمية الحـوار الثقافي .

* لابد من إشتراك الجميع في هذا الحوار وليس العاملين في الكنيسة وحدهم .

* الإعتماد على تقـارب وجهات النظـر والنقاط المشتركة مع العمـل على طمس خـلافات الماضـي .

* يجب تـوضيح أن من ضمن رسالة يسوع المسيح فـادي البشر ، رسالة نبويه (كما يقول المسلمون) كمرشد للإنسانيه جمعاء لتحقيق ملكوت الـرب ، وأنه "النبي" المنتظر الذي سيأتي ليحـكم العـالـم .

* المسلمون يبجلون مـريـم العـذراء أم يسـوع ، وعلينا أن نقبـل ذلك ، وإن كنا لا نتوقف عند هـذا الحـد في أم الله.

* أهمية الصلاة كمدخل للآب والمسيح و الروح القُدس ، ويجب مراعاة الإمتناع عن الصلاة مع المسلمين بصلاتهم هـم .. وإن كان من الممكن التواجد في صلوات تلقائية كتحقيق الهـدف الواحـد الذي هـو أن نصبح جميعاً مؤمنين (أى مسيحيين).

كان لا بد من الإسهاب بعض الشئ فى الأمثلة المأخوذة من كتاب الكاردينال موريللا ، لأنـه أول كتاب يتضمن مثل هذه التوجيهات الصريحة فى التحايل على المسلمين لتنصيرهم. ولا يعنى ذلك أنـه الكتاب الوحيد ، فقد رأينا فيما تقدم من فصول أنـه أثناء انعقاد المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى، وفى عام 1964 تحديدا ، قام بتكوين منظمتين أساسيتين هما : " المجلس البابوي للحوار مع الديانات " و " اللجنة العليا لتنصير الشعوب " . وهاتان المنظمتان على اتصال دائم بالعاملين في بعثات التبشير والحوار الديني بالعالم أجمع ؛ إذ أنهما من أهم الإدارات الفرعية والمنظمات التي تضمها الإدارة البابوية .

♦ بشأن المصالحة والتوبة

ولا يسع المجال هنا لنورد كل المراجع الكنسية التي تتضمن شرحاً لمعنى : "الحوار" من وجهة النظر الفاتيكانية أو توجيهات لكيفية تنفيذه ، لكنَّا نشير إلى أهم هذه الوثائق. ففي شهر ديسمبر عام 1984 أصدر البابا يوحنا بولس الثاني نصا إرشادياً بعنوان : **" بشأن المصالحة والتوبة في رسالة كنيسة اليوم "** ، وهو خطاب رسولى يقع في 128 صفحة ، مكوّن من ثلاثة أجزاء، نطالع فى الفصل الأول من الجزء الثالث منه موضوعاً عن "الحوار" ، هو البند رقم 25 ، ويقع في ست صفحات ، ومما جاء فيه :

* إن الحوار بالنسبة للكنيسة هو عبارة عن أداة ، وبالتحديد عبارة عن طريقة للقيام بعملها في عالم اليوم .
* إن المجمع الفاتيكاني الثاني قد أوضح أن الكنيسة هي علامة لتلك الأخوة التي تجعل الحوار الصريح ممكناً وتزيده قوة ، وذلك بمقتضى الرسالة التي تتميز بها ، وهي : إنارة الكون كله ببشارة الإنجيل ، وتوحيد البشر بروح واحدة .
* إن على الكنيسة أن تكون مستعدة دائماً لإقامة "حوار" مثمر بين كل الذين يؤلفون شعب الله الواحد ، وأن تتمكن من إقامة حوار مع المجتمع البشري .

* لقد خصَّ سلفنا بولس السادس "الحوار" بقسم مهم من رسالته العامة مبدوءة بعبارة : "كنيسة يسوع المسيح" حيث وصف "الحوار" وحدده تحديداً له دلالته ؛ إذ قال عنه : " إنه حوار الخلاص" .

* أن الكنيسة تستعمل طريقة الحوار لكي تحْسِنَ حمل الناس على الارتداد والتوبة سواء أكانوا أعضاء في الجماعة المسيحية بالتعميد والاعتراف بالإيمان ، أم هم غرباء عنها ، وذلك عن طريق تجديد ضميرهم وحياتهم تجديداً عميقاً في ضوء سر الفداء والإخلاص اللذان حققهما المسيح ووكلهما لخدمة الكنيسة .

* أن الحوار الصحيح يرمي – إذن وأولاً – إلى تجديد كل فرد بالارتداد الباطني والتوبة ، مع احترام كل الضمائر ، اعتماداً على الصبر والتأني والتقدم خطوة خطوة وفقاً لما تقتضيه أحوال الناس في عصرنا .

* تقوم الكنيسة بتشجيع الحوار المسكوني بصفة خاصة ؛ أي الحوار بين الكنائس والجماعات الكنسية التي تعترف بالمسيح ابن الله والمُخَّلِص الوحيد ، وكذلك الحوار مع سائر جماعات الناس الذين يبحثون عن الله ويتوقون إلى إقامة علاقة اتحاد معه .

* إن الكنيسة الكاثوليكية بجميع فئاتها تسير بصدقٍ في طريق الحوار المسكوني (أى العالمى)، بعيداً عن التفاؤل السهل ، ولكن بحذر وبلا تردد أو تباطؤ .

* إن حوار المصالحة الذي تلتزم به الكنيسة على الأخص من خلال نشاط الكرسي الرسولي وأجهزته المختلفة هو حوار معقد دقيق ، ويمكن القول : " إن الكرسي الرسولي يسعى إلى التدخل لدى حكام الشعوب والمسئولين عن مختلف المحافل الدولية ، أو الانضمام إليهم بإجراء الحوار ، أو حضهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة .

* والعلمانيون ، الذين يتخذون التبشير بالإنجيل ميداناً لنشاطهم الخاص في عالم السياسة والاجتماع والاقتصاد الواسع المقصد وفي الحياة الدولية ، مدعوون للاتحاد برعاتهم والالتزام بالحوار مباشرة لمصلحة الحوار من أجل المصالحة، فالكنيسة هي التي تقوم بعملها من خلالهم وبواسطتهم .

♦ رســــــالة الفـــــادي

نتناول هذا الخطاب الرسولى بشئ من التفصيل ، لأن الخطب الرسولية التى يصدرها البابوات ملزمة للجميع وليست مجرد كتاب ، حتى وإن كان كتاباً توجيهياً مثل كتاب الكاردينال موريللا. ويُعد الخطاب الرسـولي المعنون "**رســالة الفــادي**" من أهم الخطب التي أصدرها البابا يوحنا بولس الثاني ، إذ أنه يلقي مزيداً من الضوء على ما يدور من أحداث في مجال تنصـير العالم .. وتكمن أهمية هذا الخطاب الصادر عام 1990 في نقطتين أساسيتين : فهو من ناحية يُعرب عن موقف البابا من الديانات غير المسيحية ، وخاصة من الإسلام ؛ ومن ناحية أخرى يتضمن ما أخفاه البابا من تحريف جـديد لمعنى ما يطلقون عليه "فـداء المسـيح" وربطه بين ذلك " الفـداء" وبين كل فرد في العالم وبلا إستثناء (البند 14) !.

والخطاب الرسولي عبارة عن رسالة دورية يقوم بابا الفاتيكان بتوجيهها إلي مجمل الكنائس ، وفقاً لضرورة الموقف ، بموجب رعايته العليا للتعليم والتوجيه الديني . وأكثر ما يميز هذه الرسائل البــابــاوية هي أنها تحمل عــلامة عصرها أكثر من أي نص أخر ، كما تشير إلي الظروف التي أدت إلي كتابتها أو الضرورة التي إقتضتها وتتناول الرد عليها ، ويتفاوت طول الخطاب الرسولي هذا من عشرات الصفحات إلي ما يتعدى المائتي صفحة ، وهو مـُلزم لكل البنيان الكنسي ولكل الخاضعين للعقيدة المسيحية من ملوك ورؤسـاء وأتباع .. (المقصود بعبارة المجمع طوال ا هذا الجزء هو "المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني").

وتقع "**رســالة الفـــادي**" التي نحن بصددها ، في مائة وأربع و أربعين صفحة ، وتتكون من ثمانية فصول ، تشتمل على واحد وتسعين بنداً . وإن لم يكن موقف المؤسسة الكنسية من الإسـلام بجــديد ، فإن مغـزى الإضافة الجـديدة التي أجراها البابا على ما يطلقون عليه "فـداء المسـيح"، أي تضحيته بنفسه من أجل التكفير عن المسيحيين من ذنب "الخطيئة الأولـى" ، يُمثل تحديا لا سابقة له فيما يتعلق بموقف الفاتيكان من المسلمين : إذ أفصح البابا عن أحد قرارات مجمع الفاتيكان الثانى ، الذى كان يتم تداوله سرا و تعتيما ، وأعلن رسميا فرض المساهمة في عملية التنصير على كافة المسيحين ، فقد كانوا يتناقلونها صمتا فيما بينهم ، أما بهذا الخطاب الرسولى فقد اصبحت معلومة جهاراً ، و لـم تعـد قـاصرة على رجال الاكليروس وفـرق المبشـرين وإنما على كافة المسيحيين أياً كانت عقيدتهم ...

وقـد قــال أحـد المعلقين البروتستانت وهو أمريكي الجنسية ، يُدعى جيرلي أندرسون ،"أن هذا الخطاب يمثل نقطة تحول جديدة ، بل إنه يعد أكثر نقطة إنطلاق محملة بالأمال لمستقبل

اللاهوت الكاثوليكي وللإرساليات التبشيرية" ، وهذه الأمال تعتمد على إستخدام كافة المسيحين في عملية التنصير . إذ نُطالع في البند 2 : "إن الرسالة تعني المسيحيين جميعاً والابرشيات والرعايا والمؤسسات والمجمعات الكنسية كلها". ولا يقتصر فرض البابا على هذا النحو ، وإنما نطالع في نفس بقية البند ، من الخطاب : "إلزام كل الكنائس الخاصة ، وحتى الكنائس المحلية على إستقبال المرسلين وإرسالهم لطمأنة غير المسيحين وبخاصة السلطات المدنية في البلدان التي يتوجه إليها النشاط الرسولي ، إذ إن غايته واحدة ، هي خدمة الإنسان بإظهار محبة الله التي في يسوع المسيح". وبعد هذا القناع نطالع في (البند 3) : -

"إن عدد الذين يجهلون المسيح ولا ينتمون إلي الكنيسة يزداد يوماً بعد يوم ؛ حتى أنه تضاعف منذ إختتام المجمع .. إن الله يفتح أمام الكنيسة أفاقاً بشرية أكثر إستعداداً لتقبل بذر الإنجيل وأستطيع القول أن الوقت قد حان لأن تلتزم كل القوى الكنسية في التبشير الجديد بالإنجيل .. فما من أحد يؤمن بالمسيح وما من مؤسسة في الكنيسة يمكنه أن يتنصل من هذا الواجب المقدس وهو واجب تبشير كل الأمم بالمسيح".

وهــذا التبشير الذي فــرضه الــبابا على جميع الأتباع ، بناء على قرار المجمع ، قــائم على فكرة أن المسيح هــو المخلّص الـوحيد للبشر والوسيط الوحيد بينهم وبين الله ؛ (بند 6) .. "وأن شـمولية الخــلاص لا تعني أنه لا يُمنح إلا للــذين يؤمـنون بالمسـيح إيـماناً صريحاً والذين قد دخــلوا الكنيسة ؛ وإنما الخلاص مقــدّر للجميع وعـليه أن يقـدم للجميع فعــلاً" (البند 10).. " ولا تستطيع الكنيسة أن تعفي نفسها من الإعلان عن أن يســوع قـد جـاء ليـظهر وجــه الله ويحصل بالصليب والـقيامة على الخــلاص للبشر أجمـعين " (البند 11)..

ثم يتحدث الــبابـا في الفصل الـثاني عـن دور الكنيسة وأهميــته ، موضحاً أن "الربـــاط الخاص القائم بين الكنيسة وملكوت الله و المسيح الذي هي مرسلة للتبـشير به وتأسيسه بين الشعوب جميعاً " (البند 18) هو دور لا رجــعة فيه ..

ويختتم الفصل الثالث قائلاً :"على الكنيسة أن تواجه اليوم تحديات أخرى في مسيرتها نحو حدود جديدة بالنسبة للإرساليات الأولى إلي الأمم أو بالنسبة للتبشير بالإنجيل. إن شعوباً بأسرها قد قبلت بشرى المسيح، والمطلوب اليوم من جميع المسيحين ومن الكنائس الخاصة ومن الكنيسة الأم نفس الشجاعة التي كانت تنعش رسل الماضي ونفس روح الإستعداد للإصغاء إلي الـــروح القــدس " (البند 30).

ويبدأ الفصل الرابع المعنون : " **أفاق الرسالة إلي الأمم غير محدودة** " ويقول البند 31 : ".... إن نشاط الكنيسة الأساسي هو التبشير. إنه نشاط جوهري لا يكلّ ولا يهدأ أبداً ، والكنيسة

لا يمكن أن تتغاضى عن رسالتها الدائمة التي هي حمل الإنجيل إلي جميع الذين لا يعرفون بعد المسيح فـــادي الإنسان ... وهم ملايين كثيرة من الرجال و النساء .. تلك هي مهمة الإرسالية الأكثر أهمية والتي وكـّـلها يسوع لكنيسته ولا يزال يوكـّـلها إليها كل يوم "...

أما عن النشاط الخاص بالإرســاليات فيقـول البابا : " إن النشاط الإرســالي المميز أو الرسالة إلي الأمــم يتوجه إلي الشعوب والجماعـات البشرية التي لم تـؤمن بعد بالمسيح ، حيث لم تمتد إليهم بعد جــذور الكنيسة ، وإلي الــذين لم تنطبع ثـقافتهم بعد بالإنجـيل ، ويتميز هذا النشاط عن النشاطات الأخرى للكنيسة في أنه يتوجه إلي تجمعات وأوساط غير مسيحية لأن البشارة بالإنجـيل وحضور الكنيسة ليسا متوفرين فيها أو هما غير كافين ... إن خاصّية هــذه الرسالة إلي الأمــم تكمن في أنها تتوجه إلي غير المسيحين " (البند 34) ...

أما البند التالي، أي (رقم 35)، فهو يؤكد أن هذه الرسالة موجهه إلي كل الشعوب رغم "الصعوبات التي تظهر وكأنها لا يمكن تخطيها ، بل لقد كانت تدفع إلي اليأس لو أن الأمر كان متعلقاً بالعمل البشري وحده. إذ أن بعض البلدان تمنع المرسلين من الدخول إليها ، والبعض الأخر لا يحـرّم التبشير فقط ، بل يحـرّم الإهتداءات (أي الإرتداد عن الإسلام) وأعمال العبادة المسيحية ، وفي أماكن أخرى تكون الحواجز على صعيد ثقافي حيث يظهر نقل الرسالة عـديم الفائدة أو غير مفهوم و يعتبر إهتداء المرء تخلياً عن عشيرته وثقافته " !!.

ويواصل البـــابـا في الــبند 37 موضحاً : "يجب ألا ننخــدع بتكاثـر الكنائس المحلية الفتية في الآونـــه الأخيرة فــفي الحـقــول الشاسعة الموكـّـلة إلي تلك الكنائس ولا سيما في أسيا وأفــريقيا و أمريكا اللاتينية وأوقيانيا هناك مناطق واسعة لـم تبـّشر بعد : شعوب بكاملها ومساحات ثـقــافية كبيرة الأهــمية، في عــدد كبير من الأمــم لم تبلغها بعد بشارة الإنجيل. إن تلك الــبلدان لا تحتاج إلي تبشير جــديد فحسب وإنما إلي تبــشير أولــّي" .

وينتهي الفصل الرابــع بالبند 40 الذي نطالع فيه : " إن النشاط الرســولي يمثل اليوم أيضاً أكبر التحديات أمـام الكنيسة ؛ وعلى الرغم من أننا نقترب من نهاية الألفية الثانية للــفداء ، إلا أنه مازال يظهر بوضوح أكبر أن الأمم التي لم تتلق بشارة السيد المسيح الأولى بعد تمثل القسم الأكبر من البشرية.... إن الرسالة إلي الأمم ليست إلا في بدايتها . إذ أن شعوباً جديدة تدخل على المسرح العالمي ومن حقها هي أيضاً أن تتلقى بشــارة الخـلاص، إن النمو الديمــوغـرافي في الجنوب والشرق وفي البلدان غير المسيحية يرفع بإستمرار عـدد الأشخاص الذين يجهلون الفــداء الذي حققه المسيح، لذلك يجب توجيه الإنتباه الرســولي نحو المساحات الجغرافية والأوساط الثقـافية التي لا تزال بعيدة عن تــأثير المسيح " .

ويـدور الفصل الخـامس حـول " **طــرق الرسـالة** " وكيف أن البشرى الأولى يجب أن تكون بالمسيح مُخلـّص البشـرية، عن طـريق التـوبـة والتعمـيد ، وأن الكنيسة عليها أن " تـدعـو العـالم كله إلي هـذه الـتوبة" (بند 46). ثم يتطرق إلي ضرورة تـأسيس الكنائس المحلية وكيف أن "هدف الرسـالة إلي الأمـم هـو تأسيس جماعات مسيحية والبـلوغ بالكـنائس إلي إكتـمال نضجها، هذا هو الهـدف الأول والخاص للنـشاط الرسـولي، ولا يمكن القـول بـأنـنا قـد حقـقناه مـادمنا لـم ننجح فـي تـشييد كنيسة محـلية جـديدة تحيا حـياة عـاديـة في إطـارها الطـبيعي " (البـند 48).

ثم يوضح في البند 49 كيف أنه "من الضروري قبل كل شيئ السعي لإنشاء جماعات مسيحية في كل مكان ؛ فتكون علامة حضور الله في العالم ، وتنمو حتى تصبح كنائس ، فعلى الرغم من إرتفاع عدد الأبرشيات، توجد أيضاً مناطق شاسعة تغيب عنها الكنائس المحلية كلية أو هي غير كافية لإتساع الأراضي و الكثافة السكانية فيبقى علينا عمل هام لزرع الكنيسة وتطويرها ، وهذه المرحلة من التاريخ الكنسي التي نطلق عليها زرع الكنائس لم تـنتـه بعـد ، بل لا يزال من الواجب إنشاؤها في كثير من التجمعات البشرية ، وتقع مسئولية هذه المهمة على عاتق الكنيسة الأم وعلى الكنائس المحلية وعلى كل أفراد شعب الله وعلى القوى الإرسالية كافة "!.

ومـن أهـم النقـاط التي تـناولـها الـبابـا في هـذا الفصل الخـامس توضيح كيفية "تجسيد الإنجيل في ثـقافات الشعوب ، قائـلاً في البند 52 : "إن الكنيسة بممارستها نشاطها الرسـولي بين الشعوب تـدخل في إتصال مباشر مع مختلف الثـقافات وتجد نفسها داخلة في عملية الإندماج الـثقافـي ... إن مسار إدخال الكنيسة في ثقـافات الشعوب يتطلب الكثير من الوقت : فليس المطلوب مجـرد ملائمة خارجية ، إذ أن الإنـدماج الثقافي يعني تحويلاً من الداخل لـلقيم الثقافية الحقيقية بـدمجها في المسيحية وغرس المسيحية في مختلف الثـقافات البشـرية ... وبالإنــدماج الثـقافي تـقوم الكنيسة بتجسيد الإنجـيل في مختلف الثـقافـات وفي نـفس الـوقت تـقوم بإدخـال الشعـوب بثـقافـاتها في جماعـاتها الخـاصة " .

وبعد ذلك ينتقل البابا إلي أهـم ما يعنينا في هـذا الخطاب ، وهو ما وضعه عنـواناً لذلك الجـزء المسـمى : " **الحـوار مـع الأخـوة في ديـانـات أخـرى** " .. ويبدأ البـند 55 بتـوضيح " إن الحـوار بين الديــانات يشكـّل جزءاً من رسـالة الكنيسة التبشيرية . فهو بإعـتباره طـريقة للمعرفة والإثـراء المتبادل ، لا يتعارض مع الرسالة إلي الأمـم ، بل بالعكس أنه مـرتبط بها بصفة خاصة ويـعد تعبير عنها ، لأن هـذه الرسالة موجهة إلي إنــاس لا يعرفـون المسيح ولا إنجيله ، وهـم في أكثريتهم الساحـقة ينتمون إلي ديانات أخرى ... مع أن هذه الديانات تحتوي على ثغرات وشوائب وأخطاء ؛ ولقد نـّوه المجمع وتعاليم السلطة اللاحقة له باسهاب عن ذلك

كله مؤكداً بثبات على أن الخلاص يأتــي من المسيح و أن الحــوار لا يعفـي من التبشير بالإنجيل ، وفي ضـوء المخطط للخلاص فإن الكنيسة تــرى أنه لاتناقض بين البشارة بالمسيح والحــوار بين الديـانات ". وهو ما يؤكد إرتباط الحوار الدائر بين الفاتيكان والإسلام بالتنصير .

ثم يوضح البابا في نفس البند كيف أنه كتب مؤخراً إلي آساقفة آسيا قائلاً : "مع أن الكنيسة تعترف عن طيب خـاطر بكل ما هـو حـق ومقـدس في التقاليد الدينية عند الـبوذية والهـندوسية والإسـلام على أنه إنعكاس للحقيقة التي تـُثير البشر جميعاً ، إلا أن ذلك لا يخفف من واجبها وعـزمها على الإعـلان بـدون تـردد أن يسـوع المسيح هـو الطريق و الحق والحياة ... وقد أكد لنا في الـوقت نفسه ضرورة الكنيسة التي يـدخلها الناس بالتعميد الذي هو الباب ، فعلى الحـوار أن يوجه وينمّى عن طريق الإقتناع، فكرة أن الكنيسة هى الطـريق العـادي للخــلاص وأنها وحـدهـا تمـلك كـافـة وسـائـل الخــلاص " .

ونطالع في البند 56 أن " الحوار ليس نتيجة إستراتيجية أو منفعة بل إنه نشاط له دوافعه ومتطلباته وكرامته الخاصة ... إذ تــريد الكنيسة من خـلال الحـوار أن تكتشف بـذور الكلمة وأشعة الحقيقة التي تـُنير الناس جميعاً .. إن الديانات الأخرى تطرح تحدياً إيجابياً في مواجهة كنيسة اليوم إذ تدفعها إلي إكتشاف أيات تواجد المسيح وعمل الروح القدس والإعتراف بها ... كما يرمي الحوار إلي التطهير و الإهتداء الذاتيين اللذان إذا ما تمّا في خضوع أتت ثمارها الروحية " .

وينهي البــابا هذه النقطة الخاصة بالحــوار قائلاً : "أن المؤمنين جميعاً وكافة الجماعات المسيحية مـدعـوون لممارسة الحـوار حتى وإن لم يكن بنفس المستوى أو بأشكال متباينة ، وأن إسهام العلمانيين في هـذا الحــوار لأمر ضروري إذ أنهم يستطيعون من خلال حياتهم وعملهم أن يقوموا بتحسين العلاقات بين أتباع الديانات المختلفة ، فضلاً عن أن البعض منهم بوسعه الإسهام بالأبحاث و الدراسات " ... ثم يختتم هـذه الفقرة قائلاً للعلمانيين الذين فـرض عليهم المشاركة في عملية التنصير قــائلاً : " أرغـب في أن أشجعهم ليثابروا بإيمان ومحبه ، حتى عندما لا تلــقى جهودهم الإهتمام ولا التجاوب فالحوار هو الطريق إلي الملكوت وهو بالتأكيد سيعطي ثماره حتى وإن كانت الأزمنة والأوقات في علم الغيب " .

ويقــول الــبابـا في الجـزء المعنون "**جمـيع العــلمانيين مـرسـلـون للتـبشير بحكم تعميدهـم**" ، ما يلى :

"إن الرســالة التي يتم تحقيقها بأشكال متنوعة هي واجب المؤمنين جميعاً ... إن إشـتراك العلمانيين في نــشر الإيمان يظهر بـوضوح منذ الأزمنة الأولى للمسيحية بفضل عمل الأفـراد

والعـائلات وبفضل عمل الجماعة كلها ... لقد ثبّت المجمع الفاتيكاني الثاني هـذا التقليد مسلطاً الأضواء على الطـابع الإرســالي كله وبخاصة عـلى رســالة العلمانـيين مـشيراً إلـي الإسهـام المـميّز الـذي يتعيـّن عليهم تـوفيـره للنشاط الإرســالي ؛

"إن ضرورة إشـتراك المؤمنين جميعاً في هـذه المسئولية واجب قائم على ما حصلوا عليه من التعميد الذي يعطي مشاركة العلمانـيين في وظيفة يسوع التثليثية التي هي الكهنوتية و النبوية والملكـوتية ، من أجـل ذلك عليهم أفـراداً وجماعات أن يعمـلوا لكي يعرف الناس جميعاً وتــتقبل الأرض كلها رسالة الخــلاص الإلهية ، وتكون هذه الفريضة أشـد إلحاحاً عندما لا يستطيع البشر سماع الإنجيل ومعرفة المسيح إلا بواسطته" (البند 71).

وينتهي الفصل السابع بالنص على أن " الناس الذين ينتظرون المسيح لا يــزالون في أعداد لا تحصى : فالأوساط البشرية والثقافية التي لم تصل بعد بشارة الإنجيل إليها أو تلك التي يـندر فيها حضور الكنيسة شــديدة الإتساع بحيث أنها تستـلزم توحيد كل القــوى ، إن الكنيسة في تأهبها للإحتــفال بـيوبيل سنة ألــفين هي اليوم أكثر إلتــزاماً بميلاد تبشيري جـديد ، وعلينا أن نغـذي فينا الشوق الإرسالي لننقل للأخرين نــور الإيــمان وفــرحه ، وعلينا أن ننشئ عـلى هـذا المنوال شعب الله بآسـره ؛

" ولا يمكن أن يرتاح بالـنا ونحن نفكر في الملايين من أخوتنا وأخواتنا الذين هم أيضاً قد إفتداهم المسيح بدمه وهم يعيشون جاهلين حب الله ؛

"إن قضية الرسالة بالنسبة لكل فـرد مسيحي كما بالنسبة للكنيسة جمعاء يجب أن تحتل المكان الأول لأنها تتعلق بمصير البشر الأبدي وتتجاوب مع مقصد الله الخفي الرحيم " (البند 86) .

ولا يسعنا فى نهاية هذا العرض الموجز ، لواحدة من أكثر الرسائل الرسولية إستفذازا للمسلمين، إلا أن نقول للبابا يوحنا بولس الثانى ولكل مبشريه ولكل من سوف يتبعونه من بابوات : أن المسلمين لا يعانون من عقدة الفداء التى إبتدعتها المؤسسة الكنسية ، وأن آدم وحواء قد حصلا على جزائهما بالطرد من الجنة .. فالخطيئة لدينا لا تورّث ، لا بالأقدمية ولا بأية قرارات مجمعية ، خاصة وأننا كمسلمين موحدين بالله نحن لا نعبد من تدعونه "ربنا يسوع المسيح"، النبى الإنسان الذى تم تأليهه فى مجمع نيقية عام 325 ، وإنما نعبد الله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، والذى ليس كمثله شىء.

♦ حوار و بشارة

ومن أهم الوثائق التي صدرت بعد المجمع، فيما يتعلق بالحوار مع الديانات الأخرى، نصَّان أساسيان ؛ أولهما هو: الخطاب الرسولي للبابا يوحنا بولس الثاني والمعنون: **"رسالة الفادي"** الصادر في 7 ديسمبر عام 1990 ، وقد تم إعلانه يوم 23 يناير 1991 ، وثانيهما وثيقة بعنوان **"حوار وبشارة"** ، والمؤرخة في 19 مايو عام 1991 ، وتم الإعلان عنها في يوم 20 يونيو ، وهي من إعداد لجنة الحوار والمجلس الأعلى لتبشير الشعوب ، وتأتي على مسافة خمسة أشهر من خطاب البابا السالف الذكر .

والعلاقة الموضوعية بين الوثيقتين تكمن في أن الخطاب الرسولي للبابا يؤكد ويفرض أن عملية فداء المسيح قد تمت من أجل خلاص جميع البشر . الأمر الذي معناه إخضاع جميع البشر لعملية التنصير المُلحة التي تم اتخاذ قرارها في المجمع الفاتيكاني الثاني (كما رأينا فى الفصول السابقة) ، والتي طالب بها نفس هذا البابا علناً عام 1982 فى مدينة شانت يقب فى إسبانيا. أما الوثيقة الثانية فتعني – اختصاراً – كيفية تنفيذ عملية التنصير هذه ، وكيفية القيام بها من خلال الحوار .

تتكون وثيقة **"حوار وبشارة"** من تسعة وثمانين بنداً ، وهي مُقسَّمة إلى 13 فصلا . وثلاثة أجزاء بها 73 بنداً ، وخاتمة بها 3 بنود. الجزء الأول فيها بعنوان : "الحوار بين الأديان" (14– 54) والثاني بعنوان : "التبشير بيسوع المسيح (55– 76) ، والثالث بعنوان : "الحوار بين الأديان والتبشير" (77– 86) .

وقد صدرت هذه الوثيقة في ذكرى مرور خمسة وعشرين عاماً على صدور وثيقة مجمع الفاتيكان الثاني والمعنونة : **"فى زماننا هذا"** حول علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية والتى تناولناها فى الفصل الثالث. وهي توضح أهمية الحوار بين الديانات في هذه العلاقة القائمة على ازدواجية رهيبة بين القول والتنفيذ ، فالحوار والتبشير يمثلان وجهي عملة واحدة هي رسالة الكنيسة التبشيرية ، وهي وثيقة مقدمة من اللجنتين المسئولتين عن إعدادها كبرنامج ومنهج عمل للكنيسة العالمية ، بما في ذلك الكنائس المحلية. وقد قام بالتوقيع عليها الكاردينال أرنزي المسئول عن الحوار مع المسلمين. ومما ورد بهذه الوثيقة :

* إن سرعة وسائل الاتصال وتحرك الشعوب وتداخلها قد أوجد نوعاً من الوعي الجديد بالتعددية الدينية ، فالديانان الأخرى لم تعد تكتفي بالتواجد ببساطة ، أو ببقائها صامدة ، بل – في

بعض الأحيان – تعرب عن صحوة جديدة ، فهي مازالت تلهم وتؤثر على حياة الملايين من أتباعها ، ففي الإطار الحالي للتعددية الدينية لم يعد من الممكن تناسي الدور المهم الذي تؤديه التقاليد الدينية .

* إن هذه الوثيقة مقدمة لأتباع الكاثوليكية ولبقية أتباع الكنائس الأخرى لتوحيد الجهود ، لذلك تنتهي المقدمة بتوضيح دلالة بعض العبارات الأساسية التي ترد طوال النص ، ومنها :

التبشير : هى عبارة لها أكثر من معنى ، ومنها توصيل النبأ السعيد إلى الإنسانية جمعاء ، وتغيير أعماق الإنسان بواسطتها ، وقيام الكنيسة بفرض الارتداد بواسطة الطاقة الإلهية للرسالة التي تبلغها للأفراد والجماعات ، والتبشير صراحة وبوضوح وبلا مُواربة بيسوع المسيح .

الحوار : تتسم هذه العبارة بأكثر من معنى أيضاً

* **أولاً :** تعنى الاتصال المتبادل بغية تحقيق هدفٍ معين .

* **ثانياً :** تعنى اتخاذ موقف من الاحترام والصداقة الذي يجب أن يتسم به كافة أنشطة إرسالية التبشير ؛ أي ما يسمى بروح الحوار .

* **ثالثاً :** تعنى مجمل العلاقات الإيجابية والبنّاءة بين الأديان مع جماعات العقائد المختلفة بغية المزيد من التعارف والإثراء مع الطاعة الكاملة للحقيقة واحترام حرية كل فرد .

البشارة : تعني كلمة البشارة توصيل الرسالة التبشيرية وسر الخلاص الذي حققه الله للجميع في يسوع بقوة الروح القدس ، ويمكن القيام بذلك على الملأ ، ويمكن القيام بذلك سراً في صيغة حوارات خاصة.

الارتداد : يتضمن معنى كلمة الإرتداد إن الارتداد يتم دائماً بأن يتوجه الإنسان بالكامل إلى الله ومن ناحية ثانية تعني تغيير الإنتماء الديني ، وخاصة الدخول في المسيحية .

أديان وتقاليد دينية : وتشتمل هذه العبارة على الديانات التي يروق لها الانتساب إلى عقيدة إبراهيم (ويقصد بها المسلمين، كما وصفتهم وثيقة "**فى زماننا هذا**") ، كما تشتمل على معنى التقاليد الدينية الكبرى لآسيا وأفريقيا وبقية العالم .

وبخلاف هذه الإيضاحات الواردة في البداية فإننا نطالع في بقية الوثيقة على سبيل المثال:

* إن الحوار مع الديانات الأخرى ليس نزوة من نزوات الكنيسة الحالية ، وإنما هي رسالة مُبلَّغة من الأب ليتم تطبيقها على كافة الأمم .

* إن الله قد خلق كل الرجال والنساء على صورته ، وبذلك فإن مصير الجميع واحد، فلا يوجد سوى خطة خلاص واحدة متمركزة في يسوع المسيح الذي قد توحَّد بتجسده بكل إنسان بلا استثناء ، وأياً كانت عقيدته الدينية .

* الديانات الأخرى رغم ما بها من قيم إيجابية ، هي انعكاس لمحدودية الفكر الإنساني الذي يميل إلى اختيار الشر ، والتعامل مع الديانات الأخرى لا يعني أن يغمض المسيحي عينيه على ما بها من تناقضات تفصل بينها وبين المسيحية ، وذلك يعني أن الدخول في حوار بفكرٍ مفتوح مع أعضاء الديانات الأخرى يجب على المسيحيين إقناعهم بصورة سليمة بالتأمل في فحوى ومتناقضات عقائدهم .

* يتعين على المسيحيين أن يساعدوا مؤمني العقائد الأخرى على التطهر من تراثهم الديني لتقبّل عملية الارتداد .

* إن أعضاء الديانات الأخرى مأمورون بالدخول في الكنيسة من أجل الخلاص ، لذلك فهو حوا ر من أجل الخلاص .

* الحوار يتم من أجل الخلاص ، يعني ارتداد الجميع إلى الرب ، وذلك هو ما يعطي قيمة ذاتية للحوا ر ، وأثناء عملية الارتداد هذه يتم القرار بالتخلي عن العقيدة الدينية السابقة والدخول في عقيدة جديدة .

* من أهم مجالات الحوا ر بين الأديان هو مجال الثقافة ، لأن مفهومها أ وسع من مفهوم الدين الذي لا يمثل سوى بُعداً تصاعدياً وا حداً ، أما الثقافة ، وخاصة العلمانية ، فيمكنها أن تقوم بدور نقدي با لنسبة لبعض العناصر السلبية في ديانة أو أخرى .

* رغم كل المصاعب والعقبات فإن التزام الكنيسة با لحوار ثابت ولا رجعة فيه .

* إن تقديم الرسالة التبشيرية ليست مساهمة اختيارية بالنسبة للكنيسة ، إنه الواجب الذي يقع عليها بأمر ا لرب يسوع حتى يمكن للبشر أن يؤمنوا ويُنْقذوا . نعم هذه الرسالة ضرورية ، إنها فريدة ولا يمكن استبدالها ، ولا تتحمل أية لامبالاة ، ولا أية تلفيقية ، ولا أية مواءمة ، إنها متعلقة بخلاص البشر .

إن نصوص هذه الوثائق وما سبقها من الوضوح بحيث إنها ليست بحاجة إلى توضيح ، أو حصر لنقاطها الأساسية . فالموقف لم يعد يترك أي مجال للشك ، أو التخمين ، أو لافتراض أي بصيص من حسن النية ، فتنصير العالم بات أمراً يتم تنفيذه بالفعل منذ اتخاذ هذا القرار في المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني عام 1965. وعلى حد قول كافة الوثائق التي تتناول هذا الموضوع : إن تنصير العالم هو قرار لا رجعة فيه ، ويتم فعلاً ، وباستخدام كافة الوسائل شريطة أن يتم تدريجياً وبعناية فائقة وصبر طويل دون أن ينكشف أمر من يقومون به .

غير أن الأمر اللافت للنظر هنا فى هذه النصوص الكنسية ، هو تغيير وسائل وأساليب التبشير من الناحية العملية ؛ أي أنها لم تعد تتم عن طريق فرق المبشرين والمستشرقين فحسب ، وإنما أصبحت تقع على عاتق كافة أتباع المسيحية ، أياً كانت انقساماتهم العقيدية وذلك بناء على القرارات المجمعية ، مع تغيير الأسلوب القائم على السب والتجريح والسخرية وتحريف معاني القرآن الكريم والسنة ؛ حيث إنه أسلوب قد ثبتت عدم فعاليته على مر القرون ، فالإسلام – ولله الحمد – ينتشر بثبات ورسوخ لنقائه وبساطة تعاليمه . وبتغيير منهج التبشير أصبح الإعتماد على الدراسة والتحليل والبحث عن منافذ للتسلل من خلالها بالتدريج هو القانون الجديد ، إضافة إلى تفادي المناقشات الجادة المتعلقة بمناقشات العقيدة المسيحية الحالية من تثليث وتأليه للسيد المسيح وعبادة الصليب ..إلخ ، والتلفع بمسوح الود والاحترام حتى تتم عملية الاغتيال .

ومما تقدم نرى بوضوح أن الحوار في مفهوم الكنيسة الفاتيكانية ليس إلا حرباً صليبية جديدة ؛ حرباً بالكلمات بدلاً من السلاح .. وهو ما كان قد أعلنه بطرس المبجل ، رئيس دير كلوني فى فرنسا ، في مطلع القرن الثاني عشر ؛ إذ قال للمسلمين : " **إنه لن يبدأ حرباً صليبية جديدة بالسلاح ، وإنما بالكلمات ؛ أي بالحوار** ".. الأمر الذي يوضح أن لعبة الحوار الحالية التي تُدار على الصعيد العالمي هي جزء متواصل من مخطط قديم ، بدأه بطرس المبجل مع مسلمي إسبانيا وتمخض عن إبادتهم جميعاً ، وإقتلاع الإسلام من إسبانيا ، على حد قول جليان رييس فى صفحة 245 الذي يوضح بعد ذلك بمائة صفحة تقريباً " **كيف أنه بازدهار الإمبريالية الأوروبية ، طوال القرن التاسع عشر ، قد بدأ احتلال مواقع استراتيجية تم انتزاعها من المسلمين، ومنها مصر وإيران وأفغانستان والمشرق العربي وشمال افريقيا** " صفحة (356) فالإ رتباط الحميم بين الإ ستعمار والتبشير والحوار من القضايا التي لم تعد بحاجة إلى مزيد من الأدلة والبراهين .

وإذا عدنا إلى بداية هذا الفصل ، وإلى قرارات ذلك المجمع الفاتيكاني ، الذي تم فيه تكريس وتدعيم مخطط الحوار والتنصير ، والذي لم يكن في واقع الأمر إلا الخطة التنفيذية لاستتاب العولمة وفرضها على العالم أجمع، بحيث لا يكون هناك سوى نظام سياسي واقتصادي واحد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، ونظام ديني بزعامة الكاثوليكية الفاتيكانية، وربطنا كل ما يدور حالياً ، وكل ما بدأت حياكته منذ عام 1965 من اختلاق عبارات من قبيل "الإسلاميين " و" الإسلام السياسي " و " الإرهاب الإسلامي " وتعمد تشويه صورة الإسلام والمسلمين ، مستعينين بكل وسائل الإعلام من تعتيم وترويج وصولاً إلى سَن قانون حماية الأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية بعد أن حملّهم المجمع المشاركة الإجبارية في عمليات

التبشير ، ووضعهم بذلك أمام محنة الولاء ، ولمن يكون ؟ للتعصب الفاتيكاني ، أم للوطن الذي ويأويهم ويرعاهم ؟..

وإذا ما ربطنا بين كل هذه الخيوط وغيرها ، فلم نذكر إلا بعض النماذج ، وبين ما يدور من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية ، لأدركنا فداحة الموقف ، ولأدركنا ضرورة أنه يتعيّن على كل المسلمين ، وخاصة على كل الذين يشتركون في مجالات الحوار ، فَهْم حقيقة أبعاد تلك اللعبة ، بالنسبة للغرب وللتعصب الفاتيكاني . إذ إن ذلك المخطط "لا رجعة فيه" كما أكدته كافة الوثائق وخاصة البابا يوحنا بولس الثاني في أكثر من موقع ، بل لقد تواصلت هذه الهجمة التنصيرية منذ أولى خطواتها وتزايدت إلى درجة الهستيرية مع بابا الفاتيكان الحالى !.

من ناحية أخرى ، لا بد من الأخذ فى الإعتبار أسلوب الصياغة المزدوج ، فكلها وثائق توصف بأنها ذات وجهين .

♦ <u>الفاتيكان وندوة الحوار</u> ..

إنعقدت ندوة الحوار المسيحى الإسلامى فى الفاتيكان من4 الى 6 نوفمبر 2008. ولفهم حقيقة ما يدور فى المؤسسة الفاتيكانية لا بد من نظرة سريعة إلى ما سبقها من أحداث.. ففى السابع والعشرين من شهر أكتوبر 2008 نشرت مواقع الفاتيكان بيانا ، بعناوين مختلفة حتى لا يبدو أنه مقصود النشر، حول اللقاء المغلق الذى سيدور فى الفاتيكان تحت عنوان "**ندوة الحوار الإسلامى- المسيحى**" ، موضحا أن برنامج ذلك اللقاء قد تم وضعه فى شهر مارس الماضى، أثناء أحد اللقاءات التى تتم دوريا. والمعروف أنها تتم بين مجموعة من المسلمين الموالين للفاتيكان حرجا أو عن قناعة، فهو الذى ينتقيهم، وأخرى من العاملين به.. كما أعلن ذلك البيان أن اللقاء المحدد له من 4 إلى 6 نوفمبر 2008 قد سبقته عدة لقاءات مسيحية إسلامية فى أماكن مختلفة من العالم.. وهو ما يكشف عن كيفية قيادة الفاتيكان وإعداده لهذه اللقاءات التى يرمى من خلالها الى الحصول على مزيد من التنازلات.. فالحوار فى نصوص الفاتيكان المنشورة، كما رأينا، يعنى : "كسب الوقت حتى تتم عملية التنصير" .

وكان آخر هذه الإجتماعات ما تم إنعقاده يومى 24 و 25 أكتوبر 2007، فى تركيا، بين المعهد البابوى للدراسات العربية والإسلامية وجامعة مرمرة، تحت عنوان "**العلاقات بين العقل والإيمان فى الإسلام والمسيحية**"، والملاحظ أن "العقل والإيمان" هما أساس محاضرة راتيسبون التى تعمد فيها البابا بنديكت 16 سب الإسلام والمسلمين. كما تم إجتماع آخر فى مطلع الإسبوع، فى مدينة بروكسل، بمبادرة من مجمع الكنائس الأوروبى ومجلس المجامع الأسقفية الأوروبية، وكان بين الحاضرين الكاردينال جان- بيير ريكار (J.P.Ricard) الذى راح يكرر مطلب بنديكت 16 بعد تلقيه خطاب ال138 مسلما، من أنه يتعيّن على المسلمين أن يسلكوا نفس الطريق الذى سلكه الفاتيكان فى القرنين الماضيين وتطبيق مطالب عصر التنوير، وخاصة ما يتعلق منها بحقوق الإنسان وحرية العقيدة وممارستها علناً !..

والمعروف إن خروج الفاتيكان عن تعاليم دينه وتبرأة اليهود من دم المسيح وإستبعاد المسلمين من نسل سيدنا إبراهيم وفرض تنصير العالم بل والإعتراف بأن الكتاب المقدس من صياغة بشر وليس من عند الله، هى من أهم قرارات مجمع الفاتيكان الثانى الذى كان من توابع عصر التنوير، وكل ذلك مكتوب ومنشور فى وثيقة "**فى زماننا هذا**" منذ عام ، كما طالعنا، والتى كرر الكاردينال جان لوى توران أكثر من مرة قائلا:

-"أنها ستكون حجر الأساس للحوار بين الفاتيكان والمسلمين"،

وهو القائل قبل ذلك " أنه لا يمكن إيجاد حوار مع المسلمين طالما يعتقدون ان القرآن منزّل من عند الله! " ، والتعليق تم نشره آنذاك فى كل الصحف الفرنسية.. فهل سيقوم المسلمون بالخروج عن دينهم وتبديل آيات القرآن الكريم واستبعاد بعضها مرضاة للفاتيكان أو تمشيا مع سياسته الرامية إلى إقتلاع الإسلام بأيدى المسلمين ؟؟. إن الخطاب الذى وقّع عليه 138 مسلما، يقولون فيه: "قل هو الله أحد الله الصمد" مستبعدين بقية السورة القائلة : "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" . أى أنه تم إستبعاد الإدانة الصريحة من الله عز وجل لفرية تأليه السيد المسيح وبدعة الثالوث إدانة صريحة وبلا أية مواربة.

كما أوضح ريكار أن "حرية العقيدة تعنى حرية الإنتقال من ديانة إلى أخرى أو ترك الديانة دون أن يترتب على ذلك أية ردود أفعال"، والمقصود بها حد الردة، وهو كما قال: "موضوع حساس بالنسبة لكثير من المسلمين، لكننى أعتقد أن الإندماج الكامل فى المجتمعات الأوروبية يتضمن هذه الحرية، كما ان مبدأ الحرية الدينية يجب أن تكون له قيمة متبادلة، أى أن توجد فى أوروبا وفى البلدان الإسلامية " !

وهو ما يكشف حقيقة ما يحاك للوجود الإسلامى فى الغرب وكيف إن الإندماج فى تلك المجتمعات يعنى، فى نظر الفاتيكان، الا يتشرب المسلمون عادات المسيحيين وتقاليدهم فحسب وإنما أن يتشرّبوا عقيدتهم أيضا؛ كما يتضمن الإصرار على بناء كنائس فى أرض المملكة السعودية وهو ما يحاول الفاتيكان فرضة عن طريق الدهاليز الدبلوماسية.

ومن اللقاءات السابقة والممهدة لندوة 4-6 نوفمبر، المحاضرة التى القاها القس كريستيان ترول (Ch. Troll) فى لندن بعنوان "**نحو إلتزام مسيحى- إسلامى**" ، بحضور كل من اسقف كانتربرى ، روان ويليامز، الذى يلعب دورا واضحا فى تلك اللقاءات التابعة للبابا، إضافة إلى عبد الحكيم مراد وينتر وعارف على النايض ، ويُعتبران من أهم شخصيات لقاء 4-6 نوفمبر الممالئة للفاتيكان على حد ما يُفهم من المقالات التى يمليها على وسائل إعلامه.

وعلى الرغم من الإعلان عن أن كل وفد سيتكون من 29 فردا من بينهم بعض السيدات، إلا أن الفاتيكان لم يعلن إلا عن أسماء خمسة فقط من كل جانب. وأوضح أن أسماء المسلمين المشاركون فى ذلك الحوار المغلق هى: عبد الحكيم مراد وينتر البريطانى، وعارف على النايض الليبى، وكلاهما أستاذ فى جامعة كمبردج، وإبراهيم كالين التركى، ويقوم بالتدريس فى كلية يسوع بجامعة جورج تاون بواشنطن، وسهيل نخّودة الأردنى، مدير مجلة "**إسلاميكا مجازين**" التابعة للفاتيكان، والإيطالى يحيى بللافتشينى وكان من فرق الهيبيز السابقين .. وإن خرجنا بشىء من هذه الأسماء ، إضافة إلى ما نشر عن حضور طارق رمضان او محمود عزب ، لأدركنا بوضوح كيف إن الفاتيكان يستعين بقدرات كل من يمكنه تمرير طلباته المخادعة والهادمة للإسلام - سواء عن جهل أو عن عمد..

وفيما بين الثانى والثالث من نوفمبر 2008 ، وقبل بداية ذلك الحوار المغلق ، نشرت الصحف والإذاعات الفرنسية العامة والمسيحية حوارات وموضوعات تشترك جميعها فى عرض الموضوع وكيف أنه بدأ بالخطاب الذى القاه البابا فى راتسبون وفُهم منه "خطأ" أنه سب الإسلام والمسلمين ، فأُصيب المسلمون بالهلع، فتقدم 138 من كبار العلماء بخطاب يناشدون فيه البابا قائلين : "تعالى الى كلمة سواء ، ولنبحث عن المشترك بيننا" – فيبدو الأمر وكأن المسلمون هم الذين هرعوا وقد خافوا من أن يتمادى البابا فى كشف "مساوىء" الإسلام، فقرروا لمّ الموضوع وترك الخلافات، التى أوضحها الله عز وجل فى كتابه الكريم، ليبحثوا مع الفاتيكان عن "المشترك بين الديانتين" – ويا للعار !..

ومن المؤسف ان يكون هذا موقف تلك المؤسسة الفاتيكانية وتعاملها بوجهين، إن لم يكن بعدة أوجه، فالحقيقة التى تكشفت آنذاك فى مواقعها ونصوصها هى: إن البابا قد قلق من رد فعل

المسلمين وطلب من الكاردينال جان لوى توران : "أن يتصرف لمحاصرة الموقف" !.. فبدأ باللجوء إلى من يراهم من الموالين له من المسلمين ، وتمخضت اللعبة عن ذلك الخطاب الفضيحة الذى يقول فيه 138 من المسلمين "أنهم يعبدون نفس الإله مع المسيحيين" ، متناسين أننا نعبد الله الذى ليس كمثله شيء ، خالق الكون بكل ما به، بينما يعبد المسيحيون "ربنا يسوع المسيح الذى تجسد بشرا وعُذب وصُلب وقُبر ونزل فى الجحيم ثلاثة أيام ثم صعد وجلس عن يمين الآب الذى هو نفسه" !. وهو ما يقوله ويكرره بنديكت 16 فى كافة خطبه وأحاديثه، مؤكدا أنه لا خلاص لكافة البشر إلا بيسوع المسيح، بل وذلك ما قاله أحد أعضاء الفاتيكان فى أول جلسة إفتتاحية لذلك الحوار المنعقد من 4 الى 6 نوفمبر 2008 .. ولا نملك إلا أن نتساءل هل يعبد المسلمون مثل هذه الفريات المختلقة عبر المجامع على مر العصور والتى لا يقبلها عقل ولا منطق ؟!.

وفى الكلمة التى القاها البابا بنديكت 16 باللغة الإنجليزية، صباح يوم الخميس 6 نوفمبر 2008، أمام أعضاء الوفدين فى تلك الندوة المغلقة، ونشرتها جريدة "**لا كروا**" نقلا عن الفاتيكان ، قال بنديكت 16 بالإنجليزية فى تعريفه للإله الذى يعبده هو وأتباعه قائلا:

" يُعلن التراث المسيحى ان الله محبة (يوحنا 4:16) ومن منطلق الحب خلق الكون بأسره، وبحبه أصبح موجوداً فى التاريخ الإنسانى. ولقد أصبح حب الله مرئيا، متجلّياً كاملا ونهائيا فى يسوع المسيح. وهكذا نزل ليقابل الإنسان، وبينما ظل كما هو الله، إتخذ شكل طبيعتنا. وضحّى بنفسه لكى يستعيد الكرامة الكاملة لكل شخص ويجلب لنا الخلاص. و يقول النص بكل وضوح:

"The christian tradition proclaims that God is Love (1 Jn 4:16). It was out of love that he created the whole universe, and by his love becomes present in human history. He thus came down to meet man and, while remaining God, took on our nature. He gave himself in order to restore full dignity to each person and to bring us salvation".

فهل ذلك هو مفهوم الله عند المسلمين حتى يسكت الحاضرون ويوقعون على مثل هذا الكلام ؟!..

ولا نقول شيئا عن باقى المطالب التى جاهر بها البابا، من قبيل التأكيد على نسيان سوء الفهم وإجتياز كل الخلافات و حماية الحقوق الأساسية للإنسان كحرية العقيدة ، والعنف الذى يلاقيه رجال الدين أو العنف باسم الدين . فأقل ما كان يجب أن يقال له : إن كان هناك ثمة عنف بإسم الدين فليوقف هو عمليات التبشير التى يقودها بهيستريا ممجوجة عبر العالم !

أما البيان الختامى الصادر عن اللجنة المجتمعة مساء يوم 6 نوفمبر 2008، فقد تضمن 12 بندا تدور حول المساواة بين الرجل والمرأة، وحرية المعتقد وحرية العقيدة، وإنشاء نظام إقتصادى أخلاقى، ورفض العنف والإرهاب باسم الدين، وهى وثيقة بحاجة إلى دراسة و إلى ردّ تفصيلى، لكننا نتوقف عند أول بند، الذى تأخذ ديباجته نصف صفحة تقريبا، بينما باقى البنود قد صيغ كل منها فى سطرين أو ثلاثة.

يتناول البند الأول التعريف بحب الله وحب القريب بالنسبة للمسيحيين وفقا لإنجيل يوحنا، وتحديد إن هذا الحب خاص بالإنسانية جمعاء وبكل البشر "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية " (3 : 16) وان هذا الحب قد وُضع فى القلب البشرى عن طريق الروح القدس ..

أما بالنسبة للمسلمين فيعتمد حب الله وحب القريب فى هذا البيان على ما ورد بخطاب "كلمة سواء" الذى تمت فيه عملية بتر مغرضة للآيات القرآنية، دون ذكرها فى البيان، وإنما تم الإستشهاد بحديثين لمسلم والبخارى، مع إضافة : " ان هذا الحب، كما يحدده القديس المحبوب النبى مأأوميه، هذا الحب أقدم من الحب الإنسانى للإله الوحيد الحقيقى" !

والمقصود ب "القديس المحبوب مأأوميه" (le Saint et Bien-aimé prophète Mahomet) هو سيدنا محمد صلوات الله عليه، فكلمة "مأوميه" هو التحريف الذى اشتقه التعصب الكنسى عبر التاريخ لإستبعاد اسم سيدنا محمد عن الذاكرة العامة، على الأقل فى الغرب، الذى يعرف تماما كيف يكتب اسم محمد حينما يتعلق بأى شخص آخر إلا رسول الله ! وكان الأكرم لهؤلاء المشاركين، لو كانت لديهم ثمة غيرة على دينهم أو أى إحترام لنبيهم أن يحتجوا ويطالبوا الفاتيكان بتعديل كتابة اسم سيدنا محمد بدلا من أن يقوموا بالتوقيع على ذلك التحريف !. أما الإله الوحيد الحقيقى فى نظر تلك المؤسسة المجحفة فيقصد به "ربنا يسوع المسيح".. وهو ما لا يكف بنديكت 16 عن ترديده فى كافة كتاباته وخطبه، معلنا أنه الطريق الوحيد لخلاص كل البشر !. وما اكثر الخلط والتلاعب بالألفاظ فى هذه الوثائق ..

ومن مهازل أفراد هؤلاء المسلمين، أن يدلى الدكتور مصطفى شريف ، بحديث لإذاعة الفاتيكان تم نشره يوم 6 نوفمبر 2008 ، فى موقع الإذاعة، يقول فيه بكل مغالطة: "بكل أسف، يعانى المسيحيون على أرض الواقع فى البلدان الإسلامية وخاصة فى العراق" !. وكان الأكرم له أن يتهم ذلك الإحتلال الغاشم السياسى- الدينى، الذى راح ضحيته اكثر من مليون شهيد وعدة ملايين من المشرّدين العراقيين، فقوافل المبشرين التى غزت العراق ضمن العتاد الحربى الأمريكى فضحته الصحافة الغربية والأمريكية قبل أن تتناوله الصحافة العربية والإسلامية..

فإن فرضنا جدلا وكانت هناك أية ردود أفعال من المسلمين، سواء فى العراق أو فى أى بلد إسلامى، فهى ردود أفعال نتيجة لكل ما يمارس عليها من تنصير استفزازى سواء للمسلمين أو لمعالم البلدان الإسلامية. وكان الأكرم له أن يطالب بحماية الفلسطينيين من طغيان الصهاينة الذين عاون الفاتيكان على تأسيس دولة لهم ، مغتصبة على أرض فلسطين ، وأن يطالب بفك الحصار المميت عن سكان غزة وغيرها، أو أن يطالب بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين، أو أضعف الإيمان أن يذكر ويدين عمليات التنصير الدائرة بجبروت على أرض الجزائر ذات المليون شهيد !!

ولا يسعنا إلا أن نقول لتلك الحفنة المفرّطة فى دينها ، جهلا أو عن عمد، أن تتقى الله، وأن تقرأ نصوص الفاتيكان الخاصة بالحوار وغيره، لتدرك الهاوية التى يساقون إليها ، قبل أن يسوقوا الإسلام والمسلمين، الذين لم ينتخبوهم ولم يوكلو إليهم عقد اللقاءات باسمهم، أو التوقيع على قرارات مجحفة، كل المطلوب منها كسب الوقت والحصول على مزيد من التنازلات.. وكان الأكرم لهم أن يطالبوا ذلك البابا ومؤسساته الفاتيكانية بوقف تنصير العالم الذى يقوده بجبروت محموم وعن غير وجه حق..

وتختنق العبارات فى الحلق حزناً وألماً من عمليات التفريط والتطبيع التى تُفرض على المسلمين، بأيدى بعض القيادات المسلمة فى شتى المجالات، وقد هان عليها دينها وبلدانها فى زحمة وزخم زحفها لمراضاة الغرب المسيحى المتعصب وتلبية لمطالبه الظالمة، من أجل حفنة وعود زائلة ..

ولا نجد ما نختتم به هذا الفصل إلا تناول تسلسل نفس الموقف الفاتيكانى وخدعه المتواصلة .

♦ خديعة حوار الأديان إلى أين ؟..

دخلت مؤتمرات حوار الأديان فى مرحلتها الحاسمة عام 2008، وفقا لما رتبته المؤسسة الكنسية ومجمع الفاتيكان الثانى (1965) ، الذى قرر اقتلاع الإسلام وتنصير العالم . وقد تم إعتبار عام 2008 عام حوار الأديان فى أوروبا ، وإقامة المؤتمرات المتتالية بين المؤسسات الأوروبية السياسية والكنسية لترسيخ فكرة أوروبا المسيحية ، من جهة .. و من جهة أخرى ، فى نفس الوقت ، تتوالى فيه سلسلة من المؤتمرات التى يعقدها المسلمون لتقديم مزيد من

التنازلات للجانب الكنسى .. وكان آخرها ـ حتى وإن تم ذلك فى بلد أوروبى ، مؤتمر مدريد الذى دعى إليه خادم الحرمين الشريفين ، فيما بين 16 و18 يوليو 2008 ، وياله من إختيار لمكان مرير الإهانة والذكرى ، فبعد أن تم إقتلاع الإسلام من إسبانيا فى حرب الإسترداد (1492 م)، بإبادة المسلمين غدراً ، ذبحاً أو تنصيرا ، تتم العدة الآن لإقتلاع الإسلام بأيدى المسلمين هذه المرة ..

وقد بدأت الحلقة الأولى من هذه المرحلة الحاسمة عقب محاضرة بنديكت 16 فى راتيسبون ، فى سبتمبر 2006 ، التى تعمّد فيها سب الإسلام والمسلمين ونبينا الكريم صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين .. فعندما ثار العالم الإسلامى كرد فعل لهذا الجُرم ، طلب البابا من الأسقف جان لوى توران، رئيس لجنة الحوار البابوى بالفاتيكان ، ان يتدبّر الأمر لإحتواء الموقف والترتيب لعقد لقاءات مع بعض المسلمين المهرولين لمساندة الفاتيكان.. وتمخض عن هذه الترتيبات ذلك الخطاب الفضيحة الذى وقّع عليه 138 عالما مسلما ، عن قناعة او عن جهل أو مجاملة !. وهو الخطاب الذى يعلنون فيه مصيبة أننا ، مسلمون ومسيحيون ، نعبد نفس الإله !!.

والمؤسف فى الموضوع أن الفاتيكان يقدم هذه المبادرة فى كافة النصوص المتعلقة بها على انها رد فعل خوف المسلمين من البابا خشية ان يفضح الإسلام الإرهابى أكثر مما فعل، فتقدموا له بذلك الخطاب قائلين "تعالوا الى كلمة سواء" ، نتصالح ونتعاون بما اننا نعبد نفس الإله ، ونغض الطرف عن الإختلافات التى كانت تفصل بيننا فيما مضى !.. وهم بذلك يلغون سبب مجيء الإسلام أساسا ، الذى أتى كاشفا لكل ما تم من تحريف فى عقيدة التوحيد بالله فى الرسالتين السابقتين ومصوباً لمصارها ..

وتلى هذا الخطاب الفضيحة ترتيب عدة لقاءات مشتركة بين المهرولين هنا وهناك ، كما تم ترتيب زيارة خادم الحرمين للفاتيكان ، بكل ما تضمنتها هذه الزيارة من مهانة وتنازلات ، فكل المطلوب منها هو "الضغط سياسيا ودوليا وكنسيا لغرس الإنجيل فى أرض المملكة ورشقها بالكنائس".. وهى عبارة البابا يوحنا بولس الثانى الواردة فى كتاب "**الجغرافيا السياسية للفاتيكان**" .. وبعد شهر ونصف من تلك الزيارة المرتّبة، أقيم مؤتمر مكة المؤسف ، من 4 إلى 6 يونيو 2008 ، والذى تكرر فيه إجمالا: " تأكيد أننا نعبد نفس الإله ، وتم الإقرار بابتلاع تهمة الإرهاب فى الإسلام والتعهد بالعمل على نبذه، والإلتزام بالقيم المشتركة ، وتعزيز مفاهيم الأسرة ، وتدارك واقع إبتعاد الإنسان عن ربه، وقبول ما نتفق فيه وترك ما نختلف فيه " .. إضافة إلى الإقرار بمصيبة أخرى هى : مساواة النصوص الكنسية واليهودية ، الثابت تحريفها ، بالقرآن الكريم الثابت تنزيله من عند الله ! أى انه تمخض عن تحقيق مطالب البابا بنديكت 16 ، وهو ما تناولته فى مقال آنذاك.

وبعد مؤتمر مدريد تمت العدة لمؤتمر نوفمبر 2008 ، الذى انعقد فى الفاتيكان ، بحضور 24 من المهرولين المسلمين و24 من المتحكمين الفاتيكانيين ، لتدارس كيفية تنفيذ ما قام به عصر التنوير على الكتاب المقدس وتطبيقه على القرآن الكريم ! إن أعمال ودراسات عصر التنوير قد اثبتت أن الكتاب المقدس الحالى ليس مقدسا ولا منزلا من عند الله ، كما أثبتت التحريف الذى تم فى الكتاب بعهديه ، وخاصة العهد الجديد ، واثبتت ان المسيحية الحالية ، التى لا يقبلها عقل ولا منطق، تمّت صياغتها عبر المجامع على مر العصور ، ولا يعرف عنها المسيح شيئا بل تخالف تعاليمه، وأن عدد المتناقضات الموجودة فى الأناجيل يفوق عدد كلماته ، وان الأناجيل برمتها لم تكتبها الأسماء التى هى معروفة بها، وأنها صيغت يقينا بعد الأحداث تلفيقا، الخ ..

بل فى واقع الأمر إن كشف عمليات تحريف الأناجيل قد تمت بنفس يد من قام بذلك التعديل والتبديل والتغيير، وتكفى مطالعة إعترافات القديس جيروم الواردة فى الخطاب- المقدمة الذى يتصدر ترجمة "الفولجات" التى أعدها ، وتعنى الأصل الذى تعتمد عليه الكنيسة ، إضافة الى المعارك الضارية التى دارت بين مختلف الفرق والنحل المسيحية وتم خلالها ذبح الملايين من البشر !

فما يحاول سدنة الفاتيكان القيام به حاليا هو تنفيذ عملية إسقاط لكل ما تم فى المسيحية من مآخذ على القرآن الكريم ، بأيدى من يُحتسبون على الإسلام إسما.. ولا أدل على ذلك من الكتاب الذى ألفه القس ميشيل كويبرز (Michel Cuypers) وتم نشرعرض له فى يونيو 2007 بالعدد الرابع من مجلة "الملكوت" الإيطالية و فى غيرها من المواقع والمجلات التابعة للفاتيكان ، وأعيد نشره فى نفس الأماكن للمرة الثانية فى 31 يوليو 2008 ، وكأنهم يعدون الأذهان لما يتم الإعداد له حتى تألفه الآذان وتبتلعه بلا إعتراض !

ويتلخص هذا البحث فى ان ذلك القس قد قام بتطبيق علم التحليل البلاغى على النص القرآنى ، وهو ما كان يجاهد المستشرقون لتطبيقه على القرآن منذ قرن ونصف تقريبا ، بل وهو ما كان المستشرق الفرنسى جاك بيرك يطالب به ، وذيّل مقدمته للترجمة التى قام بها للقرآن الكريم بضرورة إخضاعه للتحليل اللغوى والبلاغى لإثبات ما به من سلبيات !.. ويوضح القس كويبرز ان منهج التحليل البلاغى يسمح باستكشاف تقنيات الكتابة التى يلجأ إليها الكتبة لصياغة نصوصهم ، كما يسمح بكشف طبقات الصياغة المتراكمة ، وكأن القرآن قد تمت صياغته على عدة قرون كالأناجيل !. ويقول صراحة أنه قام بتطبيق هذا المنهج على القرآن مثلما تم تنفيذه على الأناجيل .. وقد بدأ بقصار السور ووجد المسألة مجدية ، فانتقل الى طوالها ، ومن أهم اكتشافاته ما يلى :

الخلط والتداخل فى القرآن والقفز من موضوع لآخر ، وهو ما يتعب القارىء او يدخله فى متاهة ، وان بالقرآن طبقات صياغية متباينة زمانيا وإضافات لاحقة وتعديل وتبديل فى النص ـ مما اضطر بعض المستشرقين إلى إعادة صياغة القرآن بشكل منطقى بتغيير أماكن بعض الآيات ، وضرورة عدم الأخذ بالتبرير الذى يقدمه التراث او أسباب النزول للتعتيم على ما به من متناقضات ، وان الرسول، صلوات الله عليه ، قد نقل عن الكتاب المقدس بعهديه لذلك اتهمه اليهود بالإختلاس والتحريف ، وان المتشددين يعتمدون على الآيات المنسوخة لمحاربة الكفار ، وان القرآن كان ينتهى عند سورة الإخلاص والمعوذتان إضافة لاحقة بدليل انها غير موجودة فى اصول عدة من نسخ القرآن !.. لذلك يطالب بضرورة عمل تفسير جديد للقرآن يتمشى مع العصر الحديث لأن التفاسير القديمة لا تتفق وعقلية الإنسان المعاصر !

ومما يستشهد به ذلك القس "الضليع" ان هناك مسلمون مثقفون يطالبون بذلك أيضا ، أى بأن يتم فحص ودراسة القرآن كما حدث بالنسبة للأناجيل ، وان المستشرقين قد بدأوا فعلا هذه المسيرة ، مضيفا أنه للتوصل الى قلب االقرآن ومضمون رسالته الحقيقية لا بد من تناوله باسلوب النقد البناء للكشف عما تم به من تحريف او إضافات لاحقة .. مشيرا إلى ان التحليل البلاغى يستبعد التراث والسنّة ولا يلتزم إلا بالنص كنص أدبى ، لذلك تختلف نتيجته عن كل ما فرضه التراث عبر السنين.. وذلك لا يعنى ـ فى نظره ـ المساس بصلب عقيدة المسلمين وضربها فى مقتل ، بل على العكس ، يرى أنها تلقى بمزيد من الضوء على قيمها وتزيح عنها ما تراكم عليها من إضافات على مر التاريخ !!

ثم يتساءل عما اذا كان المسلمون سيفهمون ان التحليل البلاغى للقرآن سيفتح الباب للتجديد الفعلى فى التفسير القرآنى ؟! ويجيب على سؤاله قائلا : نظرا لثقل التراث فى الإسلام فإن سير الأمور لن ينطلق بالسرعة المرجوة ، وهذه هى المهمة الصعبة التى تقع على عاتق المثقفين المسلمين الذين امتصوا وتشبعوا بالمنهج العلمى الغربى الحديث .. وأن ذلك يتطلب منهم النظر إلى القرآن على انه مجرد نص أدبى ولا يمت إلى التنزيل الإلهى بصلة ، وهو ما يقاومه المسلمون التقليديون !

ويشير مرة ثانية الى المتناقضات التى لا يمكن التوفيق بينها ، وانه اذا كان لهذه النصوص القرآنية ان تقدم لنا شيئا فلا بد من أن نأخذ فى الإعتبار التطور الفكرى والدينى للإنسانية حاليا، موضحا: " أن هناك بين هذه المتناقضات آيات ذات حكمة عالمية ، صالحة لكل زمان ، وأنه يتعين إقامة الممارسة الدينية بناء عليها .. وهو ما طرحه الموقعون ال 138 على الخطاب المفتوح المرسل إلى بنديكت 16 ، ومنهم مفتين لعدة بلدان إسلامية ، يضعون فى الصدارة الآيات التى تسمح بتعايش سلمى للمسلمين مع الجماعات الإنسانية الأخرى .. وذلك يعنى أنهم

يعتبرون ضمناً ان آيات الجهاد الواردة خاصة فى سورة التوبة أنها آيات بالية وغير مجدية التطبيق. إلا أن ذلك لا بد وأن يتم الإعلان عنه علناً وصراحة ، بكل وضوح ، وإعتباره قراراً نهائياً ولا رجعة فيه " !!.

إن إعادة نشر هذا البحث وفى هذا التوقيت تحديدا ، إضافة إلى العديد غيره من المقالات والحوارات المسمومة التى تدين القرآن الكريم وتضاهيه صراحة بنصوص الأناجيل ، وتطالب بكل قحة بحذف آيات بعينها والإكتفاء بالآيات العبادية والأخلاقية ، ليس مجرد نشر لسد خانة او لإفتقارهم إلى الموضوعات ، وإنما هى عملية تمهيد وإعداد الأذهان الى ما يحيكونه حاليا وسوف يتم الإعلان عنه فى المستقبل القريب كما يرتبون ويتمنون ..

ولا يسعنى ، بكل أسف ، إلا عرض وتقديم ما يتم الترتيب له فى الفاتيكان لإقتلاع الإسلام ، والإعداد لكيفية إقتلاعه بأيدى المسلمين .. فإذا ما أخذنا فى الإعتبار عدة ظواهر ، منها أولا معنى الحوار فى النصوص الفاتيكانية ، وأنه يعنى كسب الوقت حتى تتم عميات التنصير ؛ وأن تنظيم فرسان المعبد الإسبانى الذى تمت إبادته عام 1312 م ، واستمر سراً ، يطالب البابا حاليا بإعادة إشهاره رسميا للقيام بدوره فى العلن ، وهو التنظيم الذى قام بالحروب لصيبية ؛ وان هناك عمليات تطبيع دينى بين المسيحيين والمسلمين تتم سراً لإقامة صلوات جماعية حيث أنهم يعبدون الإله الواحد " ربنا يسوع المسيح " (!) ، والقيام بالحج إلى كنائس بعينها ، من قبيل الحج الذى ينظمه القس كريستوف روكو سنويا فى بريتون الفرنسية ، وكان يعمل مبشرا فى إحدى الجامعات المصرية متخفيا تحت وظيفة خبير فرنسى ، وهى البدعة التى بدأها المستشرق لويس ماسينيون وتتواصل بأشكال عدة ؛ وأن عمليات إبادة المسلمين تتم على مرأى ومسمع من العالم وما من أحد يتصدى لها إلا كلاما ؛ وأن عمليات التنصير تدور بصورة هيستيرية فى جميع البلدان الإسلامية بينما تغض حكوماتها الطرف عنها ؛ إضافة إلى كل ما قام المسؤلون المسلمون بتقديمه من تنازلات، فى حق الإسلام لصالح الغرب الصليبى المتعصب ، لأدركنا فداحة الموقف ، وخطورة ما يحاك لنا ، والكآبة القاتمة التى نحن مقبلون عليها كمرحلة حاسمة فى هذه الخديعة الكبرى.. لذلك لا يسعنى ، بكل أسف أيضا ، إلا أن أكرر عبارة : أفيقوا أيها المسلمون وتولوا الدفاع عن دينكم بعد أن خبت وتراخت بل وتواطأت بعض قياداتنا الإسلامية .. وحسبنا الله ونعم الوكيل !

الفصل الخامس

التبشير الجديد

قبل أن نتناول موضوع التبشير الجديد تحديدا، من الأنسب توضيح كيف يتم نسج المخططات وكيف تتوارث عمليات المتابعة والتنفيذ بين مختلف الرئاسات واللجان الفاتيكانية. فقد تم إتخاذ القرار اللا إنسانى والإستفزازى لتنصير العالم فى مجمع الفاتيكان الثانى عام 1965 ، كما رأينا فيما تقدم، وهو ما يعنى إقتلاع كل الديانات والعقائد اللأخرى ، بدءاً بالإسلام ، لفرض المسيحية الفاتيكانية التى تم نسجها عبر المجامع على مر العصور . وهو ما يبدو مسألة حياة أو موت بالنسبة للفاتيكان ..

وباستثناء بعض اللقاءات منذ 1965 لتدارس كيفية تنفيذ قرار تنصير العالم ، أقيم فى عام 1974 سينودس موسّع ، لمدة شهر ، تحت عنوان "**تنصير العالم المعاصر**"، والسينودس هو إجتماع كنسى يدعو إليه البابا كل الأساقفة لدراسة نقطة معينة وإبداء الرأى فيها ، حتى يمكنه دراستها والإعتماد عليها لإصدار ما يناسبها من قرارات فى شكل خطاب رسولى. وقد تمت فى ذلك السينودس دراسة 67 موضوعا لاهوتيا و رعويا. وبعد عام أصدر البابا بولس السادس خطابه الرسولى المعنون "**تبشير الإنجيل**" (**Evangelii Nuntiandi**) ، الذى يعتبرونه واحدا من أهم النصوص البابوية التى صدرت فى القرن العشري، لأنه يوضح كيفية تطبيق قرارات مجمع الفاتيكان الثانى ، ويبلوِر مهمته اللاهوتية والرعوية، كما أنه يُؤهل الكنيسة للألفية الثالثة، لكى تواجه حالة الفتور والتباعد التى ألمت بالأتباع وببعض رجالها، موضحا فى الفصل الثانى تحت عنوان "معنى التبشير" كيفية تطبيق منهج الإمتصاص ، إمتصاص الآخر وجذبه للعقيدة الفاتيكانية ...

وفى البند الأول من هذا الفصل الثانى يحدد بولس السادس ان العناصر المتنوعة السياسية والمتكاملة للتبشير "توجد فى الواقع فى نفس توجيهات نصوص المجمع الفاتيكانى الثانى ، وخاصة فى وثائق "**نور الأمم**" ، و"**الكنيسة فى العالم**" ، و"**النشاط التبشيرى**" (بند 17). وفى البند الأخير من هذا الفصل يؤكد البابا بولس السادس قائلا : "أن التبشير وسيلة معقدة ذات عناصر متعددة : تجديد الإنسانية ، الشهادة ، التبشير الضمنى ، التوغل فى المجتمع ، تلقف الإشارات. وقد تبدو هذه العناصر متناقضة ، لكنها فى الواقع متكاملة وتثرى بعضها البعض ،

ولا بد من النظر الى كل منها فى تداخلها. إن قيمة السينودس الحديث تكمن فى أنه دعانا إلى تجديد الوسائل، بدلا من تعارضها، لكى نصل إلى الفهم الكامل للنشاط التبشيرى للكنيسة".

وموضوع "صعوبة العمل التبشيرى"، الخاصة بالألفية الثالثة، سبق تناولها بصورة واضحة وتفصيلية فى القرار الخاص بالنشاط التبشيرى فى الفصل الثانى المعنون "**العمل التبشيرى فى حد ذاته**". لأن هذا القرار الذى يقع فى حوالى خمسين صفحة ، يهدف أساسا الى توضيح كيفية تبشير البلدان التى لم تعرف المسيحية بعد. وكافة المراحل والعناصر الخاصة بعملية التبشير موضحة فى إطار التبشير من أجل غرس كنائس خاصة ، لذلك ينقسم العمل التبشيرى الى عدة مراحل هى :

* التداخل فى الحياة اليومية (بند 11) ؛
* التواجد فى شكل المساعدات المالية (بند 12) ؛
* التبشير والإرتداد (بند 14) ؛
* تكوين الجماعة المسيحية (بند 15) ؛
* استتباب رجال الدين المحليين.

وهو ما يعنى إجمالا أن خلاصة التبشير هى عبارة عن عملية إقتلاع الأشخاص من دينهم وعقائدهم ، مقابل المساعدات المالية ، بغية الوصول الى الإرتداد الكامل ، ثم تحويل هؤلاء المرتدّون الى جماعة مسيحية لإقامة كنائس جديدة محلية برجال إكليروس محليين ليكونوا أكثر دراية بمواطنيهم وأكثر فهما لمختلف مداخلهم !

وإن كانت البنود من 18 الى 20 تتناول الدور التبشيرى للكنيسة عامة، فإن البند 18 يوضح الهدف من هذا التبشير وهو : "تجديد الإنسانية بالإرتداد".. لذلك يحدد البند 19 إلى أى مدى يمكن أن يصل هذا التبشير. فليس المقصود منه أن يمتد توصيل إنجيل النبأ السعيد إلى أوسع نطاق فحسب ، ولكن ضرورة غرسه فى كافة الأنشطة الإنسانية والحياتية للوصول إلى عملية إرتداد كاملة للفرد. لذلك يؤكد البند 20 على ضرورة تنصير الثقافات بمجالاتها المتعددة.

ومن الواضح أن تغيير موقف المؤسسة الفاتيكانية غير وارد وأنه قرار لا رجعة فيه : فبعد أن عاشت منذ استيلائها على مقاليد الحكم ، فى القرن الرابع، فى حالة دفاع عن النفس متواصل ضد كل ما كان يعترض عمليات التغيير والتبديل التى تقوم بها، فإن الكنيسة منذ مجمع الفاتيكان الثانى ، منذ ذلك المجمع الهجومى الإستفزازى ، يبدو أنها لم تعد تخشى شيئا : فقد تلفعت بحجة

الحوار لتحاور كافة الميادين والمجالات لتفرض عليها عملية تنصير الشعوب ، التى بدأت باقامة "مجلس من أجل تنصير الشعوب" ، كما رأينا فى مجمع الفاتيكان الثانى (1965). وفى يونيو 2010 أنشأ البابا بنديكت 16 "مجلس بابوى لتفعيل للتبشير الجديد" ، وهو الأمر النادر الحصول أن يتم إنشاء وزارة جديدة لتدعيم رمزية الوجود الكنسى فى مجتمع سبق أن رفض هذه المسيحية بوضوح. وما من أحد يحاسبه أو يراجعه من كبار رجال الدول المدّعية فصل الدين عن الدولة ، طالما المطلوب إقتلاعه هو كل ما عدا المسيحية من ديانات وعقائد !

أى إن الأمر لم يعد متعلقا بتنصير المسلمين وحدهم ، أو الديانات الأسيوية وغيرها من الديانات والعقائد ، وإنما أصبح الأمر يتعلق فعلا بكيفية تنصير العالم أجمع. إن البابا بنديكت 16 يقوم بتنظيم عملية التبشير الجديد بشراسة متصلطة، فلا شئ يثنيه.. وأنشأ لها وزارة بابوية تهدف إلى نشر التبشير فى البلدان المسيحية التى تباعدت عن دينها. فبالنسبة له : "إن انزواء معنى وجود الله" فى البلدان ذات الجذور المسيحية يمثل التحدى الأكبر لمطلع هذه الألفية الثالثة. لذلك أعلن يوم الإثنين 28 يونيو 2010 عن إنشاء هذا المجلس الذى يهدف، على حد وصفه، إلى : "نشر التبشير الجديد فى البلدان التى تم تنصيرها سابقا، وبها كنائس قديمة، لكنها تباعدت وتعيش علمنة متزايدة بحيث إن إختفاء معنى وجود الله بات يمثل تحديا لا بد من مواجهته بشتى الوسائل لإعادة نشر الحقيقة الخالدة لإنجيل المسيح" .. والطريف أن إنجيل المسيح غير موجود ولا أثر له ، لكنه اللعب الدائم بالألفاظ حتى وإن كانت تناقض الحقائق والتاريخ !! وقد سبق للبابا بولس السادس أن أدرك حقيقة "أن الإنفصال بين الإنجيل والثقافة يمثل مأساة هذا الزمن مثلما كانت تمثله فى الأزمان السابقة" (بند 20).

وفى نهاية النصف الثانى من عام 2010 ، الذى تعرضت فيه الكنيسة لمختلف أزمات الإعتداءات الجنسية التى هزت أركانها ، فإن القرارات التى إتخذها البابا بنديكت 16 أخيرا بالنسبة للمؤسسة الكنسية الرعوية التى يريدها عالمية، فهى مثقلة بالمعانى ، لأنه لم يعد الأمر متعلق باقتلاع الإسلام والمسلمين ، تنفيذا لقرار مجمع الفاتيكان الثانى فحسب ، وإنما أيضا أن يستعيد المسيحيين الذين فروا من عقيدتهم ، ومعهم كل الحق.. أن يعيدهم قهرا أو بالتحايل إلى المسيحية التى هربوا منها ومن أهوال أجوائها.

وفى 21 سبتمبر 2010 عندما أعلن البابا بنديكت 16 عن إنشاء "المجلس البابوى لتفعيل التبشير الجديد"، بدأ الخطاب بمقدمة يشرح فيها أهمية التبشير بالنسبة للكنيسة و"أنه يمثل ضرورة لا يمكن تبديلها أو التغاضى عنها إذ أنها تعبّر عن طبيعة الكنيسة ذاتها". ثم أشار إلى تباعد الأتباع وإلى مجمع الفاتيكان الثانى وإنه ملتزم بتنفيذ كل ما جاء به من قرارات تربط

الكنيسة بالمجتمع وبالعالم ، كما أنه ملتزم بكل ما قاله البابا بولس السادس فى خطابه الرسولى **"تبشير الإنجيل"** ، وخاصة البند 52 الذى ينص على ما يلى **:**

"إن التبشير يبدو ضرورة اليوم أكثر من أى وقت مضى، بسبب تباعد الناس فى يومنا هذا ، وكثيرين ممن تلقوا التعميد يعيشون بعيدا تماما عن الحياة المسيحية، كما أن هناك البسطاء الذين لا يعرفون أسس هذه العقيدة تماما ، وهناك المثقفون الذين هم بحاجة إلى معرفة يسوع بطريقة أخرى غير ما تلقوه فى الصغر، وكثيرين آخرون.."

كما يؤكد بنديكت 16 إلتزامه بكل ما أتى به البابا يوحنا بولس الثانى، مبتدع عبارة "التبشير الجديد"، وكل ما أوضحه من ضرورة إعادة تبشير البلدان التى تلقت المسيحية قديما. ثم يؤكد بنديكت 16 إلتزامه بكل من سبقوه وطالبوا بضرورة إعادة التبشير لمحاصرة العلمنة المنتشرة بتزايد فى بلدان كانت مسيحية أصلا. ويلى ذلك أربعة بنود يعلن من خلالها أسباب إنشاء ذلك المجلس البابوى الجديد وتخصصاته. ونطالع فى البند الثالث، فى النقطة الخامسة منه : "أنه ينصح بإستخام كتاب التعليم الدينى الجديد كأساس متكامل لمحتوى العقيدة بالنسبة للأتباع فى زماننا".

وهنا تجدر الإشارة إلى معنى **"كتاب التعليم الدينى الجديد"** التى تؤكد مجالا جديدا للتلاعب أو للتعتيم على الكتاب المقدس وخاصة العهد الجديد .فذلك الكتاب التعليمى الجديد للكاثوليكية صدر سنة 1992 ، ردا على الكنيسة الهولندية التى ألغت عقيدة الثالوث "لأنها لم تعد تتمشى مع المنطق ولا يقبلها الأتباع ويتباعدون عن الكنيسة بسببها" ، وذلك هو ما تم إعلانه آنذاك. والكتاب التعليمى الجديد عبارة عن إعادة صياغة لكثير من الجمل فى الأناجيل مع وضع الشرح كأساس للفهم وليس النص الأصلى فى كثير من الأحيان..

وبإنشاء اللجنة البابوية للتبشير الجديد يواصل البابا بنديكت 16 تنفيذ نداءات البابا السابق، يوحنا بولس الثانى، حينما طالب فرنسا عام 1980 "أن تتذكر تعميدها" ، و حينما طالب أوروبا بأسرها فى نوفمبر 1982 "أن تتذكر جذورها المسيحية" ، تنفيذا لمختلف نصوص و وثائق مجمع الفاتيكان الثانى المتعلقة بتنصير العالم ، لأن الثقافة الحالية فى نظره تهدد أصول المسيحية بالتآكل ، وكذلك تهدد حياة الأتباع. وهو ما يضاف إليه تباعد الأتباع و تزايد عدم الإيمان بالمسيحية وتزايد أعداد الذين لا يمارسون العبادات المسيحية ، وذلك وفقا لكل البيانات وإستطلاعات الرأى المنشورة. وهو ما دعى البابا بولس السادس إلى أن يحدد فى خطابه الرسولى قائلا : "المهم هو التبشير ، لا بصورة سطحية كالورنيش ، وإنما فى الأعماق وحتى

الجذور ذاتها للثقافة ولثقافات الإنسان" .. أى أن يتم إقتلاع الإنسان فعلا ، من جذوره ومن إيمانه، ليتجرع مسيحيتهم الفاتيكانية قهرا وعمدا.

لذلك تم توضيح معنى التبشير الجديد ، فى مختلف النصوص التى تناولته، وأنه يجب ان يكون : "التبشير الصريح بيسوع المسيح كالنبأ السعيد من الله إلى البشر ، ومنقذ ومخلّص للبشرية ، أى أنه من أجل كل إنسان ومن أجل كافة البشر ، وذلك يفترض التبشير بملكوت الرب ، وتقديم قلب رسالة يسوع إلى البشر كهبة ونمط حياة، وذلك يفترض أيضا الإعلان عن موت يسوع وبعث المسيح كخاتم للرسالة وآخر علامة لها". وهنا لا بد من توضيح أن فداء يسوع لا يستند إلى أية وثيقة صحيحة ، لأن يسوع لم يكف عن التبشير بملكوت الرب على أنه وشيك الحدوث وفى عهده وفى الجيل الذى يحيط به. وللآن ، وبعد الفى عام تقريبا من الإنتظار، فإن ملكوت الرب لا يزال لم يتحقق، وأن بعث يسوع ليس إلا رواية إفتراضية فعلا ، فلم يشاهدها أى إنسان ، وهو ما يقوله إنجيل مرقس بوضوح عن النساء الائى ذهبن لرؤية القبر : "فخرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كنّ خائفات" (16 : 8) .. فكيف عرف من كتب هذا النص أنه صحى ومن قال له هذا الخبر ؟!

ومن أجل تنفيذ كل هذه البرمجة القائمة على تل من الأكاذيب والتزوير ، فإن النصوص المتعلقة بالتبشير الجديد تحدد ما يلى :

* التبشير الجديد يجب ان يتم إبتداء من الجماعات الفقيرة كقاعدة إجتماعية ؛

* التبشير هو مسئولية كل شعب الرب ؛

* كل المجتمع المسيحى مسئول عن التبشير ؛

* الغرس الثقافى للإنجيل يقتضى إعادة صياغة النبأ السعيد ، أى ترجمته إلى لغة كل مجتمع يُهدى إليه ؛

* الإقتلاع الثقافى يفترض أن الإيمان قد تم غرسه وتم تقبله من الذين تلقوا الدعوة عبر ثقافتهم الخاصة وعبر تجارب حياتهم اليومية وفى كل وجودهم. أنه يعنى تجسيد الإنجيل فى مختلف الثقافات.

هل يمكن تصور تخطيط تدميرى للإنسان ولمختلف الثقافات ، أو تصور مؤامرة أكثر عنصرية وأكثر إغتيالا أو قتلا للآخر ؟! لأن اقتلاع الإنسان عمدا من دينه وإيمانه وفكره

وثقافته وكل تراثه وتكوينه وكل جذوره الحياتية يعنى فرض شهادة وفاة لذلك الإنسان وليست مجرد عملية غسيل مخ ليحيا فى دين آخر قائم على الفريات !

وبدلا من مواجهة ودراسة أسباب المشكلات اللاهوتية والإكليروسية أو ما الذى أدى إلى تآكل أسس الإيمان لدى الأتباع ، وظاهرة تباعدهم عن المسيحية ، وما يُطلق عليه "النزيف الصامت للكنيسة" لكل القساوسة والأتباع الذين يتسللون فى صمت ، وتزايد أعداد من لا يذهبون إلى الكنيسة ، وضياع قيم العقائد بفضل الأبحاث الجديدة ، لكى لا نقول شيئا عن مآسى الإعتداءات الجنسية أو الإختلاسات المالية التى تنخر فى جذع تلك المؤسسة الفاتيكانية ... بدلا من محاولة رأب كل هذه الفضائح الكاسحة ، فقد رأى الفاتيكان ، بينما يُسحب البساط من تحت قدميه ، أن يتصرف بنفس العقلية الإمبريالية الإستعمارية القديمة حفاظا على كيانه ، حتى وإن أدى ذلك إلى الإطاحة بشعوب مثلما سبق له وأطاح بشعوب عبر تاريخه المؤسف على مر العصور !

لأن ما تم فعلا طوال القرون الماضية كان صراعا وهدما وإقتلاعا للآخر ، إذ دائما ما كان التبشير متداخلا مع الغزو العسكرى ويمثل جزءأ أساسيا من عتاده. وحتى يومنا هذا لم ننسى دخول فرق المبشرين مع العتاد الحربى لغزو العراق وما نشرته بالصور مجلة التايمز الأمريكية آنذاك .. إن التبشير لا يتم أبدا فى صورة الحوار الثقافى المزعوم ، وإنما يتم فرضه من خلال إقحام النمط المسيحى ، والثقافة المسيحية المسبقة التجهيز ، وفرضها باسم الله على العالم أجمع. وفى واقع الأمر، فإن الله برئ مما يفعلون ، فقد أدان كل ما يقومون به من تلاعب فى كتابه الكريم، وما علينا إلا أن نقرأ ونعى لنتمكن من الرد دفاعا عن ديننا الذى بات يُقتلع بأيدى ومساهمة نفر من المسلمين الضالين ..

ومن اللافت للنظر أنه بدلا من أن تدرك هذه المؤسسة الكنسية كم تغيّر العالم، خاصة منذ اكتشاف المطبعه وانتشارها ، وكم تراكمت الإكتشافات الحديثة فى القرن العشرين التى تدين تلاعبها بالنصوص ، ولا نذكر منها سوى **"مخطوطة سيناء"** ، وهى النسخة الوحيدة الكاملة للعهد الجديد من القرن الرابع وتكشف عن حوالى 14000 من المتناقضات والإختلافات عن النص الحالى لذلك العهد الجديد ، كما تثبت تلك الإضافات التى تمت بعد القرن الميلادى الرابع، ومنها تلك الأعداد التى يستندون إليها زورا بأن يسوع المسيح يطلب منهم تنصير العالم كما يدّعون. إضافة إلى أعمال البحث التاريخى واللغوى والتى تكشف قطعا أن كل ذلك البنيان الفاتيكانى تم تشييده على أسس مكوّنة من التزوير والتلاعب والإختلاق والنصوص المخترعة والأكاذيب المتراكمة ، وتكفى هنا الإشارة إلى ندوة عيسى المكونة من أكثر من مائتين عالم لاهوت وأثبتوا بالدراسة أن 82 % من الأقوال النسوبة ليسوع لم يقلها و84 % من الأعمال المسندة إليه لم يقم بها ! وأنه لا يوجد كمرجع عن حياة يسوع وبداية تكوين المسيحية إلا ما

أرادت الكنيسة ان تفرضه على العالم من نصوص ! وبدلا من البحث عن الأسباب التى تؤدى فعلا الى ضياعها ، وبدلا من الإعتذار لأتباعها وللعالم أجمع عن ذلك الكمّ المهول من الزيف والتعسف ، فإن الفاتيكان قد اندفع كالمعتوه ، حين يهرع فزعا خشية من ضياعه ، فانطلق لتنصير العالم تحت راية التبشير الجديد !

ترى هل لا يدرك بابا روما أنه بفرضه المساهمة فى عملية التبشير على كل المسيحيين فى العالم ، أنه يفرض فى نفس الوقت مبدأ الخيانة خاصة على الأقليات المسيحية وعلى الكنائس المحلية فى البلدان ذات الأغلبية المسلمة ؟ وأنه باختلاق أتباع خونة بالنسبة لأغلبية المواطنين المسلمين ، ومواطنون خونة بالنسبة لحكومات تلك البلدان ، بما أن ولاء هذه الأقليات المسيحية يصبح للفاتيكان وكنائسه وليس للبلدان التى يعيشون فيها ، وهو ما يدفع بأتباعه إلى القيام بفتنة طائفية وإلى إشعال حرب دينية حقيقية ؟!

♦ <u>يوحنا بولس الثانى</u>

"لا تخشوا شيئا، إفتحوا الأبواب على مصراعيها للمسيح !" ..

بهذه العبارة الكاشفة أنهى يوحنا بولس الثانى إحتفالية توليه كرسى البابوية عام 1978 . فقد أعلن فى هذه المناسبة عن المحاور الأساسية التى تحدد معالم فترة رئاسته البابوية القائمة على : تطبيق نصوص وقرارات المجمع الفاتيكانى الثانى ؛ العمل على وحدة الكنيسة ؛ وتفعيل إنتشار التبشير الكنسى.

ومن المعروف أن فترة رئاسته تمثل أطول فترة قضاها أحد البابوات منذ إنشاء الكنيسة (1978-2005)، باستثناء فترة بيوس التاسع. وبعد توليه رئاسة البابوية بقليل ذهب يوحنا بولس الثانى إلى بلدة "نوفا هوتا" العمالية ، بجوار مدينة كراكوف ببولندا، ليخطب فى العمال هناك يوم 9 يونية 1979 ، ليبدأ معركة المساهمة فى إقتلاع اليسار وتكوين حزب "**تضامن**" العمالى، معلنا فى نفس الوقت عبارة تمثل وتلخص فترة حكمه للفاتيكان والكرسى الرسولى ، وهى "التبشير الجديد" .. وذلك فى الخطاب الذى ألقاه هناك موضحا : "إن المهمة الرعوية التى يجب أن تحتل الصدارة اليوم هى التبشير الجديد ، ولغة تعامل جديدة للإعلان عن الإنجيل وعن الشهادة".

ولقد كان يوحنا بولس الثانى هو المحرك الأول والأساسى لهذه الدفعة التنصيرية الجديدة ، كما كان أول من إبتدع فكرة "اليوم العالمى للشباب" (Journées Mondiales de la Jeunesse) ويختصرونها بأحرف (JMJ) تنفيذا لفكرة بدء التبشير من القاعدة والتأثير على الشباب وأجيالها لجذبها للمسيحية من أجل الإستعانة بها فى التبشير. فأكثر ما ميّز فترة رئاسته للكنيسة هو محاولته المستمرة للإتصال بالجماهير بمختلف مستوياتها وأعمارها من خلال تحركاته المتوالية وسفره إلى 129 دولة. كما كان مهتما بلقاءات دورية مع الجماعات والقيادات فى أبرشيات إيطاليا، محاولا أن يكون فى آن واحد الخطيب الجوال، والرئيس المدافع عن حقوق الإنسان، ومعلما بجبروت وإصرار ليعلن على الجميع : "أن المسيح هو الطريق الوحيد لإضفاء أنسنة حقيقية على العالم" ، و "أنه من الضرورى إعادة تكوين النسيج المسيحى للمجتمع الإنسانى والسبيل الوحيد لذلك هو أن تبدأ الجماعة الكنسية بإعادة تكوين نسيجها المسيحى" ..

فلم يكف عن التلويح بأنه "إذا كان التبشير الجديد هو أساس وجود الكنيسة على الأرض وأنها فى سبيل دخولها الألفية الثالثة ، فعلى الكنيسة أن تستمد قوتها دائما وأكثر فأكثر من نبع الأناجيل لتكون هى المادة التى يتعيّن عليها أن تعلنها وهى توجه خطابها إلى العقل والإيمان فى آن واحد، وإلى الثقافة وإلى عالم العمل والأسرة والتعريف بالمسيح بجرأة غير مألوفة" ..

ومن معالم رحلاته التى قام بها: ذهابه إلى مدينة شانت يقب فى إسبانيا ، أول مرة سنة 1982 ، حيث أعلن على العالم أجمع ولأول مرة فى التاريخ وبصوت عالى "ضرورة تنصير العالم" .. وثانى مرة كانت سنة 1989 ، حيث خطب فى الشباب وطالبهم بإعادة إكتشاف الجذور المسيحية لدينهم وأن يكونوا رسلا للتبشير الجديد. ومنذ ذلك الوقت انغرس هذا المفهوم فى تحركات الكنيسة وخاصة فى فرنسا، فى محاولة لإيقاذ صحوة جديدة فى البلدان التى كانت ذات إنتماء مسيحى قديما وتعرضت لعملية بتر عنيفة لجذورها بسبب كل ما تم إكتشافه من تحريف وتلاعب فى تكوين المسيحية وتاريخها. لذلك يبدو التبشير الجديد وكأنه رد الكنيسة على ظاهرة الإبتعاد والتخلى عن الإيمان بصورة متزايدة فى المجتمعات والثقافات الحديثة.

وفى الثانى من شهر مايو 2002 ، عند لقائه بالعاملين فى المجال الطبى، دعاهم إلى "تبشير جديد للآلام" ! وذلك بمناسبة لقائه بأعضاء "المجلس البابوى الرعوى لمجال الصحة" ، الذى كان آنذاك فى عامه السابع عشر من العمل التبشيرى من خلال المجال الطبى. وكان هذا اللقاء من أجل إعداد خطة خمسية للأعوام التالية، أى حتى سنة 2007 ، بعنوان : "وجه المسيح المتألم عظيم المجد"، إعتمادا على محورين أساسيين هما : إضفاء القداسة الكنسية على المجال الطبى؛ وتفعيل ثقافة الحياة فى مواجهة التطوير البيولوجى للطب. وهو ما وصفه بعبارة "تبشير جديد للألم".

وقد أوضح يوحنا بولس الثانى أن وجود المسيحيين فى المجال الطبى والمستشفيات ضرورى لمواجهة تحديات من قبيل "تناقص عدد الراهبات المرتبطات بهذا المجال ؛ والمهنة الصعبة للآباء الذين عليهم حضور ومباركة اللحظات الأخيرة للمرضى ؛ وصعوبة إنشاء فريق عمل داخل الكنائس المحلية وتنظيم تبشير مناسب وحاسم للعاملين فى هذا القطاع الذى لا تتفق ميوله دائما والتوجهات المسيحية" ..

ولقد استخدم يوحنا بولس الثانى عبارة "التبشير الجديد" منذ بداية توليه منصب البابوية حتى نهايته ، ودعى كافة المسيحيين والآباء إلى الدخول فى هذه المهمة الأساسية والتى يجب أن تحتل الصدارة فى كل مجالات الكنيسة ، بل لقد أوضح حين كان فى زيارة لبلدة هاييتى عام 1983 للتعريف بالتبشير الجديد: "أنه جديد فى حماسه ، وجديد فى أساليبه ، وجديد فى تعبيره".

ويرجع أساس إستخدام هذه العبارة فى الواقع إلى البابا بولس السادس حين كتبها فى خطابه الرسولى المعنون : "**تبشير الإنجيل**" (1975). وما أكثر إستخدام يوحنا بولس الثانى لهذه العبارة ، ففى خطابه الرسولى "**عشية الألف الثالثة**" ، فى البند 21 ، يقول : "إن الموضوع الأساسى هو التبشير، بل التبشير الجديد الذى نجد قواعده الأولى فى خطاب "**تبشير الإنجيل**" للبابا بولس السادس. وهو الموضوع الرئيسى لأى إجتماع بين الأساقفة. وكل هذه اللقاءات تتم وفقا لمفهوم المجمع الفاتيكانى الثانى، القائم بكله على ضرورة التبشير وتنصير العالم ، وأن أسس هذا التبشير وقواعده موجودة كلها فى الخطاب الرسولى للبابا بولس السادس الذى حول دفة الكنيسة إلى أن تكون مهمتها الأولى فى الألفية الجديدة مخصصة للتبشير الجديد القائم أساسا على فكرة الإمتصاص أو : إمتصاص هوية الآخر لإدخاله فى الهوية المسيحية".

ولقد كانت مساهمة يوحنا بولس الثانى فى "سينودس التبشير" المنعقد سنة 1974، أى قبل أن يترأس البابوية، وكان إسمه آنذاك الكاردينال كارول ڤويتيلا، وكانت الكنيسة تعانى من إنقسامات ما بعد المجمع الفاتيكان الثانى، فما كان منه إلا أن قدم مداخلة بعنوان "**الوثيقة الزرقاء**" ، حيث راح يؤكد فى بدايتها : "حين أسمع أو أعيد قراءة مداخلاتكم أخشى نسيان الإشارة إلى أحد هذه المعطيات الهامة والمعقدة حول ما نطلق عليه "التبشير" ، ومن المهم أن نجمع كل هذه الآراء وعدم الإكتفاء برصها متتالية، فكلها تكمل بعضها البعض، بحيث يجب جمعها للحصول على نص متكامل للتبشير يفى حاجة الكنيسة فى القارات الخمس" !

وكانت هذه الدراسة المسماة "**الوثيقة الزرقاء**" قائمة على فكرة الإمتصاص لإحتواء كل الخلافات بين الكنائس ومذاهبها وتكوين جبهة واحدة للتصدى للمد الإسلامى.

التأثير السياسى ليوحنا بولس الثانى :

من الصعب التحدث عن البابا يوحنا بولس الثانى دون التعرض لتأثيره السياسى وإنعكاساته خاصة على الكتلة الشرقية. فما قام به فى بولندا وفيما عُرف بالكتلة الشرقية لا يمكن إغفاله. فقد كان إنتخاب بابا من بولندا أحد نقاط إنجاح مخطط إقتلاع اليسار ، الذى ساهم فيه كل من الرئيس ريجان ومخابراته المركزية، والبابا يوحنا بولس الثانى بمؤسسته الكنسية، وميخائيل جورباتشوف ، رئيس الإتحاد السوفييتى آنذاك، كعميل من الداخل ..

وكان لإختيار البابا من بولندا أثره فى تدعيم حركة المعارضة بين الشباب هناك ضد النظام الشيوعى. وعند أول زيارة له فى بولندا سنة 1979 تسبب فى خلق العديد من المشاكل للسطة الحاكمة خاصة وأنه لم ينفصل أبداً عن رفاقه البولنديين. وفى مختلف البلدان التى زارها كان يطالب لبلده الأم بالحقوق الأساسية للدولة، وللمواطنين حرية التعبير وحرية التجمع. وعند عودته إلى روما أنشأ مكتبا خاصا بالتواصل مع الشعب الولندى ..

وفى أول يوليو 1980 إندلعت ثورة العمال فى مدينة جدانسك التى تألقت خلالها شخصية ليخ ڤاونسا كما تألقت قوة حزب "تضامن" (سوليدارنوشتش). وعندما قامت الحكومة بوقف هذا الحزب تدخل البابا يوحنا بولس الثانى منددا بأن ذلك يعد "مساساً بحقوق الإنسان" ! وبعودة الحزب إلى الأضواء أدرك البولنديون أن الكنيسة حليفتهم. وفى يونيو سنة 1983 عاد يوحنا بولس الثانى مرة ثانية إلى بولندا وقد كان الترتيب لهذه الزيارة من الضخامة فى جمع الجماهير والشباب بحيث كان لها انعكاس على أوروبا ما بعد الحرب، إذ وقف البابا وسط مليوناً من الشباب تم جمعهم من مختلف أنحاء بولندا بمختلف الإغراءات، ليعلن قائلا : "أن مستقبل بولندا والبولنديين يبدأ اليوم" !

وتوالت الأحداث بانعكاساتها على الإتحاد السوفييتى لتهز أركانه أيام رئاسة ميخائيل جورباتشوف ، الذى أعلن سنة 1992، سنة إنهيار الإتحاد السوفييتى رسميا معلنا : "لم يكن من الممكن لأى شئ مما حدث أن يتم فى أوروبا الشرقية خلال السنوات الماضية لولا وجود هذا البابا والدور الكبير الذى لعبه ، حتى سياسياً، على الصعيد العالمى" ..

ومن أشهر تدخلات يوحنا بولس الثانى السياسية الأدوار التى قام بها فى إفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وإسرائيل ، وقد كان أول بابا يقيم معها علاقات دبلوماسية فى 30 ديسمبر سنة 1993 ، وفى بلدان الخليج والشرق الأقصى وكوبا والبلقان .. كم تعد الخطب التى القاها فى الأمم المتحدة بنيويورك سنة 1979 وسنة 1996 ، وفى اليونسكو بباريس سنة 1980، وفى البرلمان الأوروبى فى ستراسبورج سنة 1088، مطالبا بحرية الأشخاص ،

معتبرا دوره كرئيس للكنيسة العالمية يمنحه السلطة الكاملة ليتحدث للمجتمعات الدولية فى مختلف المجالات الأخلاقية أو السياسية أو حتى الفلسفية !

وهنا لا بد من الإشارة إلى ما فعله عند زيارته للكيان الصهيونى المحتل لأرض فلسطين ، من 20 إلى 26 مارس سنة 2000 ، حيث زار النصب التذكارى للمحرقة ، ثم زار ما يطلقون عليه ظلما وعدوانا "حائط المبكى" ، فهو حقا وحقيقة حائط البراق ، ووقف "يعتذر ويطلب العفو باسم الكنيسة على كل الآلام التى تكبدها الشعب اليهودى بسببها" ..

" **<u>ذكريات وهوية</u>** " :

قبل رحيل البابا يوحنا بولس بأيام ، سنة 2005 ، صدر له كتاب بعنوان "**ذكريات وهوية**"، مكون من 217 صفحة ، تناول فيه ما أطلق عليه "محور الشر، النازية والشيوعية". والكتاب مكون من خمسة أجزاء ، ويعد بمثابة الوصية السياسية التى خلّفها لمن بعده. ومن أهم النقاط التى أكد عليها مسيحية أوروبا ، وجذورها المسيحية ، لاغيا بذلك ثمانية قرون من الإشعاع الإسلامى الذى قامت عليه حضارة أوروبا ونهضتها ، مستبعدا كافة المجالات العلمية التى أتى بها المسلمون ليتحدث عن الجذور المسيحية ، قائلا :

"بلدان أوروبا الغربية لها تراث مسيحى قديم : فهنا وصلت الثقافة المسيحية إلى ذروتها. شعوب بأسرها هى التى أثرت الكنيسة بعدد كبير من القديسين. وفى أوروبا الغربية ازدهرت أعمال فنية رائعة : الكاتدرائيات الرومية والقوطية ، وبازليكات عصر النهضة والباروك ، واللوحات للفنانين چيوتّو ، وفرا أنچليكو ، والعديد من الفنانين فى القرن الخامس عشر والسادس عشر ، وتماثيل مايكل أنچلو ، وقبة القديس بطرس فى الكاپللا سيستينا ، كما تولدت فيها العلوم اللاهوتية للقديس توما الأكوينى . فهنا تكونت قمم التراث المسيحى والأعمال الدينية لرجال ونساء فى البلدان الچرمانية (...). إن الملحمة التبشيرية الكبرى قد إستمدت منابعها من أوروبا الغربية ، واليوم تنبثق حركات رعوية رائعة وديناميكية لا بد وأن تأتى ثمارها. وبهذا المعنى يمكن أن نقول أن المسيح دوما هو "حجر الزاوية" لبناء ولإعادة بناء المجتمعات فى أوروبا الشرقية" (صفحات 62 و63) ..

ومن الطريف هنا أن نراه يغفل عصور الظلمات التى فرضتها الكنيسة ومحاكم التفتيش وقتل العلماء وكل من يأتى بمعلومة علمية تثبت ضحالة الأناجيل علميا أو تناقض ما بها من فريات.. وهنا تجدر الإشارة إلى إستشهاد يوحنا بولس الثانى بخطاب البابا بيوس الثانى عشر الذى ألقاه يوم 11 نوفمبر سنة 1948 أمام إتحاد الفدراليات الأوروبية فى روما. وهو خطاب يكشف كيف أن الكنيسة دائما أبدا تسعى إلى تنصير العالم وكيف إن الأحداث الكبرى فى التاريخ لا تفلت من

تدخلاتها. وفيما يلى جزئية كاشفة من خطاب يوحنا بولس الثانى يوم 24 مارس 2004 ، وارد فى مذكراته :

"بما إن الكرسى الرسولى يوجد فى أرض أوروبية ، فإن الكنيسة لها علاقات خاصة مع شعوب هذه القارة. لذلك ومنذ البداية ، ساهم الكرسى الرسولى فى عملية الإحتواء الأوروبية. فبعد رعب الحرب العالمية الثانية أشار البابا الراحل بيوس الثانى عشر إلى الإهتمام الشديد للكنيسة ، مؤيدا بشدة تكوين "إتحاد أوروبى"، موضحا أن مثل هذا التأكيد الصالح والدائم لمثل هذا الإتحاد يقتضى أن تكون مرجعيته المسيحية بمثابة عامل للهوية وللوحدة".

ولم يقل يوحنا بولس عبارة تكوين إتحاد أوروبى قائم على الهوية المسيحية مرة واحدة وإنما قررها الف مرة فى خطبه.. فقد تحدث عن ذلك خاصة فى خطابه المعنون "**كنيسة أوروبا**" ، حيث قام بتحليل الوضع الحالى لأوروبا منتقضا "إنحلالها وفقدانها لروحها لتباعدها عن روح الإنجيل وتعاليم المسيح. مما ترك الباب مفتوحا للجهل والشك والعدمية ، وبدأت تغرق .. إلا إن خلاصها من كل ذلك هو العودة إلى جذورها المسيحية".

<u>يوحنا بولس الثانى والإسلام</u> :

يعتبر البابا يوحنا بولس الثانى وثيقة "**فى زماننا هذا**" كأنها "الماجنا كارتا" التى تحدد ما يجب أن تكون عليه علاقة الكنيسة بالمسلمين. وتكفى مثل هذه العبارة لندرك أن موقف المؤسسة الكنسية من الإسلام واحد ولم يتغيّر أبدا، مهما تم تغليف العبارات أو مهما أبدوا من مواقف شكلية يفسرها البعض إيجابيا وهى أبعد ما تكون عن ذلك.

وقد كان ليوحنا بولس الثانى نفس الزلة المتعمدة لسب الإسلام، مثله مثل بنديكت السادس عشر الذى أتى بعده، وتعمّد سب الإسلام فى المحاضرة التى القاها فى راتسبون سنة 2006 ، متخفيا خلف إستشهاد لأحد القدماء. ونفس السيناريو قام به يوحنا بولس الثانى فى كتابه المعنون "**إدخلوا فى الرجاء**" الصادر فى منتصف شهر أكتوبر سنة 1994 ، ويقع فى 335 صفحة. وقد تناولنا الرد عليه آنذاك بكتاب "**الفاتيكان والإسلام**" (الطبعة الأولى 1995 ، والثانية 2005).

ونختتم هذه الجزئية عن يوحنا بولس والإسلام بإستشهاد يعد فى حد ذاته دليلا على لجوئهم إلى كل الوسائل الممكنة وغير الممكنة لمحاربة الإسلام والمسلمين :

"إن الكرسى الرسولى يسعى إلى التدخل لدى حكام الشعوب والمسؤلين عن مختلف المحافل الدولية ، أو الإنضمام إليهم بمحاورتهم ، أو إخضاعهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة" !

♦ وثيقة لجنة عقيدة الإيمان

فى الثالث من شهر ديسمبر 2007 أصدر الكاردينال ويليام ليڤادا ، رئيس لجنة عقيدة الإيمان ، محاكم التفتيش سابقا، بيانا عقائديا بعنوان : "**حول بعض ملامح التبشير**". والبيان مكون من عشر صفحات، ويتضمن مقدمة وعدة عناوين فرعية تشير إلى تضمينات إنسانية، ولاهوتية، ومتعلقة بتوحيد الكنائس، وخاتمة.

وتبدأ المقدمة بأن يسوع، الذى أرسله الآب ليبشر بالإنجيل ، يدعو كافة البشر إلى الإرتداد والدخول فى الإيمان، كما أوكل إلى الحواريين بعد بعثه أن يواصلوا مهمته التبشيرية. لذلك يشير الكاردينال ليڤادا إلى أن المسيح "من خلال الكنيسة يود اللحاق بكافة الأزمنة وكافة الأماكن وكافة الأوساط الإجتماعية ليصل إلى كل إنسان، ونتحول جميعا إلى قطيع واحد، له راعى واحد" !

ثم يوضح كيف قام الحواريون بدعوة كل البشر لتغيير حياتهم والإرتداد والإستعداد لتلقى التعميد، لأن الكنيسة الرحالة فى كل مكان ضرورية للخلاص، موضحا : "أن الرب يسوع المسيح موجود شخصيا فى كنيسته، ويتقدم أعمال المبشرين، ويرافقها ويثمر أعمالها. وأن ما حصل قديما يتواصل على مدى التاريخ".. وما حصل قديما هو التحريف والتغيير فى رسالة التوحيد وإغتيال كل من يعترض ، وتم فرض عصر الظلمات ومحاكم التفتيش وكل ما تغص به كتب التاريخ. وأن ذلك سيتكرر إن لم تتم عمليات الإرتداد الجماعى التى يعدون لها !

ويتواصل التاريخ حتى يصل إلى مطلع الألفية الثالثة، ويردد الكاردينال ليڤادا دعوة المسيح لبطرس وشقيقه أندريا أن يتقدم فى المياة العميقة ويلقى شباكه ليصطاد الأسماك، وكيف أن المسيح قد تنبأ له بعد ذلك بأنه سيصبح "صياد رجال".. وأنه ما على المبشرين الجدد إلا أن يصبحوا صيادو رجال ..

وفى البند رقم 2 من هذه المقدمة يوضح الكاردينال أن معنى كلمة "التبشير" شديدة الثراء : "فمن أوسع معانيها أنها تلخص كل عمل الكنيسة التى تقوم كل حياتها على التبشير بالإنجيل. وهذا الإنجيل هو قدرة الله على خلاص كل البشر، وبذلك يتحد كل شخص بالمسيح. ومن هنا يجب علينا فهم أن التبشير موجه إلى كافة البشر. وفى جميع الأحوال فإن التبشير لا يعنى فقط تعليم مذهب وإنما التبشير بيسوع بالكلمة وبالفعل، أى أن نتحول إلى أداة لوجوده وفعله فى العالم" ؛

"وإن كل إنسان من حقه أن يسمع النبأ السعيد لله، الذى يقوم بالتعريف بنفسه ويعطى نفسه ليسوع حتى يتم عمله. وهذا الحق الذى خوله الرب شخصيا لكل فرد لكى يمكن لكل إنسان رجلا كان أو إمرأة، أن يقول : ,, يسوع المسيح قد أحبنى وضحى بنفسه من أجلى‘‘. وهذا الحق يقابله ضرورة التبشير".

ويؤكد الكاردينال ليڤادا : "إن ذلك يوضح أن كل نشاط الكنيسة له بُعد أساسى هو مساعدة كل البشر على لقاء المسيح فى الإيمان، وهو الهدف الأول للتبشير. وأنه لا يمكن الفصل بين العمل الإجتماعى والتبشير". ثم ينتقد الكاردينال موقف البعض من الناس الذى يرى فى محاولة إقناع أى شخص بالإرتداد والدخول فى سر المسيح أن ذلك يمثل تدخلا فى مسائل شخصية أو يحد من حريته. وحيال هذه الإشكالية رأت لجنة عقيدة الإيمان أنه من الضرورى إصدار هذا البيان، معتبرين أن ما سبق وقدمه كلا من البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثانى أكثر من كاف لتوضيح معنى التبشير، وأن هذا البيان يهدف إلى توضيح بعض ملامح العلاقة بين المبشّر وإحترام الضمير وحرية العقيدة للجميع.

وفى الجزء المعنون "بعض التضمينات الإنسانية" يتم شرح أن الله قد أعطى البشر القدرة والذكاء الكافى للبحث والتمييز، وأن الحرية الإنسانية نوع من التحدى للإنسان على قدرته الإختيار السليم والتمييز بين الصواب والخطأ. وأن الروح القدس يعمل من خلال هذا الإختيار ليوجه الإنسان لتقبل حقيقة الإنجيل. ثم تسهب الوثيقة فى شرح خطأ إعتبار إن إقتراح تبديل العقيدة يعد تدخلا فى حرية الآخرين، مع توضيح أن هذا الموقف يؤدى إلى العدمية وإلى عدم إدراك ما فى العقائد الأخرى المختلفة من تناقض فيما بينها ! وأن من يعتمد على قدرته بمفرده للتمييز ويرفض تقبّل نصيحة أو إرشاد من يوجهه يعزل نفسه عن أن يتقبل الحقيقة..

ثم يشير إلى أن مجمع الفاتيكان الثانى قد أوضح "أنه يجب البحث عن الحقيقة بالإسلوب الذى يتفق والكرامة الإنسانية والطبيعة الإجتماعية، بالبحث الحر بفضل إرشاد وتوجيه رجل الكنيسة والحوار الذى يمكّن من أن يتبادلا الأراء للتوصل إلى الحقيقة (...) لذلك فأن نتوجه لمخاطبة ذكاء وحرية الفرد بصورة أمينة، ليلتقى بالمسيح وإنجيله، لا يُعد تدخلا وإنما هبة وخدمة تُمنح له لتجعل العلاقة بين البشر أكثر نفعا"..

وفى البند رقم 6 نطالع "أن التبشير هو فرصة ثراء لمن يتلقاه ولم يقوم به من خلال عملية الغرس الثقافى التى يقوم بها المبشر وتسمح له بالتعريف بسر المسيح وعالمية سر الكنيسة" ..

أما البند 8 فيوضح "أن التبشير يتضمن حوارا صادقا يحاول فهم مشاعر الطرف الآخر عن طريق المحبة والحوار الصادر من القلب. وذلك يقتضى مراعاة ظروف وآلام وآمال وتطلعات

من نخاطبه".. ثم تلفت الوثيقة نظر من يقومون بالتبشير وأنه أحيانا يصل الحوار إلى الأنانية والكذب، لذلك الكنيسة تمنع منعا باتا إجبار أى فرد على تقبّل الإيمان، لأن الهدف الأساسى من التبشير هو المحبة وخلاص كافة البشر.

وتتبارى الوثيقة فى الجزء الثالث منها ، المعنون "بعض التضمينات اللاهوتية" لتشرح كيف إن كلمة "تغيير العقيدة" أو "الإرتداد" قد أسئ فهمها ، وأنها فى المفهوم الكنسى تعنى : "تغيير العقيدة والتجديد المتواصل فى الفكر بغية مزيد من التوحد بالمسيح". وبما إن هدف المسيحية هو أن تقود كل الإنسانية إلى المسيح داخل الكنيسة، فذلك لا يعنى زيادة قوة الجماعة المتحكمة ، وإنما الدخول فى مجموعة صداقة المسيح الذى يربط السماء والأرض.. لأن الكنيسة هى أداة وجود الله وهى أداة الأنسنة الحقيقية للإنسان والعالم.

ثم يقول الكاردينال ليڤادا : "**أن البابا بنديكت 16 قد أوضح للعالم أن الكنيسة فى مجملها والرعاة بداخلها يجب أن يواصلوا العمل مثل المسيح، ويقودوا البشر خارج الصحراء إلى الحياة الحقة وإلى الصداقة مع إبن الله، مع من يمنحنا الحياة بكاملها. وهذا الإلتزام حق لا نقاش فيه وتعبير عن الحرية الدينية بكل أبعادها الأخلاقية والسياسية**".

وفى الجزء المتعلق بتوحيد الكنائس تتعرض الوثيقة لنقطة الخلافات بينها وأن المجمع الفاتيكانى الثانى قد أوضح أنها بمثابة فضيحة وتقف عقبة فى عملية تبشير الإنجيل. وإن مهمة جميع الأتباع هى العمل على التقارب بين الجميع بالحوار. ثم توضح أنه إذا طلب مسيحى غير كاثوليكى بكامل رغبته الدخول فى الكاثوليكية لا يجب حرمانه من ذلك وإنما مساعدته بكل إحترام !..

وتبدأ الخاتمة بعبارة : "أن الكنيسة لا يمكنها أن تقصّر فى رسالتها التبشيرية لأن الرب يسوع دائما معها كما وعد.. وأن حب المسيح يدفعنا لإستكمال تبشير إنجيله لكل العالم وفى كافة القطاعات الإجتماعية. وهذا يعد تحذيرا ودعوة لكافة أجيال المسيحيين لتفعيل حكم المسيح .. ويختتم البيان بمقولة البابا بنديكت 16 حين أعلن : "**أن التبشير بالإنجيل هو أول خدمة يمكن للمسيحيين أن يقدموها لكل إنسان وللبشرية جمعاء، والتعبير عن حب الله الذى يتجلّى فى المخلّص الوحيد للعالم ربنا يسوع المسيح**" .

ونلفت النظر إلى عبارة "وهذا يعد تحذيرا" ، التى يوجهها البابا بنديكت 16 إلى كافة المبشرين، أى إلى كافة المسيحيين لكى يعرفوا ما الذى ينتظرهم إن هم تخاذلوا أو تباطئوا فى عمليات التبشير.

♦ بنديكت 16 والتبشير الجديد

كان من المفترض أن يقوم الفاتيكان بالإعلان عن إنشاء **"مجلس بابوى جديد لتبشير أوروبا"،** إلا أنه أجله إلى ما بعد زيارة بنديكت 16 لجزيرة قبرص (من 4 الى 6 يونيو2010) ، التى قدم خلالها وثيقة عمل **"سينودس أساقفة الشرق الأوسط"،** الذى يهدف إلى إستخدام إمكانيات أوروبا السياسية وكل مؤسساتها المسيحية لتنصير المسلمين فى الشرق الأوسط.. وما أن تمت الإجراءات واستتبت الوسائل لتأخذ مجراها حتى تم الإعلان عن المجلس الجديد ، مع تغيير طفيف فى العنوان الذى أصبح **"المجلس البابوى لتفعيل التبشير الجديد" !!**

وقد أعلن عنه البابا، باسلوب طنان جدير بأحد قياصرة الرومان، أثناء الصلاة المسائية للقديسين بطرس وبولس يوم 28 يونيو 2010 قائلا : "لقد قررت إنشاء مجلس بابوى جديد تكون مهمته الأولى هى تنظيم تبشير جديد لأولى البلدان التى حصلت على الإيمان المسيحى والتى تعيش علمنة فى المجتمع وكأنه نوع من كسوف معنى الله" !.. ومما لا شك فيه أن البابا من حقه أن يعلن ما يحلو له على أتباعه ، لكن من الغريب أن نلحظ تغييرا فى العنوان واختفاء عبارة "تبشير أوروبا" التى تم تغييرها إلى عبارة معسولة تقول بأسلوب تفسيرى "من أجل تنشيط المسيحية فى الغرب" . وهو ما يعنى ليس أوروبا وحدها وإنما كل البلدان التى تلقت الإيمان المسيحي و ألحدت وغرقت فى العلمنة ..

ويرجع قرار تنصير العالم الى مجمع الفاتيكان الثانى (1965) ، وفى عام 1974 عقد البابا بولس السادس مجمعا للأساقفة حول تبشير العالم المعاصر تبعه بخطاب رسولى بعنوان **"تبشير الإنجيل"**. ثم أشار بنديكت 16 إلى البابا يوحنا بولس الثانى قائلا أنه كان بشخصه يمثل عملية التبشير الكنسية بكثرة أسفاره وبإصراره على إيجاد وسائل جديدة للتبشير، قائلا : "مما لا شك فيه أنه قد أعطى دفعة قوية للتبشير ، ليس فقط بكثرة تنقلاته وإنما بعمق روح التبشير التى ورثتها أنا منه فى مطلع هذه الألفية".. لذلك أضاف قائلا : "بإتخاذى هذا الميراث ، قلت فى بداية مهمتى البابوية أن الكنيسة شابة ومنفتحة على المستقبل. وأكررها اليوم، أمام مقبرة بولس : إن الكنيسة تمثل أداة شاسعة للتجديد فى العالم ، ليس بقوتها الذاتية وإنما بقوة الإنجيل".

ثم راح يشير إلى أن المجازفات الحالية تتعدى الإمكانيات البشرية مؤكدا : "أنه فيما وراء الجوع المادى يوجد الجوع الأعمق الذى لا يمكن أن يسده إلا الله. إذ أن إنسان الألفية الثالثة الذى يتطلع إلى حياة أصيلة وثرية ، بحاجة الى الحقيقة والحرية والحب المعطاء, ففى صحراء

عالم أصابته العلمنة إن الروح البشرية متعطشة الى الإله الحىّ . وتوجد مناطق فى العالم لا تزال تنتظر أن يتم تبشيرها لأول مرة ، بينما توجد مناطق أخرى بحاجة إلى تبشير عميق . وبعض البلدان ذات التراث القديم المسيحى تخضع منذ عدة قرون وبأساليب مختفة لمنهج العولمة الذى نجم عنه خسارة كبيرة لمعنى الإيمان والإنتماء الكنسى". ولعله من المفيد التعليق على أهم المعطيات التى قمنا بالتسطير تحتها وهى :

* الحاجة الى الحقيقة والحرية والحب المعطاء : فحينما يكون المرء مدركاً بمثل هذه الثقة بحاجة الناس إلى الحقيقة والحرية والحب المعطاء ، فلا يحق له أن يفرض عليهم نصوصا مكوّنة من التزوير والتحريف المتراكم عبر العصور ، ولا يحق له محاصرتهم بمؤسسات التبشير وبجماعات من مختلف الأشكال والأعمار ، حتى بفِرقٍ من الأطفال المبشّرين ، لتنصيرهم قهرا بأى وسيلة وبأى ثمن بزعم الحب المعطاء !

* وتوجد مناطق في العالم لا تزال تنتظر أن يتم تبشيرها لأول مرة : ليس من الضرورى أن يكون القارئ شديد الذكاء ليدرك أن المقصود بهذه العبارة هم المسلمون الذين يبلغ تعدادهم أكثر من مليار ونصف من المؤمنين، الذين يرفضون تماما عملية تأليه السيد المسيح التى تمت عام 325 م ، كما يرفضون فكرة الثالوث والشرك بالله عز وجل . وهنا لا بد من توضيح حقيقة هامة لذلك البابا، وهى : إن المسلمين لا يرفضون السيد المسيح وإنما يؤمنون به كأحد الأنبياء، ويؤمنون بنبوّته ، وإلا لما كمل إسلامهم : وذلك منصوص عليه فى القرآن الكريم بوضوح شديد. فيسوع إنسان نبىّ كما يقول هو عن نفسه فى الأناجيل، ويفرق تماماً بينه وبين الله سبحانه وتعالى ، (وليقرأ الأناجيل من يود التأكد وخاصة تلك الأرقام التى افلتت من الرقابة بعد تأليهه ولا تزال موجودة). لذلك نكرر أنه لا يحق لأى إنسان إقتلاع المليار والنصف من المسلمين المؤمنون بالتوحيد الصافى ليفرض عليهم نصوصا و عقيدة ثابت تحريفها بكل المقاييس .

* بعض البلدان ذات التراث القديم المسيحى(...) تخضع للعولمة التى نجم عنها خسارة كبيرة لمعنى الإيمان والإنتماء الكنسى : من الواضح أن المعنى بهذه العبارة هى بلدان أوروبا وغيرها فى الأمريكاتين ، وأنه قد تم تغيير اسم المجلس البابوى الذى كان مقترحا لكى لا يثير غضب العديد من الأتباع الذين بدأوا مغادرة الكنيسة منذ ما قبل عصر التنوير بكثير وفقدوا ثقتهم فيها من كثرة ما فرضته من تغيير وتحريف وتبديل منذ نشأتها وحتى يومنا هذا . وكان من الأكرم أن يتم التساؤل عن سبب هذه الهجرة والإبتعاد عن الكنيسة ، ولن نكف عن الإشارة إلى معهد ويستار (Westar)، لشدة ما يقومون به من تعتيم عليه ، وإلى أبحاثه العلمية التى أجراها أكثر من 200 عالم متخصص فى اللاهوت واللغويات وغيرها من العلوم

ليخرجوا بنتيجة أن 82 % من الأقوال المنسوبة إلى يسوع لم ينطقها ، وإن 86 % من الأعمال المسندة إليه لم يقم بها . ولا نقول شيئا عن الأبحاث التى تدور حول يسوع التاريخى ويسوع الأسطورى ويسوع المكونة سيرته من خليط من المتناقضات لتدعيم مكانة مؤسسة تنعم بلا حدود بإمكانيات لا حصر لها ولا علاقة لها بالرحمة أو بحب القريب من أجل السلطة.

وهنا لا بد من الإشارة الى مؤسستين من المفترض أن لهما نفس المهمة : **"لجنة تنصير الشعوب"** التى تم إنشاءها فى مجمع الفاتيكان الثانى ، و**"المجلس البابوى للتبشير الجديد"** . فالأولى مسئولة عن إدارة وتنسيق عملية التبشير فى العالم أجمع ، وهدفها الأساس هو قيادة الكنائس الشابة الموجودة فى بلدان حديثة التنصير أو ضعيفة الكيان ومطلوب مساندتها ، وهو ما يعنى ضمنا التدخل فى الشئون الداخلية للبلدان المسلمة أو غير المسيحية. وكذلك فهى تقوم بتنظيم وجود وعمل المبشرين فى العالم ، وتقدم للبابا أسماء المرشحين للكيان الكنسى ، ومسئولة عن تكوين الإكليروس المحلى والرعاة.. أما اللجنة الثانية أو الحديثة التكوين فمن المفترض أنها تقوم بنفس المهام .. فهل ستكون هناك منافسة بينهما أم أن ذلك سيؤدى إلى إلغاء الأولى ؟ من السابق لأوانه التنبؤ بهذا التغيير إلا أن المؤسسة الأولى قد تمت إدانتها حديثا باختلاسات مالية أدت إلى عزل رئيسها وكان بدرجة الكاردينال ، إضافة إلى التهمة المتزايدة الإيقاع بالإعتداءات الجنسية.

وفى نهاية هذا العرض الخاطف حول **"المجلس البابوى الجديد لتفعيل التبشير الجديد"** ، من المهم الإشارة إلى جملة أخيرة حول تقديم بنديكت 16 لهذا المجلس قائلا : "هذه المذكرة تهدف إلى أن نُذكر الجميع بهوية وقيمة ومعنى مؤسسة حيوية بالنسبة للكرسى الرسولى وللكنيسة الكاثوليكية بأسرها، كما أنها استجابة للأمر الصادر عن يسوع والقائل : "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مرقص 16 : 15) !

وهنا لن نكل أيضا من تكرار معلومة أن هذه الجملة أو هذا الرقم تحديدا من عمليات التزوير التى تذخر بها نصوص الأناجيل والتى لم تكن مكتوبة أيام يسوع عليه السلام ، إذ أن أولى محاولات كتابتها ترجع الى أكثر من خمسين عاما بعد صلبه ، كما تقول المؤسسة الكنسية. ثم إن نفس هذه الجملة أو هذا الرقم من إنجيل مرقص لا يوجد فى أقدم نص كامل محفوظ للعهد الجديد بصيغته الكاملة والمعروف باسم **"مخطوطة سيناء"** أو **"Codex Sinaiticus"** التى ينتهى فيها الإصحاح 16 من إنجيل مرقص عند الرقم 8 وليس عند الرقم 20 الحالى .. وهو ما يعنى أن الأرقام من 9 الى 20 هى إضافة لاحقة ! ونفس هذه المخطوطة تتضمن 14800 إختلافا عن العهد الجديد المتداول حاليا بين الأتباع. ومنها أنها لا تذكر شيئا عن مريم ، ولا عن مذبحة الأطفال التى أمر بها الملك هيرود ، كما لا تذكر شيئا عن بعث يسوع ولا عن

صعوده إلى السماء. وكل هذه الأجزاء الناقصة من مخطوطة سيناء تنقص أيضا من مخطوطة الإسكندرية، ومن مخطوطة الفاتيكان، ومن مخطوطة بيزاى، ومن مخطوطة لاتينية قديمة لإنجيل مرقص يشير إليها العلماء بحرف "K". ورغمها أصرّت المؤسسة الكنسية على عمليات التحريف التى تمت حول بعث يسوع وجعلت منها القاعدة الأساسية لعقيدة المسيحية الحالية !

ولا يحق لأحد أن ينتزع المسلمين من عقيدتهم الراسخة خاصة من أجل بضعة نصوص ثابت ومعروف أنها مزيفة.. فما من إنسان يجهل أن المسيحية الأولى لم تنزّل إلا حينما حاد اليهود عن رسالة التوحيد وعادوا لعبادة العجل وقتل الأنبياء ، فأتى عيسى ، عليه السلام ، كما قال : " لم أُرسل إلا من أجل خراف بيت إسرائيل الضالة " (متى 15 : 24). وحينما حادت الكنيسة عن رسالة التوحيد وغاصت فى الشرك بالله بتأليه يسوع فى مجمع نيقية عام 325 ، ثم باختلاق بدعة الثالوث ، تنزّل الإسلام على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين، و ليعيد هذه الخراف الضالة الى رسالة التوحيد الصافى . ترى هل من الصعب إدراك ذلك الذى حدث باختصار ؟ فهو تاريخ مُعاش والنصوص واضحة ، خاصة القرآن الكريم الذى لم يتبدل منه حرفا واحدا وسيحفظه الله عز و جل كما وعد الى يوم الدين ...

* رابط مخطوطة سيناء لمن يود الإطلاع عليها : http://codexsinaiticus.org

وفى كتاب بعنوان : **"الله قد عاد : التبشير الجديد فى فرنسا"** ، يقول الكاتب جان باتيست مايار : "إن كانت راية التبشير الجديد قد فجّرت طاقات الآلاف من الكاثوليك، فقد ضايقت الآخرين الذين كانوا يخشون الإعلان عن الدين بهذه الجرأة، لكن من الواضح أنها إرادة إسترداد الكاثوليكية وعودة إلى الإلتزام الكنسى" !..

واختيار عبارة "استرداد" هنا تعود بالقارئ تلقائيا إلى حروب الإسترداد وطرد المسلمين من إسبانيا .. وكأن الكاتب أيضا يرى هنا، وفيما يقوم به الفاتيكان، محاولة جديدة لإعادة بعض مراحل تاريخه الدامى وغير الأمين بأساليب عصرية. كما يوضح بعد ذلك أنه كثيرا ما تم تقديم التبشير الجديد على أنه : "نقيض لعملية دفن الإيمان أو تذويبه (...) فالإتجاه الرعوى الآن أشبه ما يكون بوضع الخميرة فى العجين، فى عالم كان لا بد من إعادة الإتصال به عن طريق الحوار بين الكنيسة والمجتمع الحديث الذى كان بحاجة إلى إعداد طويل حتى تعود الثقة من جديد بين جميع الأطراف" ..

وعبارة "عملية دفن الإيمان" إشارة حقيقية لما كان يقوم به معظم الأتباع، قبل مجمع الفاتيكان الثانى، خجلا وإحراجاً مما تكشف فى عقيدتهم، وفى نفس الوقت يخشون عاقبة الإنسحاب منها ومن كنيستها. فكانوا يلتزمون الصمت.. أما بعد ذلك التاريخ الفاصل لفاتيكان 2 ، فقد تم

تسريب وفرض بدعة إرتداء الصليب حتى فى مجال موضة الأزياء الحريمى، وعلى صدور ممثلات السينما، وغيرها من المجالات الدعائية !

الفصل السادس

أهداف مستقبلية

رأينا فى كل ما تقدم من فصول كيف أن الهدف الرئيسى للفاتيكان هو تنصير العالم، وأن هذا القرار ليس مجرد إستنتاج وتهيوءات، وإنما هو قرار معلن بوضوح فى مجمع الفاتيكان الثانى وفى كل ما تمخض عنه من قرارات ووثائق .. وحتى إذا ما كان هذا الهدف يمارس منذ أن إستتب الوضع للمسيحية فى القرن الرابع الميلادى، فكان ذلك يتم فى تكتم شديد وبطرق ملتوية ومستترة ، حتى فى الحروب الصليبية نفسها، إذ ما كان يعلنه هو : "حماية الحجاج المسيحيين الذاهبين إلى بيت المقدس من الغزاة العرب الذين يعترضون طريقهم" .. أما منذ عام 1965 ، عند إنتهاء أعمال المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى فقد تبدل الموقف كلية ليتم الإعلان بوضوح وبلا مواربة فى كل النصوص التى أصدرها عن ضرورة تنصير العالم. بل لقد أعلنها البابا يوحنا بولس الثانى علناً حينما ذهب إلى مدينة شانت يقب، فى إسبانيا، سنة 1982 ، وقال جملته الشهيرة "لا بد من إعادة تنصير العالم" (la réévangélisation du monde)– وكأن العالم كان بأسره مسيحيا وألحد وعليه أن يعود إلى نصرانيته ! وحينما احتج البعض على مردود العبارة صوبها بعد ذلك مؤكدا على "ضرورة تنصير العالم" وهى العبارة المستخدمة منذ ذلك اليوم وحتى الآن : (l’évangélisation du monde).

وفى يوم 14 سبتمبر 1965 ، وهو آخر يوم لأعمال المجمع، أعلن البابا بولس السادس عن تكوين سينودس الأساقفة قائلا : "يسعدنى أن أتقاسم معكم فرحة الإعلان عن إنشاء سينودس أساقفة، وفقا لمطلب المجمع، وسيكون كل أعضاؤه من الأساقفة، وينعقد بناء على طلب من البابا لإبداء الرأى والتعاون عندما يكون ذلك مهما لصالح الكنيسة".

وسينودس الأساقفة عبارة عن مؤسسة دائمة للكنيسة الكاثوليكية، وهو كيان إستشارى، مكون من مختلف الأساقفة الممثلين لكل الأسقفيات فى العالم، ومن الإدارات القانونية المعنية ببحث المسائل الحيوية لحياة الكنيسة والمجتمعات المدنية كالمجالس البابوية. ومهمة هذا السينودس هو النصح، وله أيضا حق المداولة حينما يمنحه البابا هذا الحق ؛ وأن يكون بمثابة حلقة إتصال

وتعاون بين البابا وكافة أساقفة العالم ؛ وأن يقوم بالتبليغ عن أى معلومة مباشرة حول المواقف والمسائل المتعلقة بالحياة الداخلية للكنيسة والعمل الذى يجب ان تقوم به فى عالم اليوم ؛ وتسهيل توافق وجهات النظر على الأقل فى النقاط الأساسية للعقيدة وحول النوعيات الحياتية للكنيسة. أى أنه أشبه ما يكون بجهاز إستخبارات عالمى خاص بالبابا.

وإنشاء هذا السينودس يعد من المخالفات التى اقترفها مجمع الفاتيكان الثانى والتى إعترض عليها الأسقف لوفڤر وغيره من الأساقفة، على أنها تمس وتناقض فكرة وظيفة البابا لأنه "يمثل الله على الأرض ومندوب له" فى العرف الكنسى .. أى أن سلطته مطلقة منزّلة، فهو معصوم من الخطأ بناء على مجمع الفاتيكان الأول ، فكيف يكون له مجلسا يعاونه على أداء وظيفته ؟!

وسينودس الأساقفة يجتمع تحت ثلاثة أشكال : الجمعيات العامة العادية ؛ الجمعيات العامة غير العادية ؛ والجمعيات الخاصة. والموضوعات التى يناقشها يجب أن تكون ذات طابع عالمى ؛ وأن يكون الموضوع متعلق بالظروف الآنية ؛ وأن تكون الموضوعات ذات رؤية وتطبيق رعوى وعقائدى ؛ وأن يكون الموضوع قابلا للتنفيذ فعلا. وتدور أعماله على ثلاثة مراحل : فى المرحلة الأولى يقوم كل أسقف بتقديم الموقف الخاص بكنيسته ومنطقته من بلده، ثم يتم تقسيم الأساقفة إلى مجموعات لغويا لتدارس المقترحات ، ثم يتم إعداد المقترحات والرسالة النهائية فى شكل الخطوط العريضة التى تتم دراستها. وبعد عدة أشهر من الدراسة يقوم البابا بإصدار خطابه الرسولى والذى يقدم بمقتضاه ما يسمى "الليناينامنتى" (Lineamente)، أى الخطوط العريضة التى سيقوم السينودس بمناقشتها عمليا. وبعد هذه المناقشات التى قد تمتد قرابة الشهر يتم إرسال ما تم الإجماع عليه إلى البابا الذى يقوم بعد ذلك بإصدار خطاب رسولى بالقرارات التى يريد إصدارها. وفى نهاية كل سينودس يتم إختيار إثنى عشرة عضوا، وثلاثة بإختيار البابا، وتكون مهمتهم الإعداد للسينودس التالى.

وفيما يلى الموضوعات التى إنعقدت الجمعية العامة لدراستها : "الحفاظ على الإيمان الكاثوليكى وتدعيم حيويته وإنتشاره وتناسقه العقائدى والتاريخى" (1967) ؛ "رجال اللاهوت والعدالة فى العالم" (1971) ؛ "التبشير فى العصر الحديث" (1974) ؛ "التعليم الدينى فى زماننا" (1977) ؛ "الأسرة المسيحية" (1980) ؛ "المصالحة والتوبة فى رسالة الكنيسة" (1983) ؛ "رسالة ودور العلمانيين فى الكنيسة وفى العالم" (1987) ؛ "تكوين الأساقفة فى الظروف الحالية" (1990) ؛ "الحياة المكرسة ورسالتها فى الكنيسة وفى العالم" (1994) ؛

"الأسقف خادم إنجيل يسوع المسيح من أجل أمل العالم" (2001) ؛ "القربان منبع وقمة الحياة ورسالة الكنيسة" (2005) ؛ "كلمة الله فى الحياة وفى رسالة الكنيسة" (2008). والسينودس المقبل بعنوان "التبشير الجديد لنشر العقيدة المسيحية" (2012) ، وذلك بمناسبة الإحتفال بمرور خمسين عاما على بداية أعمال المجمع الفاتيكانى الثانى (1962-1065)..

أما الجمعيات العامة غير العادية المنعقدة فكانت إثنتان، موضوع الأولى : "التعاون بين الكرسى الرسولى والمؤتمرات الأسقفية" (1969) ؛ والثانية : "بمناسبة مرور عشرين عاما على إنتهاء مجمع الفاتيكان الثانى" (1985).

بينما كان للجمعيات الخاصة لقاءات أخرى، فكان هناك إجتماع واحد بدرجة سينودس خاص بهولندا، بعنوان: "الموقف الرعوى فى هولندا" (1980) ، وذلك بمناسبة إلغاء الكنيسة الهولندية إستخدام فكرة وعبارة "الثالوث" من الصلوات والكتابات لعدم تمشيها مع المنطق ولرفض الأتباع لها. أما باقى الإجتماعات الخاصة فكانت : جمعية خاصة بأوروبا بعنوان "لنكون شهداء للمسيح الذى حررنا" (1991) ؛ وأول جمعية خاصة بإفريقيا بعنوان "الكنيسة فى إفريقيا ورسالتها التبشيرية تجاه سنة 2000" (1994) ؛ وجمعية خاصة بلبنان بعنوان : "المسيح أملنا ونحن نتجدد بروحه ومتضامنين معه وشهداء لحبه" (1995)؛ وجمعية خاصة بأمريكا بعنوان : "لقاء يسوع المسيح الحىّ طريق للإرتداد والتضامن مع أمريكا" (1997) ؛ وجمعية خاصة بآسيا بعنوان : "يسوع المسيح المنقذ ورسالة محبته فى خدمة آسيا" (1998)؛ وجمعية خاصة بأوقيانيا بعنوان : "يسوع المسيح وشعوب أوقيانيا ، إتباع خطاه والإعلان عن حقيقته وإتّباع حياته" (1998) ؛ ثم ثانى جمعية خاصة بأوروبا بعنوان: "يسوع الحىّ فى كنيسته، منبع آمال أوروبا" (1999)؛ وثانى جمعية خاصة بإفريقيا بعنوان: "الكنيسة فى إفريقيا لخدمة المصالحة والسلام" (2009)؛ وجمعية خاصة بالشرق الأوسط بعنوان : "الكنيسة الكاثوليكية فى الشرق الأوسط ، تضامن وشهادة" (2010).

ومن يقوم بربط هذه التواريخ بتواريخ الأحداث السياسية والإجتماعية التى واكبتها سيدرك حقيقة الغرض من القيام بهذه الإجتماعات وحقيقة إنعكاساتها، خاصة على وضع الإسلام والمسلمين. وفيما يلى تحليل موجز للجمعية المنعقدة بشأن إفريقيا، وآخر متعلق بمحتوى سينودس الجمعية الخاصة بالشرق الأوسط المنعقد سنة 2010 وما تمخض عنه ..

♦ تنصير إفريقيا ..

لقد إنعقدت الجمعية الثانية الخاصة بأفريقيا فى الفاتيكان ، من 4 إلى 25 أكتوبر 2009، تحت عنوان **"الكنيسة فى أفريقيا ، لخدمة المصالحة والسلام"**. وقد حضره حوالى 250 أسقفا لمناقشة قضايا القارة ، وهى واحدة من أكثر القارات تعرضا للحروب ، والفقر ، وتوابع الإستعمار وما بعد الإستعمار. فالمعروف أن الشعوب الإفريقية ضحايا إدارة عامة فاسدة ، بسبب السلطات المحلية التابعة للغرب ، وخاصة خضوعها لأسوأ أنواع الإستغلال من القوى الإستعمارية الخارجية.. ويبقى معرفة التوجهات الحقيقية لهذه الجمعية ومخططاتها.

يدفعنا عنوان هذه الجمعية إلى التساؤل حول معنى كلمة "مصالحة" وما هو المقصود منها ؟ مصالحة من ؟ وماذا **؟!** فعلى الصعيد الإفريقى ، إن كافة الحروب التى تدار على أرضها ترجع خيوطها إلى أولئك الذين يحركون اللعبة فى العالم، إلى قادة الغرب المتعصب ، الإستعمارى، المغتصِب ، الذى يلجأ إلى أعوانه المحليين ليقود لعبته. وهى قائمة على تجويع الأفارقة وإنتزاع كنوزهم. فهل المقصود مصالحة كافة أطراف القادة المحتالون ليقوموا بلعبة أكثر دقة لقهر وإجبار الأفارقة على مزيد من التنازلات ؟ إن إختلاق الحروب المحلية بين الشعوب باتت لعبة تقليدية ، ولا نذكر على سبيل المثال سوى إختلاق مشكلة البربر فى الجزائر لتقسيم البلاد ؛ وحرب دارفور ، حيث معظم سكانها من حفظة القرآن الكريم ؛ ولا نقول شيئا عما يتم حياكته حاليا مع الأقليات المسيحية فى البلدان ذات الأغلبية المسلمة لإختلاق الفتن والقلاقل مثلما يدور فى السودان، ومصر وغيرها من البلدان. فأية مصالحة يقصدون **؟!**

وعلى الصعيد الكنسى ، عن أية مصالحة يمكن أن نتحدث ؟ إن كافة الكنائس وقد تعدى عددها الثلاثمائة كنيسة ، كلها أعضاء فى مجلس الكنائس العالمى، تتسابق بعتهٍ محموم لتنصير العالم .. فهل المقصود بالمصالحة ضم كل هؤلاء المنشقون عقائديا لإختلاق الكنيسة العالمية التى يسعى إليها بابا روما شريطة أن تكون تحت لواءه ؟ أم هى مصالحة للتغنى بعملية تنصير واحدة ، لمزيد من إعتصار الشعوب الإفريقية والقيام بفرض عملية غرس ثقافى لا إنسانية ، والتوغل أكثر

لإقتلاع أحشاؤها والعمل على إبادتهم ؟ إن الدور المشين الذى لعبته الكنيسة وتدخلها الإجرامى فى رواندا ، حيث قام بعض الآباء والراهبات بإشعال الحرائق فى هناجر مكدسة بالأفارقة الفارين من ويلات الحرب، لم تنسى بعد ! ولا نقول شيئا عن الدور المشين الآخر لموقف الكنيسة من العازل الطبى الذى تسبب عدم السماح به فى قتل آلاف من الأفارقة المصابين بالإيدز. فما المقصود إذن بالمصالحة هنا ؟ مزيد من القتلة الإجراميين مشعلى الحرائق، أم مزيد من الإستعمار الجديد ؟

أما على صعيد الحرب التى يقودها الفاتيكان ضد الإسلام ، فما من إنسان يجهل اليوم الهَوَس الذى يقود به مسيرته لإقتلاع الإسلام ، وقد شبهتها جريدة لوموند الفرنسية بعبارة "أنه يسير على الإسلام بوابور ظلط" ! وما من إنسان يجهل الوسائل التى أعدها الفاتيكان للإسراع بذلك الإقتلاع. فهى ترسانة يمتد عتادها بدءاً من رجال الكنيسة إلى كافة العلمانيين ، مروراً بعدد لا يحصى من البعثات التنصيرية ، والمنظمات ، والمؤسسات ، ووسائل الإعلام ، والإنترنت ، ورجال السياسة، والسياح ، إختصاراً ورسمياً : ما من مسيحى معفى من المساهمة فى عملية التنصير التى فرضها مجمع الفاتيكان الثانى (1965) على كافة الأتباع. بل لقد وصل العَتَه إلى تكوين فرق مبشرين من الشباب ومن الأطفال !! أما التقنيات الحديثة فلم يتم إستثناءها وجميعها تحت إمرة البابا ، من أجل تنمية ثقافة تبشيرية تنصيرية وفرض ما يطلق عليه "الكلمة الوحيدة التى يمكنها إنقاذ البشر، وهى الأناجيل". فهل ينوى البابا أخيراً أن يقوم بمصالحة بين العقل والإيمان ويقر أنه من حق هؤلاء المسلمين الذين يحاول إقتلاعهم من دينهم ، من حقهم أن يحيوا ويتمسكوا بدينهم ؟! وياله من إفتراض لمصالحة لا تتمشى مطلقا مع هيستريا تنصير العالم التى يقودها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أعمال معهد وستار ، فى الولايات المتحدة ، الذى أقام " ندوة عيسى" ، حيث إجتمع أكثر من مائتى عالم متخصص فى النصوص الإنجيلية ، لمدة سنوات (من 1985 إلى1991 فى أول مرحلة ، ثم من 1991 إلى 1996) ، خرجوا بعدها بيقين أن 82 % من الأقوال المنسوبة ليسوع لم يتفوه بها ، وأن 86 % من الأعمال المنسوبة إليه لم يقم بها . فمن يتمسك بمثل تلك النصوص الثابت تحريفها لا يحق له بأى حال محاولة تخريب القرآن ، الذى هو كلام الله عز وجل ، والذى ظل محفوظا منذ تنزيله حتى يومنا هذا ، لكى يفرض عقائد تم نسجها عبر المجامع على مر العصور.

وتكفى الإشارة هنا إلى كل الجهود المنبتة التى تقوم بها المؤسسة الكنسية منذ قرون ، لتحريف نص القرآن .. فمن ناحية ، نرى جهود مستميتة لإقتلاع اللغة العربية ؛ ومن ناحية أخرى، المطالبة بتطبيق إستخدام المناهج الألسنية الحديثة الغربية، التى توصلوا إليها، على نص القرآن، دون الأخذ فى الإعتبار بأنه لا يجوز تطبيق قواعد أجرومية لغة غربية على نص باللغة العربية !.فهل هناك من ضرورة لتوضيح أن كل ما توصل إليه الغرب فى هذا المجال فى اللغويات له علاقة مباشرة باللغات التى أصلها لاتينى ، بينما اللغة العربية فهى من اللغات السامية. فكيف يمكن السماح بمثل هذا الشطط إن لم يكن الهدف هو التخريب المتعمد ، ولا نذكر هنا إلا الأبحاث التى يقوم بها أحد المعاهد البابوية وإسمه "الواحة" لتخريب النص القرآنى ، وللآسف يعاونهم بعض المسلمين الذين هان عليهم دينهم ، وما أكثر ما نشروه من أبحاث ..

وهكذا ، فإن مجرد العنوان يكشف أن هذه الجمعية قد إجتمعت لأسباب أخرى تماما غير تلك "المصالحة" المزعومة ، ولا أقول شيئا عن كلمة "السلام". فأى سلام يمكن أن يقام حينما يكون ما نواجهه عبارة عن هجمة شبيهة بحرب الإسترداد ونهب الأندلس ، وعملية إستعمار جديدة باسم الدين ؟!.

وسرعان ما يأتينا الرد حول الهدف الحقيقى من إنعقاد هذه الجمعية فمن المؤسف أن نطالع يوم 27 أكتوبر 2009 على أحد مواقع الفاتيكان ،أن الآباء المجتمعين قد قاموا فى نهاية الجمعية " **بتوجيه الشكر لله على وفرة الموارد الطبيعية الموجودة فى إفريقيا " !** ولا نفهم ما دخل "الموارد الطبيعية" هنا فى إجتماع كنسى ؟ ويا له من شكر يكشف عما وراءه ، بما أن ما يتكشف ليس إلا هدف إقتصادى سياسى لتلك الجمعية "الدينية" التى إجتمعت من أجله . إذ نطالع بوضوح : "أن الموارد المعدنية الإفريقية تساوى 46200 مليار دولار" .. وأنه بما قيمته "12 % من هذا المبلغ يمكن لإفريقيا أن تقوم بتمويل بنية تحتية على المستوى الأوروبى " .وهو ما يكشف بوضوح عن الهدف غير المعلن تحت ذلك العنوان الكاذب ، لأن الأمر لا يتعلق إلا بكيفية إلتهام هذه الفريسة الدسمة !

ونطالع فى بحث أجراه داود بيلار D. Beylard ، رجل الإقتصاد الكنغولى ، فى مجلة **"إفريقيات"** (وهى مجلة إقتصادية لكل إفريقيا) يتضح أن مجمل الثروات الإفريقية يصل إلى ستة وأربعين

مليار ومائتين مليون دولار، إذ يقول : "إن القيمة المالية للمناجم الإفريقية فى المواد الخام الأولية التى تم إكتشافها للآن يصل إلى 46.200 مليار دولار ! لماذا إذن لا تفلح إفريقيا فى الإستفادة من مثل هذه الثروات التى تفوق ثلاثة عشر مرة العائد السنوى للصين ؟ إنها ثروة تكفى بكثير لتحويل القارة الإفريقية إلى واحدة من القوى العظمى فى العالم ". وهذا التقصير فى تنمية إفريقيا فى مجمله، هو النموذج الإقتصادى القائم على تمويل إستثمارى ، يجيد الغرب العنصرى المغتصِب كيف يقوده. وها هو مثال آخر يقدمه نفس الباحث :

"هناك شركات مناجم بلا إمكانيات معقولة، وأحيانا بلا عاملين ولا مكاتب ، تتبع شركات مساهمة مجهولة، مقيدة فى السجلات الضريبية ، وتتصل بفضل الوعود والإستعراضات إلى إقناع الحكومات الإفريقية بأن تسند إليها تنازلات منجمية ضخمة لإستغلالها. وما أن يتم الحصول على العقد ، فإن هذه الشركات تسارع على تمويل شحيح، عادة ما يكون من كندا ، لإضفاء قيمة على الأسهم الإفريقية وأخذ أرباح بفائض قيمة ضخم قبل حتى أن يتم رفع جرام واحد من أرض المناجم التى حصلوا على حق إستغلالها".

وهو ما يعنى عمليا، أنهم يختلقون ثروة بضمان الموارد الإفريقية ، دون أن تكون هذه الموارد قد تم إستغلالها فعلا، والأدهى من ذلك ، دون أن تأتى بأية أرباح للملاك الحقيقيين، الأفارقة، أصحاب الحق المهضوم. ويا له من موقف فاضح خاصة حين نفكر فى أن نظام التمويل الدولى مصاص الدماء ، العنصرى، يستمر فى مطالبة الأفارقة بدفع الأرباح المركبة للديون التى يتورطون فيها عن طريق صندوق النقد الدولى !.

وإضافة إلى ما تقدم ننقل ذلك الإستشهاد المأخوذ من أحد الأبحاث المقدمة فى إجتماعات هذه الجمعية : "وفقا لدراسة قامت بها جمعية إستشارية متخصصة فى الإستثمار فى إفريقيا ، فإنه يوجد فى هذه القارة عشرة ملايين منجم من المواد الأولية الخام سواء فى البر أو فى البحر. ولا يُستغل منها سوى مائة ألف ، ويظل تسعة ملايين وتسعمائة موقع، أى 90 % من الثروات غير مستغل إطلاقا. والأدهى من ذلك ، كلها مواقع معروفة ومسجلة فى أحد بنوك المعلومات المزودة بتقنيات الأقمار الصناعية والمعلوماتية الأكثر تحذلقا".

فليس بغريب إذن أن نقرأ فى نهاية إنعقاد هذه الجمعية "الدينية" عبارة : "أن الكنيسة سوف تبحث عن إقامة نظام معلوماتى فى كافة البلدان الإفريقية لإدارة الموارد الطبيعية"!.. وهو ما يعنى مزيدا من التدخل و مزيدا من التحكم من أجل السيطرة على هذه الموارد الطبيعية.

أى أن الأمر لا يتعلق لا بمصالحة ولا بأى سلام ، وإنما بعملية إستعمار مزدوجة. إستعمار جديد إقتصادى ، وسوف يزداد ضراوة بالإستغلال العشوائى للموارد الطبيعية ، إستغلال يدارى عملية السرقة المخططة لهذه الثروات ؛ وعملية إستعمار جديد يرمى إلى الحفاظ على إخضاع إفريقيا للحاجة المالية التى تعطى لها قطرة قطرة ، عن طريق إستعباد أخلاقى سياسى بفرض معايير الإنفلات الغربى المتطرف على الشعوب الإفريقية، عن طريق مختلف السلطات.

وإلى كل من يتساءل : كيف يمكن لأقوى مؤسسة دينية فى العالم أن تنجرف فى مثل هذه المغامرة الفاضحة واللا إنسانية ؟ نقول ببساطة : يكفى أن نطالع أن عجز مدفوعات الفاتيكان عام 2002 وصل إلى ثلاثة عشرة ونصف مليون يورو ، وذلك رغم موارده التى لا يتخيلها عقل. لكن، يكفى أن نطالع ما كتبه تونى باشبى (T. Bushby) فى كتابه حول **"الملايين البابوية"** ، وأن نتذكر فضيحة بنك أمبروزيانو ، و تورط الفاتيكان مع المافيا الإيطالية ، لنرى إلى أى مدى وصل الفساد المرتبط بالمافيا فى هذه المدينة التى تمثل بقايا الإمبراطورية البابوية والخلاف حول قضية "المسألة الرومانية". إن الفاتيكان دويلة تم إختلاقها فى 11 فبراير 1929، كممثل مدنى للكرسى الرسولى. والسبب الوحيد فى وجود مثل هذه الدويلة هو تلك الرغبة الراسخة للكنيسة فى التشبس بالسلطتين الدنيوية والدينية ، بأى ثمن وبأية وسيلة حتى على حساب نهب شعوب قارة بأسرها.

ألا يدل ذلك على نهاية عهد سلام الكنيسة فى النطاق العلمانى الوطنى وعملية إحياء "للسلام الرومانى" فى أراضى الغير ؟ أى نقل المتناقضات الداخلية للخارج للسيطرة العسكرية ولترسيخ تلك المقولة الشهيرة لفيالق الإستعمار :

"إقمعوا كل من يقاوم وسيطروا على المتكبرين" فى بلدان إفريقيا وآسيا !

♦ سينودس الشرق الأوسط

وأكاذيب الفاتيكان

فى السادس من شهر يونيو 2010 ، وفى نهاية زيارته لأسقفية الشرق الأوسط بمقرها فى قبرص ، قام بنديكت 16 بتسليم خطة عمل "سينودس الأساقفة من أجل الشرق الأوسط" الذى أقيم من 10 إلى 24 أكتوبر 2010 فى مقر الفاتيكان بمدينة روما. وكان البابا يقوم بالإعداد لهذا المجمع الهجومى الجديد على الإسلام، كما هو مكتوب، منذ رحلاته إلى تركيا (11/28 - 2008/12/1) ، ثم إلى كل من الأردن وإسرائيل وفلسطين (8-2009/5/15) ، وأخيرا إلى جزيرة قبرص (4-2010/6/6) ، ليستكتب أساقفتها آراءهم ومطالبهم لتأتى صياغة خطة عمل المؤتمر النهائية عن لسان حالهم كعادته دائما ومما يبثونه من معلومات مغلوطة لتبرير هجماتهم.

وتتكون الوثيقة من تمهيد، ومقدمة، وثلاثة فصول عناوينها كالآتى : الكنيسة الكاثوليكية فى الشرق الأوسط ؛ توحيد الكنائس ؛ وشهادة المسيحيين. أما الخاتمة فهى عبارة عن تساؤلٍ هو خلاصة الوثيقة الى حد ما إذ تقول : "أى مستقبل لمسيحييى الشرق الأوسط ؟" .. وتأتى الإجابة فى العنوان الفرعى له شديدة الوضوح واضحة المغزى : "لا تخشى شيئا ، أيها القطيع الصغير!" .. نعم ، لا تخشى شيئا أيها القطيع الصغير، فالوثيقة لا تكف عن تكرار أن المسحيين فى الشرق الأوسط أقلية ضعيفة و تعانى من الإضطهاد ، لذلك تطالب كل العالم المسيحى ليتحرك لإنقاذهم من الظلم وقبل الإنقراض !! فهذا هو أحد أهم مضامين الوثيقة التى تقع فى إثنين وخمسين صفحة فى النص الفرنسى وأربعين فى النص العربى .. التدخل لحماية الأقليات المسيحية بأى وسيلة وبأى ثمن !! ويا لها من مغالطات فجة ..

فالمسألة شديدة الوضوح منذ أولى الكلمات ، إذ نطالع فى المقدمة "أنه لكى نفهم وضع الكنيسة الكاثوليكية فى الشرق الأوسط اليوم ، لا بد وأن يكون حاضرا فى ذهننا وثائق مجمع الفاتيكان المسكونى الثانى ، إلى جانب مسودة خطة العمل هذه ، وتعاليم البابوات السابقين والكرسى

الرسولى حول كل بند من هذه البنود ، إضافة الى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، والقانون الكنسى الغربى". أى أنه مجمع لتكريس وترسيخ الوجود الفاتيكانى الكاثوليكى فى الشرق الأوسط لاستخدام الأقليات المسيحية فى حربه الجديدة فى سياقها ضد الإسلام .. وأقول الجديدة لأن البابا ينوى هذه المرة اللجوء الى الغرب المسيحى المتعصب وإلى المؤسسات الدولية كهيئة الأمم وغيرها فى محاولته الشرسة للقضاء على الإسلام والمسلمين، وفقا لما قرره مجمع الفاتيكان الثانى لتنصير العالم (1965) ..

أما عن هدف هذا السينودس غير المسبوق فى تلاعبه بالألفاظ و فى ليّ الحقائق ، فهو كما يقول النص : "تأكيد وتقوية المسيحيين فى هويتهم ؛ وإحياء الوحدة بين الكنائس ذات الحكم الذاتى .. وهذه العبارة الأخيرة مكتوبة بالاتينية فى كل نصوص الوثيقة باللغات الأجنبية : (Sui iuris) ، بدلا من استخدام عبارة "الكنائس المنشقة" التى كانت تستخدم سابقا .. مثلما كف الفاتيكان عن مناداة اليهود بعبارة "قتلة الرب" وأصبح يناديهم بعبارة "الإخوة الأكبر".. بمعنى السابقون فى الإيمان.

والوثيقة تغص بمثل هذا التلاعب بالألفاظ من باب التمويه على القارئ غير الملم بالتعبيرات الأساسية المستخدمة. ومنها على سبيل المثال ، عدم إستخدام عبارة "تنصير العالم" الشهيرة منذ مجمع الفاتيكان الثانى، وإنما قول : "توصيل النبأ السعيد الى كافة البشر" .. والنبأ السعيد فى العرف الكنسى هنا هو "الإيمان بحياة وموت وقيامة ربهم يسوع" **!!** وكذلك عدم استخدام تعبير "توحيد الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما" ، وإنما قول "أن تلتف الكنائس حول أسقف روما (وهو أحد ألقاب البابا) خليفة بطرس ، الراعى العالمى للكنيسة ، من أجل الكنيسة العالمية" .. ولكى يتم تحقيق هذا المطلب لا بد من تدعيم دور الكنيسة الكاثوليكية فى الشرق الأوسط على كافة المستويات بدءأ بالكنائس المنشقة ، وذلك من أجل " تزويد المسيحيين بأسباب وجودهم فى مجتمع ذى أغلبية مسلمة ، ومعرفة ما عليهم القيام به بصورة واضحة بفضل توجيهات رعاتهم" .. أى أنه مزيد من التوغل الفاتيكانى الكاثوليكى فى الشرق الأوسط ومزيد من الإستخدام لوجود المسيحيين المحليين فى عملية إقتلاع الإسلام والمسلمين التى يعدّون لها، وإن أمكن أن تتم بتعاون بعض المسلمين الذين يقبلون التواطؤ- وإن كان الفاتيكان يطلق عليهم عبارة وقورة هى : "حكماء المسلمين" **!** ..

ولا يسع المجال هنا لتناول كل بنود الوثيقة المليئة بالتحايل والأكاذيب ، فعدد بنودها 123 بندا ، وكل بند بحاجة الى عدة صفحات لشرحه وشرح خباياه الملتوية ، وتكفى الإشارة الى أهم وأوضح التعليقات الصادرة فى فرنسا التى وصفت هذه الوثيقة بأنها "نداء إلى حرب صليبية جديدة ضد الإسلام" ، أو "ان البابا يستعدى مسيحيو أوروبا على الإسلام" ، أو "البابا يحث أوروبا المسيحية لنجدة إخوانهم من الإبادة فى الشرق الأوسط " أو "البابا يدعو أوروبا الى حماية أصول جذورها المسيحية فى الشرق الأوسط" .. ورغمها سأتناول أهم الفريات لعلها توقظ حمية المسؤلين عن الدين فى بلداننا بدلا من الصمت المهين ، ومن هذه الفريات :

* أن المسيحين الأوائل وجدوا العداوة من سلطات شعبهم الدينية فقد كان وطنهم يرزخ تحت الإحتلال ويخضع لسلطة الإمبراطورية الرومانية (...) وان الوضع فى الشرق الأوسط يماثل فى كثير من الأوجه الوضع الذى عاشته المسيحية الأولى فى الأراضى المقدسة" .. - وكأن المسيحيين يرضخون فى الشرق الأوسط تحت نير "إحتلال المسلمين" لأراضيهم ويسومونهم أشد انواع العذاب أو يلقون بهم إلى ساحات الأسود الجائعة كما كان يُفعل بهم !

* ان النصوص المقدسة كتبها رجال ملهمون من الروح القدس على أراضينا وبلغاتنا وهذه النصوص الإلهية تمثل مرجعية حتمية لا يمكن التغاضى عنها فى الشراكة بين الكنائس وفى الشهادة بها ، وفى ان تكون نصوص الأناجيل مصدر إلهام المسيحيين العاملين فى الحوار بين الأديان وفى توحيد الكنائس وفى النشاط السياسى .. والطريف هنا ان الوثيقة تقر بأن الأناجيل لم تعد "منزلة من عند الله" ، وذلك مراعاة لكل ما تضمه من متناقضات ..

* وأن الكنيسة إنقسمت على أثر مجمعىّ إفسوس عام 431 وخلقيدونيا عام 451 لأسباب "كريستولوجية" أى متعلقة بالمسيح ، لتفادى عبارة أنها "خلافات عقائدية أساسية متعلقة بطبيعة المسيح ، وان التراجع عنها يعنى التراجع او التنازل عن العقيدة التى يؤمنون بها .. ومنها : هل المسيح ابن الله أم بشر ، هل له طبيعة واحدة أم طبيعتان ، وهل له إرادة واحدة أم إرادتان ، وهل هو الله أم مجرد نبى كما يقول هو عن نفسه فى الأناجيل ؟ الخ الخ ..

* تطالب الوثيقة كافة الكنائس المنشقة وعددها حوالى 350 كنيسة بتوحيد عيد الميلاد وعيد الفصح ، وقد تم ذلك فعلا فى عام 2010. فمن المعروف أن السيد المسيح له ثلاثة أو أربعة تواريخ ميلاد فى الأناجيل وأن الفرق بين عيد الفصح فى العقائد المختلفة يصل إلى اسبوعين او ثلاثة اسابيع تقريبا وفقا للعقيدة والتقويم .. والطريف أن الوثيقة تؤكد إن هذه الإختلافات قد تم تخطيها بالبيانات المشتركة بين البابوات والأباطرة بينما الأتباع نيام أو غير مدركين بما يتم من تلاعب فى عقائدهم ..

* تكرار "أن هذه الأرض التى نشأت عليها المسيحية هى أرضنا وأن ضياع المسيحية حيثما وُلدت يمثل خسارة للكنيسة العالمية. لذلك لا يجب الحفاظ على هوية المسيحيين فحسب وإنما الحفاظ على روح الإنجيل بين الشعوب المسيحية وفى علاقاتهم مع غير المسيحيين والحفاظ على ذكرى الأصول الأولى حيّة" .. وما على المسلمين إلا الطاعة وقبول التنصير ، فذلك من المطالب المتكررة !!

* و"لأن الكنيسة رسولية بطبعها فكنائسنا لها مهمة محددة هى توصيل الإنجيل للعالم أجمع". وهذه هى الصياغة الأولى الواردة فى نصوص مجمع الفاتيكان الثانى قبل قولها صراحة "تنصير العالم" ..

* و"يجب على الكاثوليك العمل على تقديم أفضل مساهمة فى تعميق مفهوم "الدولة العلمانية الإيجابية" بالإشتراك مع باقى المواطنين المسيحيين ومع المسلمين المفكرين والمصلحين" ، وبذلك سيخففون من الصبغة الدينية والحكم باسم الله لدى بعض الحكومات مما يساعد على إيجاد علمانية إيجابية " .. والمضحك أن نفس هذا البابا يسعى إلى إعادة غرس المسيحية فى أوروبا وإقحامها فى كل شئ لربط الدين بالدنيا ، بينما يحاول تخريب الإسلام القائم على الربط بلا انفصال بين الدين والدنيا لفرض العلمانية التى يشكو منها فى الغرب ..

* "استخدام كافة وسائل الإعلام الحديثة والإنترنت لتكون فى خدمة الإبرشيات لنشر رسالة المسيحية ومجابهة التحديات التى تواجهها ".

* وأخيرا وليس آخرا : " كل مسيحى فى بلده هو حامل لرسالة يسوع وعليه تبليغها " ..

ومن أهم المطالب التى تنادى بها هذه الوثيقة :

* "احترام حقوق الإنسان الدينية ، وحرية الضمير ، أى "حرية أن تؤمن أو لا تؤمن أو أن تمارس ديانة ما علناً ، أو حرية تغيير الديانة " ..

* " عملية التبشير يجب ان تأخذ فى الإعتبار اختلاف العقائد والمواقف لدى المسلمين والمسيحيين"..

* " تشجيع المسيحيين الوافدين الى مصر على شراء العقارات والأراضى " ..

* " ان المسيحيين مواطنون أصليون فى الشرق الأوسط قبل مجئ الإسلام بكثير وان مفتاح التعايش بين الإثنين هو الإعتراف بالحرية الدينية "..

ومن الواضح بصورة مؤسفة ان العديد من هذه العبارات والمطالب أصبح يرددها الكثير من الأقليات النصرانية المنساقة بلا فهم خلف هيستيريا الفاتيكان لتنصير العالم ، غير مدركة أن البساط الدينى بدأ فعلا ينسحب من تحت أقدامها هى وسيعقبه امتصاص هويتها فى الكاثوليكية الفاتيكانية ، وأكبر دليل على ذلك هو توحيد اعياد الميلاد والفصح وفقا لكاثوليكية الفاتيكان ، ومنها مطالبة الفاتيكان بالإدارة المشتركة للأماكن المقدسة فى فلسطين المحتلة .. وما خفى كان أعظم بما أن البابوات والأباطرة يقررون ويتفقون وما على القطعان إلا التنفيذ ..

أما علاقات الفاتيكان المحددة مع المسلمين فتأخذ البنود من 95 الى 99 ، بخلاف ما يرد فى كل الوثيقة فى أماكن متعددة. وأساس التعامل مع المسلمين هو ما ورد فى وثيقة **"فى زماننا هذا"** التى أصدرها مجمع الفاتيكان الثانى عام 1965 ، كما سبق ورأينا ، و"أن الحوار مع المسلمين ضرورة حيوية يتعلق بها مستقبلنا إلى حد كبير" ، متمنين "أن تتسع دائرته لتضم مزيد من المؤمنين المسلمين" .. وهى المرة الوحيدة التى تصف فيها الوثيقة المسلمين بالإيمان إذ أن المقصود بهم من يمشون على هوى الفاتيكان ومن يتنازلون له فى كل لقاء عن جزء من مكونات الإسلام أو من أساسياته ..

ويوضح البند 96 أن المسيحيين بحكم أنهم مواطنون فى نفس البلد ونفس الوطن لذلك فهم يعيشون لمجتمعهم كشهداء للمسيح وللإنجيل .. ويكرر هذا البند ما سبق للبابا بنديكت 16 وأعلنه أثناء زيارته لتركيا قائلا : "رغم اختلاف أصولنا (...) فإن الإسلام قد وُلد فى وَسَط كان يوجد به اليهود وأفرع مختلفة من المسيحية، وكل هذه الظروف تنعكس فى التراث القرآنى لذلك لدينا عددا كبيرا من الأشياء المشتركة منذ البداية وكذلك الإيمان بالإله الواحد ".. وتواصل الفقرة : كما أن الحوار مع المسلمين له أهمية خاصة "إذ ان التراث الأدبى العربى-المسيحى الثرى يجب ان يتم إبرازه بصورة أكبر" .. وهو تكرار لما قيل فى عدة أماكن أخرى فى الوثيقة، أن المسيحيين العرب هم أصحاب النهضة العربية ـ بحيث يتم استبعاد حقيقة أن العلماء والأدباء المسلمين هم أصل الحضارة الأوروبية ! ويا لها من مغالطات لا بد من الرد عليها على كافة المستويات، فما يقصده الفاتيكان بالبحث عن المشترك بيننا وإسقاط الباقى يعنى الخروج عن تعاليم القرآن الذى أبى ذلك البابا كتابة أسمه وقال "التراث القرآنى"

أما الأمر الذى لا يروق لسادة الفاتيكان فهو "أن المسلمين لا يفرّقون بين الدين والسياسة ، وهو ما يضع المسيحيين فى الموقف المحرج لعدم المواطنة ، كما تحدد الوثيقة ، فى حين أنهم المواطنون الأصليون لهذه البلدان قبل وصول الإسلام".. واللافت للنظر الدرجة التى يتجاهل بها الفاتيكان أن الإسلام دين دنيا وآخرة وأنه لا انفصال بين الإثنين ! كما أن المسيحيين كانوا دوما أقليات ولم يحكموا أى بلد فتحه الإسلام ، ولم تقم لهم قائمة إلا فى لبنان عند انسحاب الإحتلال الفرنسى وقام قبل مغادرته البلاد بفرض أن يكون الحاكم مسيحيا ورئيس الوزراء مسلما علما بأن المسلمين يمثلون الأغلبية فى لبنان رغم تعدد الطوائف المسيحية.

وباختصار شديد يمكن القول أن هذه الوثيقة المتعددة الأغراض والأهداف هى تلخيص لأهم قرارات مجمع الفاتيكان الثانى (1965) القائم على فكرة تنصير العالم وتحميل هذه المهمة على كافة المسيحيين فى العالم ، الكنسيين منهم والمدنيين ، وعلى توحيد الكنائس المنشقة بمسميات أخرى غير تحت "لواء كاثوليكية روما" وإنما "بالشراكة" لإقتلاع الإسلام !! وهى نفس الفكرة التى كان قد أعرب عنها البابا الراحل يوحنا بولس الثانى فى كتاب **"الجغرافيا السياسية للفاتيكان"** ..

واللافت للنظر سرعة التحرك الفاتيكانى فبعد الإعلان عن الوثيقة ببضعة أيام ذهب المطران جون سانتامو يوم الثلاثاء 15 يونيو الحالى يرافقه الدكتور منير حنا مطران الكنيسة الأسقفية فى مصر للقاء فضيلة الإمام الأكبر بمشيخة الأزهر لبحث موضوع اللقاء المقبل بينهم فى نوفمبر ، لبحث "إعادة التوازن بين ما هو مادى وما هو روحى" وأيضا "دور المسيحيين فى الشرق كجزء أصيل وفاعل فى المجتمع" ! أى للبدء فى تنفيذ فصل الدين عن الدولة أكثر مما هو حادث وإسناد مزيد من السلطات والتحكم للتيار المسيحى المتواطئ مع الفاتيكان .. ومن الواضح أن هذا اللقاء أتى بعد إنعقاد السينودس بأسابيع معدودة لتنفيذ ما تمخض عنه.

وفى نفس الوقت سافر الكاردينال نصرالله صفير للقاء الرئيس الفرنسى نيقولا ساركوزى من 14 الى 18 يونيو الحالى لتدارس الموقف فى لبنان وفى المنطقة وخاصة "موقف المسيحيين فى الشرق الذين تمثل جماعاتهم ثراء وعنصرا أساسيا لهوية هذه البلاد " .. وقد أعلنت المتحدثة الرسمية المساعدة لوزارة الخارجية الفرنسية : "أن رئيس الوزراء برنار كوشنير قد

أنشأ قسما للأديان فى قلب إدارة إستطلاعات الخارجية ، آخذا فى الإعتبار الأبعاد الروحية والدينية فى العلاقات الدولية" ... أى ان فرنسا المزعومة العلمانية قد رضخت لتيار الفاتيكان رسميا لتنفيذ مطالبه المتعصبة.

خلاصة القول أننا فى مواجهة قادمة جد شرسة ، ينطبق عليها تماما الأوصاف التى تحدثت عنها الجرائد الفرنسية بأنها حرب صليبية جديدة لإقتلاع الإسلام والمسلمين بمساندة الغرب المسيحى المتعصب بكل مؤسساته المحلية والدولية وبمعاونة كل الأقليات المسيحية فى الشرق الأوسط وخاصة فى مصر التى تحدثت عنها الوثيقة تحديدا ..

والأمر مرفوع إلى الإمام الأكبر فى الأزهر، وإلى الإتحاد العالمى لعلماء المسلمين ، وإلى كل مسلم محب لدينه لإعداد الرد الفاصل ، كلٌ فى مجاله ، خاصة بعد أن تم تنصير مصر شكلا بغرس عدد لا يحصى من الكنائس، بلا تراخيص، والتوحش فى الإستيلاء على أراضى الدولة لضمها زورا لأديرة بمساحات ضخمة يقطنها أفراد معدودين، وبعد أن أكدت الوثيقة أن المنصّرين خاصة الإنجيليين يباشرون عملهم علنا بلا أى اعتراض **!!**

وتقف الكلمات فى الحلق مريرة مؤلمة ، فالتنازلات التى تمت فادحة ، والتعصب الكنسى الأكمه والقائم على الأكاذيب والمغالطات لم يعد يكتف بكل ما حصل عليه من تنازلات وأنما قد نوى هذه المرة الوصول إلى النهاية فى محاولته لإقتلاع الإسلام والمسلمين ...

فهل من مجيب ؟؟

♦ ♦ ♦

وفى 24 أكتوبر 2010 ، عقب إنتهاء "مجمع أساقفة الشرق الأوسط" ، ألقى بنديكت 16 خطابا أشار فيه إلي مسيحيى الشرق الأوسط قائلا : "إن فكرى يتجه إلى الإخوة والأخوات المتعددين الذين يعيشون فى منطقة الشرق الأوسط ويجدون أنفسهم فى مواقف صعبة ، شديدة

الثقل أحيانا، سواء بسبب المصاعب المادية أو الإحباط ، أم بسبب حالة التوتر وأحيانا الخوف" ، ليؤكد على أنهم يعيشون فى خوف ورعب ممن يحيطون بهم من المسلمين، ثم وجه لهم عبارة لها مغزاها قائلا : "لا تخشى أيها القطيع الصغير لأن الآب قد قرر أن يمنحك الملكوت" (لوقا 12 : 32). ثم إنتقل إلى أهمية السلام وأنه أفضل ضمان للحد من هجرة المسيحيين من الشرق الأوسط ، متمنيا السلام للأراضى المقدسة والسلام للشرق الأوسط.

أما المساهمة الثانية التى أوضح أن المسيحيين فى الشرق الأوسط يمكنهم أن يحققوها فهى تفعيل حرية العقيدة الحقيقية "التى هى أحد الحقوق الأساسية للإنسان والتى يجب على كل دولة أن تحترمها دائما. ففى كثير من بلدان الشرق الأوسط توجد حرية العبادة ، بينما مساحة حرية العقيدة عادة ما تكون محدودة. وتوسيع نطاق هذه المساحة هى حاجة ضرورية لضمان إستمرار حياة وإستقرار الكنيسة" ! والمعروف من مختلف الوثائق الفاتيكانية أن "حرية العقيدة" تعنى السماح بتغيير العقيدة الأم للدخول فى المسيحية ..

♦ السينودس القادم أكتوبر 2012 ..

فى الثانى من شهر فبراير 2011 تم إعلان المشروع المبدئى للسينودس الذى سوف ينعقد فى الفترة من 7 إلى 28 أكتوبر 2012. ويدور المشروع قبل الإعدادى لسينودس الأساقفة فى جمعيته العامة الثالثة عشر حول موضوع "**التبشير الجديد لنشر الإيمان المسيحى**". ويقع المشروع فى حوالى 70 صفحة بالهوامش، ويتكون من تمهيد ومقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. وينتهى كل جزء من هذه الأجزاء بعدة أسئلة، تكوّن فى إجمالها 71 سؤالا، هى بمثابة إستطلاع رأى لأساقفة العالم، ومن موقعهم، لدراستها والرد عليها قبل اول سبتمبر 2011 . وتساعد هذه الردود فى إعداد البرنامج النهائى الذى سينعقد حوله السينودس. ولو تابعنا عناوين هذه الأجزاء لأدركنا من الوهلة الأولى مدى ما يعدّون له من عتاد تنصيرى.

تضم المقدمة ، و تحتوى على أربعة بنود ، عناوينها كالآتى : "ضرورة التبشير الجديد ملحّة ؛ واجب التبشير ؛ التبشير والتمييز ؛ التبشير فى عالم اليوم إبتداء من تحدياته".. أما الفصل الأول وعنوانه : "**عصر تبشير جديد**" فيضم البنود من 5 إلى 10، وعناوينها كالآتى :

"التبشير الجديد معنى وتعريف ؛ سيناريوهات التبشير الجديد ؛ مسيحيون حيال هذه السيناريوهات الجديدة ؛ التبشير الجديد والحاجة الدينية ؛ طرق جديدة لكينونة الكنيسة ؛ التبشير الأول توسلات رعوية وتبشير جديد". بينما يضم الفصل الثانى وعنوانه : **"الإعلان عن إنجيل يسوع المسيح"**، فيضم البنود من 11 إلى 17 وعناوينها كالآتى : "اللقاء والإندماج مع المسيح هدف نشر الإيمان ؛ الكنيسة تنشر الإيمان الذى تعيشه ؛ كلام الله ونشر الإيمان ؛ علم تربية الإيمان ؛ الكنائس المحلية وسائل للنشر ؛ التوضيح هو أسلوب الإعلان ؛ ثمار نشر الإيمان". ويحتوى الفصل الثالث تحت عنوان : **"تعليم التجربة المسيحية"** ويضم البنود من 18 إلى 22 بالعناوين الآتية : "تعليم المسيحية وسيلة تبشير ؛ التبشير الأول كضرورة لأشكال جديدة فى الكلام عن الله ؛ تعليم الإيمان هو تعليم الحقيقة ؛ هدف لعلم طبيعة الإنسان ؛ مبشرون ومعلمون لأنهم شهداء" . أما الخاتمة فتضم البنود من 23 إلى 25 .

وأهم ما يميّز هذا البرنامج للخطوط العريضة لمباشرة التبشير الجديد هو ضرورة تفادى أن يبدو كعملية تنصير أو دعاية إستعراضية للمسيحية. وتعرض هذه الصفحات إشكاليات السينودس كما تثير مجموعة من التساؤلات. إذ تتحدث الوثيقة عن الحاجة الماسة لخلق موجة من الحماس العارم لإعطاء الأولوية لعملية التبشير ومنحها الأولوية المطلقة على أى شئ. كما تمثل هذه الوثيقة نقطة فارقة فى مواقف الفاتيكان الذى لم يعد يتردد فى تأكيد أهمية الإعلان صراحة، وبكل إصرار، عن الإنجيل والدعوة إلى الإرتداد، وذلك بالتوجه خاصة إلى الشباب وحماسه "فهم بحاجة إلى تجربة روحية" ، كما يتوجه إلى البالغين "الذين هم يحاجة إلى البحث عن الله". وذلك لا يعنى إنتقاد المواقف أو المراحل السابقة فى عمليات التبشير وإنما توضيح : "أن يكون لدى المبشر الشجاعة على أن يتجرأ فى البحث عن طرق جديدة وأن يبتكر أساليب جديدة للتبشير بالإنجيل" ..

ومن ناحية أخرى تثير الوثيقة تساؤلات حول موضوعات كان من المحرّم تناولها أو الإشارة إليها من قبل ، ومنها : "مشكلة عدم جدوى التبشير اليوم" أو "روتين الأداء التبشيرى" أو "التعب والملل من التساؤل حول جدواه". وكلها تساؤلات تدور بين الأوساط الكنسية وداخلها. كما تثير إنتقاد آخر ، هو : "إنتقاد ذاتى للمسيحية الحديثة التى يتعيّن عليها أن تتعلم دوما ومن جديد كيف تفهم نفسها إعتمادا على جذورها وأصولها". كما تنتقد تلك العقلية لدى بعض

رجالها وإمتثالهم للأمر الواقع ، بمعنى أنه لم يعد بوسعها تفادى ضرورة تبشير مختلف مذاهب المسيحيات الأخرى ..

فالوثيقة تطالب بموقف جديد وأسلوب جرئ "لإظهار القوة التحوّلية الكامنة فى رسالة الإنجيل". فمنذ التمهيد نطالع تلك العبارة : "طالما الكنيسة موجودة يجب عليها الإعلان عن إنجيل مجئ ملكوت الله وتعاليم سيده وإلهه المتمثل فى شخص يسوع المسيح". والمعروف أن ملكوت الرب هذا هو الشئ الوحيد الذى كان المسيح يبشر به، وبإقتراب مجيئه، فى زمن ذلك الجيل الذى كان يحدثه.. ولا تزال الكنيسة تنتظر مجئ هذا الملكوت ، منذ أكثر من ألفى عام ..

ويستعرض التمهيد الموقف التبشيرى منذ أن طالب المسيح ، كما يزعمون ، حوارييه أن "يتلمذوا جميع الأمم باسم الآب والإبن والروح القدس" (متّى 28 : 19 و20) ، وصولا إلى بنديكت 16 ، مرورا بكل المراحل المتعلقة بالتبشير ، وأهمها الخطاب الرسولى للبابا بولس السادس المعنون **"تبشير الإنجيل"** ، ثم المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى الذى عرّف دور الكنيسة بأنها "بحكم طبيعتها وطوال رحلتها على الأرض هى تبشيرية" وإلى الوثيقة التى أصدرها بعنوان **"بين الأمم"** التى نصّت على النشاط الدائم والمستمر للكنيسة فى تبشير الأمم. وكيف أن سينودس الأساقفة خلال الخمس وأربعين عاما التى مرت منذ إنشائه قد تناول خلال الإثنى عشر إجتماعا الماضية نفس موضوع رسالة الكنيسة بين الأمم. ثم يوضح التمهيد كيف أن الضرورة الملحّة للتبشير قد تزايدت خلال السنوات الماضية ، الأمر الذى يتطلب تكوين جماعات محلية للتبشير..

وتبدأ المقدمة بالجملة الآتية : "عند إنتهاء أعمال الجمعية الخاصة بسينودس أساقفة الشرق الأوسط وضع البابا بنديكت 16 بوضوح موضوع التبشير الجديد فى صدارة برنامج أعمال كنيستنا قائلا : إن الضرورة الملحّة للتبشير الجديد حتى بالنسبة للشرق الأوسط ، أثيرت عدة مرات. وهو موضوع شديد الإنتشار خاصة فى البلدان التى عرفت عملية تنصير قديما. إن إنشاء "مجلس بابوى لنشر التبشير الجديد" يجيب أيضا على هذه الحاجة الماسة. لذلك قررت ، بعد أن استمعت إلى المجلس العادى للأمانة العامة لسينودس الأساقفة قررت إهداء الجمعية العامة القادمة، التى ستنعقد سنه 2012، إلى موضوع **"التبشير الجديد لنشر الإيمان**

المسيحى". ويوضح البند الثالث من المقدمة أن التغيرات التى تحدث عنها مجمع الفاتيكان الثانى تضاعفت فى الفترة التلى تلت الإحتفال به ، أى بعد سنة 1985، وهى تغيرات تولد مخاوف وتنشر الشك والإرتياب. وكذلك العقد الأول من الألفية الجديدة وإرتفاع الأصوات بالإتهامات والتشكيك فى الكنيسة وفيما تعلنه..

وتنتهى المقدمة بمجموعة من الأسئلة ، هى أشبه ما تكون بالإستخبارات المحلية. إذ أن كل أسقف يتعيّن عليه الإبلاغ عن ما يدور فى محيط المنطقة التى يعيش فيها من جميع النواحى السياسية، والإجتماعية، والدينية، وغيرها. وتضم الوثيقة 71 سؤالا فى مختلف أبوابها كلها تعاون على إستشفاف الوضع من أرض الواقع حتى يمكن صياغة جدول الأعمال الذى سيدور حوله لقاء سينودس الأساقفة فى أكتوبر 2012.

ويقوم الفصل الأول بتعريف ما الذى يقصده السينودس بعبارة التبشير الجديد. فهو يعنى تحديدا : "إتخاذ موقفا وأسلوبا شديد الجرأة" من خلال عدة سيناريوهات ثقافية شديدة التنوع، سواء كان المقصود بها العلمنة أو مجمل وسائل الإتصال فى المجتمع، أو ظاهرة الهجرة وما تسببت فيه من تغيير للبنية المجتمعية خاصة فى أوروبا، مما أدى إلى "خليط عميق للثقافات إضافة إلى التقلبات الإقتصادية والأبحاث العلمية والتقنية بل والتغيرات السياسية. وقد كان البابا يوحنا بولس الثانى هو أول من إستخدم عبارة "التبشير الجديد" أثناء رحلته الرسولية إلى بولندا، فى القداس الذى أقامه يوم 9/ 6/ 1979 . وهى نفس العبارة التى استخدمها عند تناوله موضوع امريكا اللاتينية. ومن المعروف أن زيارته لهذين البلدين قد نجم عن الأولى إقتلاع اليسار بإختلاقه حركة "تضامن" العمالية فى بولندا ؛ كما نجم عن الثانية إقتلاع كنيسة لاهوت التحرر والدفاع عن العمال والفلاحين، التى كانت تخالف كل أطماع الفاتيكان الطبقية.

ففى مثل هذه المحيطاط المتعددة توضح الوثيقة أنه من الضرورى أن يتصف التبشير الجديد "بالجرأة على وضع مسألة الله فى قلب هذه المشاكل مع تحقيق تميّز رسالة الكنيسة ومع إبراز الطريقة التى ينير بها المنظور المسيحى المشاكل الكبرى فى التاريخ بصورة مبتكرة وغير مسبوقة (...) لإظهار القوة النبوئية والتحولية للرسالة الإنجيلية" أى قدرتها على تحويل عقيدة البشر ! كما تشير الوثيقة إلى عودة الحاجة إلى الدين والروحانيات فى العالم، وأن الوقت قد

حان لمثل هذا التبشير الجديد خاصة فى الشرق. لذلك تطالب الوثيقة "بأن يكون لدى المبشر القدرة على البدء من جديد وتخطى الحدود الجغرافية لتوسيع الآفاق (...) فلقد حان الوقت للكنيسة بأن تقوم باستدعاء مجتمعاتها المسيحية إلى تغيير رعوى بالمعنى الإرسالى التبشيرى لأعمالهم وبنياتهم".

ويطالب الفصل الثانى بوضع كل الإهتمام فى أن تقوم الكنيسة بنقل الإيمان الذى تعيشه هى ذاتها، وهو ما يلخصه البابا بنديكت 16 بعبارة "اللقاء بالمسيح والإتحاد به هو هدف عملية نقل الإيمان" . فذلك يعنى "أن يتم، فى كل مكان وفى كل زمن، إيجاد الظروف اللازمة لكى يتم هذا اللقاء بين البشر ويسوع المسيح". لأن المأمول من هذا اللقاء هو : "الإتحاد بالثالوث المقدس وإدخال البشر فى علاقة الإبن مع الآب ليشعر بالروح القدس". وفكرة أن تقوم الكنيسة بنقل ما تعيشه فذلك يعنى : "أن عملية التبشير الجديد تتطلب من الكنائس المحلية دفعة جديدة وعمل جديد من الثقة فى الروح القدس الذى يرشدها حتى يمكنها أن تؤدى بفرحة وحماس المهمة السياسية الملقاة عليها والتى من أجلها يرسل يسوع أتباعه لتبشير الإنجيل" ..

ثم تشير الوثيقة إلى تلك الإحتفالية التى أقامها الفاتيكان فى فناء كاتدرائية نوتردام بباريس، بعنوان له مغزاه التبشيرى **"فناء الوثنيين"**، محاكاة لما كان يقام فى العصور الأولى للمسيحية لجذب الوثنيين إلى التنصير. وقد إمتدت هذه الإحتفالية يومي الجمعة والسبت 24 و 25 مارس 2011، وشارك فى إحيائها كلا من اليونسكو وجامعة السوربون والمعهد القومى الفرنسى فى ندوة أقيمت فى الثلاث أماكن بعنوان : **"التنوير ، والأديان ، وأسباب مشتركة"**. وذلك بخلاف المناقشات التى دارت على موائد مستديرة طوال اليومين بين المبشرين والجمهور. وإنتهت هذه البدعة الهزلية الممجوجة بحفل موسيقى كبير تبعته خطبة للبابا بنديكت 16 مذاعة من الفاتيكان ومعروضة على شاشات عرض ضخمة فى فناء وميدان كاتدرائية نوتردام. واللافت للنظر فى هذه الإحتفالية هو مساهمة المؤسسات الرسمية الفرنسية، الحكومية والثقافية والعلمية، فى تدعيم مساعى الفاتيكان لإعادة نشر المسيحية خاصة فى بلد يزعم أنه يفصل رسميا فى دستوره بين الدين والدنيا منذ 1905 ..

وتوضح الوثيقة أن هذه التجربة تبرز وتؤكد جرأة المسيحيين، وأنهم لن يستسلموا أو يتراجعوا أبدا، وسيظلون دوما يبحثون إيجابيا عن كل السبل التى يمكنها إقامة أشكال مختلفة للحوار الذى يمكنه أن يمس أعماق البشر وتعطشهم إلى الله. وكيف أن هذه الجرأة تسمح بتقاسم التجارب كما تسمح بالحديث عن اللقاء بإنجيل يسوع على أنه هبة من الله. ولا يفوت كاتب الوثيقة توضيح أن مثل هذه القدرة ومثل هذا الموقف يتطلب مراجعة الذات وتطهيرها من الخوف والتعب وعدم التركيز أو الإنطواء على الذات الذى يتولد من الثقافات المحيطة ، ثم يطالب بضرورة تفعيل الحماس لمعايشة تجربة المسيح التى تسمح بالإعلان عنها لكافة البشر ..

وهناك عدة إشارات متواربة حول الإسلام وربطه بالإرهاب ، ومنها : "نلاحظ صحوة دينية واعدة، بها الكثير من الملامح الإيجابية لإكتشاف الله وكل ما هو مقدس فى مختلف الديانات التى تعانى من التعتيم بسبب مظاهر الأصوليات التى عادة ما تحرّف الدين لتبرير العنف والإرهاب. وهذا الأمر مرفوض لأنه لا يمكن إستخدان العنف بإسم الله".. لذلك ترى الوثيقة ضرورة توسيع نطاق التبشير إلى القارات الخمس وفى كافة المجالات. وبعد تناول السيناريوهات الممكنة تصل إلى المجال السياسى لتوضيح كيف "أنه منذ مجمع الفاتيكان الثانى وحتى اليوم ، أن التغيرات التى حدثت يمكن أن نطلق عليها تاريخية".. والمقصود بالتغيرات التاريخية هذه ما ساهم رجال الفاتيكان فى عمله لإقتلاع النظام اليسارى وغيره من الأحداث.

أما الفصل الثالث وكيفية نقل التجربة المسيحية إلى الآخرين فإن الوثيقة تبرز ضرورة وضع أسرار الإعداد المسيحى فى الصدارة وذلك من قبيل التعميد والإفخارستيا وسر الميرون (الدهان بالزيت المقدس)، على أنها فى حد ذاتها من وسائل التبشير. وهنا تشير الوثيقة إلى أن هذا الإعداد هو من التراث ويرجع إلى الكنيسة القديمة، لأنها تؤكد على ضرورة عدم فصل هذا التبشير عن التراث، وضرورة العودة إلى تعميد الأطفال. ومن الواضح أن حتى ذلك الإجراء ، تعميد الأطفال، قد تضاءلت ممارسته بين أتباعها ..

من هنا أتت أهمية الإشارة إلى أن تحديات اليوم تستدعى فى آن واحد "التمييز" و "أسلوب جديد للعمل الرعوى" وعدم "الإستسلام إلى الإحباط" . لأن التبشير الجديد هو دعوة

للمجتمعات المسيحية أن يكون لديها "ثقة أكبر فى الروح القدس الذى يضعهم فى قلب التاريخ"، كما أن "الدعوة إلى الإيمان تتطلب التربية على الحقيقة" .. وتخصص الوثيقة قرابة ثلاث صفحات لشرح ضرورة وإلحاح هذه المبادرة التعليمية. وأنه من أجل الإستجابة لها "يمكن للكنيسة أن تعتمد على رصيد تاريخى للوسائل التعليمية والتأمل والبحث والمؤسسات والأشخاص القادرون على تقديم وجود له معنى فى مجال المدارس والتعليم"..

كما يتناول هذا الفصل ما يرمى إليه بنديكت 16 بعبارة "علم تربوى إنسانى وضرورة تحديد نقاط الضعف وتحديات اليوم والطاقات والإستراتيجيات التى يجب تبنيها لضمان المستقبل، لا بالنسبة للكنيسة وحدها وإنما للإنسان والإنسانية جمعاء".. كما ينص على ضرورة أن تؤدى تقنيات التبشير الجديد إلى إعطاء الأولوية للتكوين الروحى وإلى تكوين مدرسة للإيمان على ضوء إنجيل يسوع". أى أن التبشير الجديد هذا يجب أن يكون : "أولا واجب حيوى وتحدٍ دينى، إنه مهمة للمسيحيين الذين يبحثون عن القداسة. ففى مواجهة السيناريوهات المختلفة للتبشير فإن أتباع الكنيسة يجب عليهم أن يجيدوا لغة العصر لزمنهم لإضفاء مصداقية على ما يقولونه وهم يشرحون الأسباب التى تدفعهم إلى مثل هذا الأمل والحماس فى التبشير" ، مع إعتبار أن الجانب الثقافى هو الأساس .

♦ ♦ ♦

ولا تتوقف المحاولات .. ففى الثانى عشر من يوليو 2011 أعلن "راديو الفاتيكان" نبأ تحت عنوان **"تبشير العواصم : التبشير الجديد بدأ مسيرته"** .. ثم راح يوضح أن تبشير العواصم هو عنوان المبادرة الرعوية الجديدة للتبشير الجديد ، الذى سيتم سنة 2012 ، والذى ستساهم فيه بعض العواصم الأوروبية الكبرى. وقد تم إتخاذ هذا القرار فى روما خلال إجتماع دعى إليه المونسنيور فيزيكللا ، رئيس المجلس البابوى لتفعيل التبشير الجديد .

فقد إجتمع ممثلون لمختلف الأبرشيات من برشلونة إلى ليفربول ، مرورا بوارسو وفيينا وباريس ، لوضع اللمسات الأخيرة فى إستراتيجية تؤدى إلى دفعة جديدة للتبشير. وذلك حيال

الأزمة التى تعترى المجتمعات الأوروبية التى تباعدت عن الدين. وقد كان الإجتماع مغلقا ، ويمثل أول مبادرة من المجلس البابوى الجديد الذى أنشأه البابا بنديكت 16 فى سبتمبر 2010 لتفعيل التبشير الجديد. وسوف تتم هذه الإحتفاليات فى إثنى عشر عاصمة أوروبية كبرى. ويوضح الأب فيزيكللا أن ما يمثل الجانب المبتكر فى هذه المبادرة هو العمل الجماعى وتتالى المحاولات. بمعنى أن النشاط التبشيرى لأوروبا سيتنقل من عاصمة إلى أخرى.

وأضاف "راديو الفاتيكان" أن سنة 2012 ستكون أيضا السنة التى سينعقد فيها سينودس الأساقفة حول موضوع : **"التبشسر الجديد"** .. وأن تجربة المبادرة الجديدة لتبشير العواصم لن يمكنها إلا المساهمة فى بعض التأملات من أجل إقتراح تبشيرى متجدد وهادف. بينما يوضح رئيس المجلس البابوى لتفعيل التبشير الجديد قائلا : **" من الضرورى العمل على المستوى الإجتماعى والثقافى والسياسى فى آن واحد"** ..

وتعد هذه المبادرة أول رد عملى لطلب البابا بنديكت 16 ، الذى لا يكف عن المطالبة بضرورة العمل على تخطى التفتيت الحالى الذى تعانى منه المؤسسة الكنسية والإعراب عن بوادر الوحدة بين مختلف أعضاؤها. وقد استقبلهم البابا بعد اللقاء ليشرح لهم لماذا الكنيسة مضطرة لعمل هذا التبشير الجديد ومضاعفة جهودها التبشيرية موضحا :

"إن الزمن قد تغير والتبدلات الثقافية عميقة والعلمنة تركت آثارا عميقة حتى فى البلدان ذات التراث المسيحى. إن الأزمة الحالية تكمن فى إستبعاد الله من حياة الناس، كما نلحظ عدم إكتراث عام تجاه الإيمان المسيحى بل ومحاولة لتهميش المسيحية فى الحياة العامة. فالأزمة التى تعتصر المجتمع لم تترك الإيمان والمشاعر الدينية وإنما اجتاحتها أيضا. نحن نواجه اليوم مأساة التفتيت التى لم تعد تسمح بوجود مرجعية واحدة. فالأشخاص الذين يريدون الإنتماء إلى الكنيسة شكلتهم رؤية للحياة تتناقض تماما مع الإيمان. وقد أصبح التعبير عن يسوع المسيح على أنه المنقذ الوحيد للعالم مسألة أكثر تعقيدا مما مضى. والتبشير الجديد عليه إذن أن يجد الوسائل اللازمة ليكون الإعلان عن يسوع له فاعلية أكثر".

لذلك يصر البابا فى مختلف أحاديثه ولقاءاته على أن يهتم المسيحيين بتقوية روحهم التبشيرية وأن يسلكوا أسلوب حياة يضفى عليهم وعلى أقوالهم مصداقية مقنعة ، مشيرا إلى "أن المسيحية ليست رداء نرتديه فى بيوتنا أو فى مناسبات خاصة ، أنها شئ متكامل وحيوى ، فهى قادرة على أن تستحوز على كل ما هو خيّر فى العصر الحديث". ثم طالب الأعضاء الجدد فى المجلس البابوى أن يقوموا بإعداد مشروع متكامل يمكنه أن يجعل الكنيسة قادرة على مواجهة عملية التبشير الجديد ..

وتتوالى المحاولات كما تتوالى الأصداء ! ففى مقال نشر بجريدة "**أوسيرفاتورى رومانو**" الإيطالية فى 24 أغسطس 2011 ، صرح المونسنيور رينو فيزيكللا مرددا ما قاله البابا فيما يتعلق بالتبشير الجديد موضحا : "لا يمكننا التبشير إلا إذا كان أسلوب حياتنا له مصداقية" .. وفى بضعة كلمات أثار رئيس المجلس البابوى لتفعيل التبشير الجديد إلى صعوبة التعريف برسالة يسوع اليوم وجعلها مثيرة أو لافتة لإنتباه الشباب قائلا : "لأن الشباب اليوم يريد التوافق المنطقى ، وشهداء منطقيون فى تبليغ رسالة المسيح يتمشى مع اسلوب حياتهم" .. مكررا : "لا يمكننا التبشير بالإنجيل إن لم تكن لدينا مصداقية فى أسلوب حياتنا" .

وأوضح أن الإنترنت يمثل أداة مميزة للتبشير ويجب أن يظل كذلك ، "فالإنترنت لا يمكنه أن يحل محل علاقة شخصية لأن المسيحية تتولد من مقدرة شخصين على التلاقى.. من المؤكد أننا اليوم فى أزمة، لكنه موقف حيوى، فعال ، وكله حماس ، أى أنه مختلف عما مضى" ! إلا أنه سارع بتوضيح : "إن التبشير يجب أن يتأقلم مع كل بلد ، يجب إحترام المواقف المختلفة العبادية بين الكنائس المختلفة فى العالم وبين تراثها. فلا توجد وصفات سابقة التجهيز.. إن التبشير الجديد فى اوروبا ليس كما هو فى أمريكا الشمالية أو الجنوبية. إلا أنه يوجد أساس مشترك يجب علينا أن نمارس فعاليته بصورة أكثر تأثيرا للتعبير عن هوية شخصية الأتباع وتنمية شعور قوى بالكنيسة" ..

وفى يوم الخميس أول سبتمبر 2011 أعلن "راديو الفاتيكان" عن بدء العام الدراسى فى فرنسا وأنه تقرر أن يكون للأطفال مكانهم فى ديناميكية التبشير الجديد .. وقد صرح الأب لوك مليه فى هذا البرنامج ، وهومدير مشروع "الخدمة القومية للتعليم الدينى والتبشير" فى فرنسا،

مشيرا إلى : "أن تعليم الدين متعلق بجميع الأعمار وكل الأطفال ، حتى الذين لا ينتمون إلى أسرات مسيحية" ..كما تناول دور الأطفال فى فعاليات التبشير الجديد موضحا : "أنه فى كل عام، فى فرنسا، تقوم لجنة الخدمة القومية للتعليم الدينى والتبشير بعمل مؤتمرا صحفيا حول الموقف التبشيرى تجاه الذين تم تعميدهم حديثا. لكنها لم تكن تقوم بشئ متعلق بالأطفال، على الأقل طوال العشر سنوات الماضية. ومن أجل تخطى هذا الخلل قررت اللجنة دعوة كافة وسائل الإعلام للتحدث عن بدء العام الدراسى وعن بداية إتخاذ مسئولية جديدة حيال الأطفال والتعليم الدينى ونشر الإيمان، فالأطفال لهم ميول للتقليد ويمكنهم جذب غيرهم من الأطفال إلى الإيمان، كما إن الهدف من ذلك هو تحريك مشاعر الجمهور فى مصاحبة أبناءهم إلى الإيمان" ..

وفى نهاية الإحتفالية المقامة فى مدريد ، يوم 26 أغسطس 2011 ، أعلن البابا بنديكت 16 إن إحتفالية **"اليوم العالمى للشباب"** القادمة سوف تقام سنة 2013 ، فى مدينة ريو دى جانيرو بالبرازيل، حول موضوع "التبشير ، إعتمادا على قول بيسوع المسيح : ,,فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم،، (متّى 28 : 19)". ولم يأت هذا الإختيار عشوائيا ، ففى نفس الوقت الذى دعى فيه البابا فى قصره الصيفى، فى كاستل جوندولفو، طلابه القدامى لمناقشة حول موضوع التبشير الجديد، وذلك بعد أن قام بإنشاء "مجلس بابوى لتفعيل التبشير الجديد" سنة 2010 ، إعداداً وإنتظارا للسينودس الذى سوف ينعقد حول التبشير الجديد فى اكتوبر سنة 2012 والذى سيضم أساقفة من جميع أنحاء العالم ، إحتفالا بذكرى مرور خمسين عاما على بدء أعمال مجمع الفاتيكان الثانى (1962-1965) ، فقد رأى البابا فى تلك الإحتفالية التى تمتد بضعة أيام "إمكانية أكثر من رائعة وهبة ثمينة تسمح بالأمل من أجل مستقبل الكنيسة".

وعند رؤية آلاف الشباب الذين تم تجميعهم من 193 دولة ، مع تقديم كافة التسهيلات المتعلقة بالسفر والإقامة ، حث البابا شباب الحاضرين قائلا : "لا تخشوا أن تكونوا كاثوليك ، ولا أن تشهدوا بذلك دائما لمن حولكم ، ببساطة وإخلاص ، لتجد الكنيسة فيكم وفى شبابكم المبشرون الجدد للتبأ السعيد".. ثم أوصاهم مطالبا : "لا تحتفظوا بالمسيح لأنفسكم وإنما علموا الآخرين فرحة وسعادة الإيمان".

والملاحظ فى أسلوب هذه الخطب التى يلقيها البابا ، ثم يقوم كبار قساوسته بالتقاط أهم ما فيها لتكراره ، هو إستخدام عبارات جديدة لم تكن مستخدمة فى الخطاب الدينى المسيحى فيما مضى، من قبيل : "لا تخشوا شيئا" ، "لا تخافوا" ، لا تُحرجوا من دينكم" ، "لا تخجلوا من الله" ، "لا تخشوا أن تكونوا كاثوليك" .. وكلها عبارات تخفى تحتها الشعور بالقلق من إنتشار حقائق ما قامت به المؤسسة الفاتيكانية من تحريف وتعديل فى النصوص وتطغى على كل ما تقوم به من محاولات بهلوانية للتعتيم عليها وفرض تنصير العالم.

وفى نفس هذه الأثناء قامت مدرسة الكاتدرائية الكبرى الإيطالية بإفتتاح مدرسة للتبشير فى قلب العاصمة الفرنسية باريس ، فى ضاحية مونمارتر ، باسم "بيت التبشير" (Casa Anuncio). والدراسة بها داخلية لمدة عام ، ويتضمن المنهج : علم اللاهوت ، والفلسفة ، وعلم الأجناس ، وأسس الإيمان ، والأحداث المعاصرة ، وإشكاليات الكنيسة المعاصرة .. والمقصود منها دراسة تطبيق قرارات مجمع الفاتيكان الثانى وتعلم كيفية الرد على المسلمين وتفنيد حججهم !

وإذا أخذنا فى الإعتبار ما يعدّه الفاتيكان لإفريقيا ، إضافة إلى ما تقدم من عتاد لمختلف محاولات للتبشير شمالا وجنوبا ، فى أوروبا والشرق الأوسط ، وما يدور فى البلدان الأسيوية وغيرها من إستعدادات ، فذلك يعنى بوضوح أن سنة 2012 ، فى جدول أعمال الفاتيكان ومختلف مؤسساته ، موجهة بكلها لتوجيه ضربة حاسمة للإسلام من خلال تنصير العالم ..

فقد إجتمعت الأمانة العامة لسينودس الأساقفة يومى 22 و 23 نوفمبر 2011 بمساهمة ممثلين من القارات الخمسة وتحدد أن يكون الإجتماع القادم يومى 16 و17 فبراير 2012 ، وفقا للبيان الصادر يوم أول ديسمبر عن المكتب الصحفى للكرسى الرسولى.

ولقد توصل السينودس إلى عمل ملخص لكافة ردود الأفعال التى وصلته وكوّنت برنامج "الخطوط الرئيسية" التوجيهى للإجتماع القادم والذى يحمل عنوان الفصل الأول فيه وهو : "ضرورة التبشير الجديد" الذى تم تقديمه فى 4 مارس 2011. فهو يؤكد أن التبشير الجديد

عبارة عن "موقف وأسلوب جرئ للتعبير عن القوة التحويلية للرسالة الإنجيلية". وعكف مجلس السينودس على صياغة الخطة الثانية لبرنامج العمل بالنسبة للجمعية التى ستّعقد فى أكتوبر 2012. وأشار الأعضاء إلى تحديات العصر الحديث من مختلف التغيرات إلى إنكار الدين مرورا بالعلمنة ، وتوصلوا إلى ضرورة أن تكون الوسائل والأساليب جديدة ، وخاصة أن تتسم بالمصداقية. إذ بفضل هؤلاء الشهود سيمكن توصيل الإيمان إلى الأجيال الجديدة ، إعتمادا على الدور القيادى للأسرة والمدرسة لتعليم الإيمان.

وقد طالب مجلس السينودس بتحديد الدور التبشيرى بغية الوصول لا إلى الذين تخلوا عن المسيحية فحسب وإنما اإلى غير المؤمنين وإلى أتباع الديانات الأخرى. وسيكون هذا السينودس الفرصة للإحتفال بعدة مناسبات لها مغزاها : العيد الخمسينى لإفتتاح أعمال مجمع الفاتيكان الثانى (10 أكتوبر 1962) ، والعيد العشرين لإصدار كتاب التعليم الدينى الجديد (11 أكتوبر 1992) ، كما ستكون بداية عام الإيمان الذى قرر البابا بنديكت 16 بدايته بإصدار خطابه الرسولى المعنون "بوابة الإيمان" . وهو ما أعلبه يوم 17 أكتوبر 2011 ، حين حدد قائلا : "ستبدأ الإحتفالات يوم 11 أكتوبر 2012 بمناسبة العيد الخمسينى لإفتتاح مجمع الفاتيكان الثانى، وتنتهى يوم 24 نوفمبر 2013 فى عيد ربنا يسوع المسيح ملكا على العالم" ..

الفصل السابع

نماذج من التحريف ..

فى كتابه الشهير "**التحريف فى المسيحية**" وصف القاضى جوزيف هويلس الفاتيكان بأنه "طاحونة تزوير وتحريف" ، وهى بالفعل طاحونة لا تكل ولا تتوقف .. فرغم كل ما قامت به المؤسسة الفاتيكانية من محاولات مستميتة للتعتيم على ما اقترفته من تحريف فى الأناجيل، ورغم كل ما قامت به من محاولات للتعتيم على تحريف ونسج العقائد نفسها بالتلاعب فيها أو باختلاقها تماما ، فالحقائق تكشفت مدوّية جيلا بعد جيل، ويوما بعد يوم، لتفضح ما تم من تحريف بالأصول وما فرضته من تلاعب بضمائر بالأتباع .. وسنتناول فى هذا الفصل بعض الأدلة الدامغة على تحريف الأناجيل وعلى إختلاق العقائد .

♦ المتناقضات فى الأناجيل ..

عادة ما يغضب إخواننا المسيحيون من الإشارة إلى المتناقضات فى الأناجيل أو فى الكتاب المقدس ، التى باتت تُعد بالآلاف ، ويتهمون قائلها بأنه يعتدى على "قدسية" نصوص منزّلة !.. بل لقد أضيف إلى عبارة الغضب هذه رد صادر عن المؤسسة الفاتيكانية ، للتمويه على الحقائق العلمية ، بأن هذه المتناقضات ليست بمتناقضات ، وإنما هى "جمل تكمّل بعضها البعض ودليل على التعددية فى التعبير ، فكل واحد من الحواريين قد عبّر عن الحدث من وجهة نظره" !!

وفى واقع الأمر ، أن هذه "القدسية" المزعومة قد إعتدى عليها الفاتيكان فعلا ثلاث مرات: المرة الأولى فى مجمع ترانت ، سنة 1546 ، حينما فرضها على الأتباع قهرا فى الدورة الرابعة ، يوم 8 أبريل ، قائلا أن "الله هو المؤلف الوحيد للكتاب المقدس" ، وهى العبارة الواردة فى وثائق ذلك المجمع ، مع فرض "اللعنة على كل من يتجرأ ويسأل عن مصداقية أى شىء" ! (**المجامع المسكونية** ، الجزء الثالث صفحة 1351 ، طبعة لوسير 1994).

والمرة الثانية ، مع تقدم العلوم والدراسات التاريخية واللغوية التى كشفت ما بهذه النصوص من تحريف وتلفيق ، حينما تراجع الفاتيكان عن عبارة أن "الله هو المؤلف"، ليقول فى مجمع الفاتيكان الأول سنة 1869 : "أن الله قد ألهم الحواريين عن طريق الروح القدس" !..

أما المرة الثالثة ، ففى مجمع الفاتيكان الثانى (1965) إذ من أهم ما ناقشه آنذاك : الدراسات النقدية التى أطاحت بمصداقية الكتاب المقدس بعامة ، وبالعهد الجديد بصفة خاصة.. فبعد مداولات متعددة لدراسة كيفية صياغة الإعلان عن هذا التراجع المطلوب ، المناقض لكل ما تم فرضه قهرا من تعتيم لمدة قرون ، على أنها نصوص منزّلة ، تم التوصل إلى محاولة للتخفيف من وقعه على الأتباع ، عبر خمس صياغات مختلفة ، واقترعوا على الصيغة النهائية ، بأغلبية 2344 صوتا مؤيدا ، ضد 6 أصوات معارضة..

ويقول النص الصادر عن الفاتيكان : "أن هذه الكتب وإن كانت تتضمن الناقص والباطل ، فهى مع ذلك تُعد شهادات لعلم تربية إلهى حقيقى" .. ويقول النص بالفرنسية :

"Ces livres, bien qu'ils contiennent de l'imparfait et du caduc, sont pourtant les témoins d'une pédagogie divine" !..

وفى العدد رقم 137 من مجلة "**عالم الكتاب المقدس**" سبتمبر- أكتوبر 2001 ، والذى يتصدر غلافها موضوع رئيسى بعنوان : "**مَن كتب الكتاب المقدس ؟** " ، نطالع فى المقال الذى بقلم جوزيف موان (J. Moingt) ، الأستاذ المتفرغ بكليات الجزويت بباريس ، و الذى يشير فيه إلى صعوبتين فيما يتعلق بالكتاب المقدس قائلا :

" أولا أن الكتاب المقدس ليس كتابا بالمعنى المفهوم وإنما مكتبة بأسرها ، مجموعة متعددة من الكتب والأنواع الأدبية المختلفة ، بلغات مختلفة ، ويمتد تأليفه على عشرات القرون، وأنه قد تم تجميع كتبه فى شكل كتاب بالتدريج ، إبتداء من مراكز صياغة ونشر متنوعة. ثانيا كل كتاب من هذه الكتب لم يتم تأليفه دفعة واحدة ، بقلم نفس الكاتب ، وإنما صيغ كل كتاب منها إعتمادا على العديد من التُرث الشفهية المتناثرة وكتابات جزئية متفرقة ناجمة عن مصادر شتى بعد أن تمت إعادة كتابتها وصياغتها وتبديلها على فترات طويلة قبل أن تصل إلى ما هى عليه".. ويوضح هذا الإستشهاد كيف أن مثل هذه المعلومات ، فى الغرب ، باتت من المعلومات الدارجة التى يتم تناولها على صفحات الجرائد والمجلات ..

وإذا أضفنا إلى ما تقدم ، كل ما توصلت إليه "**ندوة عيسى**" ، بمعنى أن 82 % من الأقوال المنسوبة ليسوع لم يتفوّه بها ، وأن 86 % من الأعمال المسندة إليه لم يقم بها، لأدركنا فداحة الموقف ، من حيث الهاوية التى تفصل الحقائق التى توصل إليها العلم والعلماء ، وكثير منهم

من رجال اللاهوت ، والإصرار الأصم على تنصير العالم ، بأى وسيلة وبأى ثمن - رغم كل الشعارات الطنانة والمتكررة التى يعلنونها بإحترامهم أصحاب الأديان الأخرى !

ولا نتناول هذا الموضوع من باب التجريح أو الإنتقاص من أحد - فما من إنسان فى هذا الزمن مسؤل عما تم أو يتم فى هذه النصوص من تغيير وتبديل ، عبر المجامع على مر التاريخ ، لكننى أطرحه كقضية عامة تهم كل المسلمين ، أينما كانوا ، الذين باتت تُفرض عليهم عملية تنصير لحوحة وغير إنسانية ، مدعومة بالضغوط السياسية وبما يتبعها من تنازلات .. لذلك نناشد كافة الجهات المعنية التصدى لهذه المهزلة المأساوية الكاسحة !..

كما أنها تهم كل القائمين على عمليات التبشير والتنصير ، التى تدور رحاها بذلك الإصرار الغريب ، حتى يدركوا فداحة ما يتسببون فيه حقيقة، على الصعيد العالمى ، من ضغوط وإنفجارات .. ضغوط وإنفجارات ناجمة عن إصرارهم على إقتلاع دين الآخر ، و نحن جميعا فى غنى عنها - خاصة وأنها تدور قهرا ، بجيوش مجيشة من العاملين فى هذا المجال ، من أجل فرض نصوص وعقائد أقرت قياداتها العليا ، منذ أجيال عدة ، بأنها تتضمن "الناقص والباطل" كما رأينا ، وهذا أقل ما يمكن قوله عنها..

وقد قامت نفس هذه القيادات بالتمويه على ما بها من متناقضات جلية لكل عين لا تتعمد فقدان البصر والبصيرة ، باختلاق بدعة أنها تعبّر عن تعددية الرؤية والتعبير، أو أنها تكمل بعضها بعضا !.. لذلك أصبحوا يقولون "الإنجيل وفقاً لفلان" ، وليس "إنجيل فلان" .. وهو ما يحمل ضمناً الإعتراف بوجود مساحة من الشك والريبة غير المعلنة ..

وإذا ألقينا بنظرة على بعض هذه المتناقضات ، التى قالت عنها الموسوعة البريطانية فى مداخلة **"الكتاب المقدس"** أنها تصل إلى 150,000 تناقضا ، وقد رفعها العلماء مؤخرا إلى الضعف تقريبا ، لأمكن لكل قارىء - أيا كان إنتماؤه ، أن يرى بنفسه ويقارن مدى مصداقية مثل هذه النصوص ، أو مدى إمكانية إعتبارها نصوص منزّلة ويفرضونها على العالم !

ونورد ما يلى على سبيل المثال لا الحصر:

* التكوين 1 : 3-5 "فى اليوم الأول الله خلق النور ثم فصل النور عن الظلمة"

* التكوين 1 : 14-19 تم ذلك فى اليوم الرابع

* التكوين 1 : 24-27 "خلق الحيوانات قبل الإنسان"

* التكوين 2 : 7 و 19 "خلق الإنسان قبل الحيوانات"

* التكوين 1 : 31 "أُعجب الله بما خلق"
* التكوين 6 : 5-6 "لم يُعجب الله بما خلق وحزن وتأسف .."

* التكوين 2 : 17 "كتب على آدم أن يموت يوم يأكل من شجرة المعرفة ، وقد أكل"
* التكوين 5 : 5 "آدم عاش 930 سنة" !

* التكوين 10 : 5 و 20 و 31 "كل قبيلة لها لغتها ولسانها"
* التكوين 11 : 1 "كانت الأرض كلها لسانا واحداً ولغة واحدة"

* التكوين 16 : 15 و 21 : 1-3 "إبراهيم له ولدان إسماعيل وإسحاق"
* العبرانيين 11 : 17 "إبراهيم له ولد واحد وحيده إسحاق" (وتم إستبعاد إسماعيل)

* التكوين 17 : 1—11 "الرب يقول عهد الختان عهداً أبدياً"
* غلاطية 6 : 15 "بولس يقول ليس الختان ينفع شيئا" (وبذلك تعلو كلمة بولس على كلمة الرب) !..

* خروج 20 : 1-17 "الرب أعطى الوصايا العشر لموسى مباشرة بلا وسيط "
* غلاطية 3 : 19 "أعطاها له الرب مرتبة بملائكة فى يد وسيط"

* الملوك الثانى 2 : 11 "صعد إيليا فى العاصفة إلى السماء"

* يوحنا 3 : 13 "لم يصعد أحد إلى السماء إلا إبن الإنسان" (أى يسوع)

* متى 1 : 6 – 7 "نسب يسوع عن طريق سليمان بن داوود"

* لوقا 3 : 23 -31 "نسب يسوع عن طريق ناثان بن داوود"

* متى 1 : 16 "يعقوب والد يوسف"

* لوقا 3 : 23 "هالى والد يوسف"

* متى 1 : 17 "جميع الأجيال من داوود إلى المسيح ثمانية وعشرون"

* لوقا 3 : 23 -28 "عدد الأجيال من داوود إلى المسيح أربع وثلاثون"

* متى 2 : 13 – 16 "يوسف أخذ الصبى (يسوع) وأمه وهربوا إلى مصر"

* لوقا 2 : 22 – 40 "عقب ميلاد يسوع يوسف ومريم ظلا فى أورشليم ثم عادوا إلى الناصرة" ! أى أنهم لم يذهبوا إلى مصر بالمرة ، بل ولا يرد ذكر ذبح الأطفال بأمر هيرود.

* متى 5 : 17 – 19 "يسوع لم يأت لينقض الناموس"

* أفسوس 2 : 13 – 15 "يسوع قد أبطل الناموس بجسده" !

* متى 10 : 2 ، ومرقس 3 : 16 – 19 ، ولوقا 6 : 13 – 16 ، وأعمال الرسل 1 : 13 تختلف بينها أسماء وأعداد الحواريين ..

* متى 10 : 34 "جاء يسوع ليلقى سيفا وليس سلاما"

* لوقا 12 : 49 – 53 "جاء يسوع ليلقى ناراً وإنقساما"

* يوحنا 16 : 33 "جاء يسوع ليلقى سلاما" ! بينما يقول يسوع :

* لوقا 19 : 27 "أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأْتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى" !!

* متى 16 : 18ـ19 "يسوع يقول أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنِ كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات" ..

* متى 16 : 23 "فالتفت يسوع وقال لبطرس إذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس !.. وكررها مرقس كاتبا : " فانتهر بطرس قائلا إذهب عنى يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (8 : 33) ! فكيف يمكن لكنيسة أن تقوم على شخص يعتبره السيد المسيح شيطانا ومعثرة ولا يهتم بما لله ؟!.

* مرقس 14 : 44-46 "علامة خيانة يهوذا ليسوع أن يقبله"

* لوقا 22 : 47-48 "يهوذا دنا من يسوع ليقبله"

* يوحنا 18 : 2-9 "يسوع خرج وسلم نفسه" ولا ذكر لقبلة يهوذا الشهيرة

* متى 27 : 5 "يهوذا طرح الفضة (النقود) أرضا ثم انصرف"

* أعمال الرسل 1 : 18 "يهوذا يقتنى حقلا بأجرة خيانته"

* متى 27 : 5 "يهوذا خنق نفسه"

* أعمال الرسل 1 : 18 "يهوذا يسقط على وجهه وانشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها"

* متى 27 : 28 "ألبسوا يسوع رداءً قرمزيا" (علامة على الإهانة) ! ..

* مرقس 15 : 17 "البسوه رداءً أرجوانيا" (علامة على المَلَكية) !..

* متى 27 : 32 "سمعان القيروانى سخّر لحمل صليب يسوع"

* يوحنا 19 : 17 "خرج يسوع حاملا صليبه"

* متى 27 : 46 – 50 "كانت آخر كلمات يسوع "إيلى إيلى لما شبقتنى ، أى إلهى إلهى لماذا تركتنى " ..

* لوقا 23 : 46 "كانت آخر كلمات يسوع " يا أبتاه فى يدك أستودع روحى" ..

* يوحنا 19 : 30 "كانت آخر كلماته " قد أكمل " ونكس رأسه وأسلم الروح" ..

* لوقا 23 : 43 "قال يسوع للص المصلوب بجواره : الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس" !..

* أعمال الرسل 2 : 31 تقول الجملة أنه ظل فى الجحيم حتى بُعث (فى طبعة 1831) ، وفى طبعة 1966 تم تغيير عبارة "الجحيم" وكتابة "الهاوية" !..

وتغيير الكلمات أو العبارات من علامات التلاعب بالنص المتكررة ، وليست فقط فى الجملة السابقة وتعد بالمئات ، فعلى سبيل المثال نطالع فى طبعة 1671 ، فى سفر إشعيا 40 : 22 عبارة "الذى يجلس على دايرة الأرض وسكانها هم مثل جراد : الذى يمد السموات كلا شىء ويبسطهن كمخبأ للمسكون " ، نجدها قد تحولت فى طبعة 1966 إلى : " الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب الذى ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن " ! وأهم فارق يشار إليه فى هذا التغيير هو حذف عبارة " دايرة الأرض" التى تشير إلى أن الأرض مسطحة حتى وإن كانت مستديرة الشكل ، وكتابة " كرة الأرض" لتتمشى مع التقدم العلمى الذى أثبت أن الأرض كروية وتدور حول الشمس ، وهى القضية التى تمت محاكمة جليليو بناء عليها ، ومن الواضح أن التغيير قد تم بعد ثبوت كلام جاليليو !

وهناك جُمل جد محرجة فى معناها ، إذ تكشف عن حقيقة موقف أهل يسوع وأقرباؤه ، كأن نطالع : " ولما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا أنه مختل . وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا إن معه بعلزبول وأنه برئيس الشياطين يُخرج الشياطين. " (مرقس 3 :21-22).. وهو ما يؤكده يوحنا ، إذ يقول : " فقال له اليهود الآن علمنا أن بك شيطانا" (8: 52) بل يضيف يوحنا : " لأن إخوته أيضا لم يكونوا يؤمنوا به" (7 : 5) !. فهل يجوز لمثل هذا

الإنسان الذى يصفه أقرباؤه بالمختل ، ويرى فيه اليهود أن به شيطانا ، وان إخوته لم يكونوا يؤمنوا به، هل ممكن أن يكون إلاها ويصبح "ربنا يسوع المسيح" الذى يجاهد التعصب الكنسى لفرض عبادته على العالم ؟!

أما مسألة يسوع وإخوته التى تنكرها الكنيسة فما هو مكتوب عنها يؤكدها تماما ، إذ يقول لوقا : " فولدت إبنها البكر و قمّطته وأضجعته فى المزود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل " (2 : 7) .. وعبارة "الإبن البكر" تعنى يقينا أن له إخوة وأخوات كما هو وارد فى متى (13 : 55 – 56) ، وأن يسوع ، عليه الصلاة والسلام، هو أكبرهم ، أى الإبن البكر ..

وهو ما يؤكده متى حينما يورد الحلم الذى رآه يوسف النجار :"فلما إستيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره الرب وأخذ إمرأته. ولم يعرفها حتى ولدت إبنها البكر ودعا إسمه يسوع" (1 : 24 - 25).. وعبارة "لم يعرفها حتى ولدت" تعنى أنه لم يعاشرها جسدا حتى وضعت إبنها البكر. وهذا تأكيد على صحة عبارة الإخوة والأخوات المذكورين بأسمائهم فى مرقس (6 : 3) . خاصة وأن النص اليونانى للإنجيل يحمل عبارة "أدلفوس" (adelfos) أى أخ شقيق ، وليس كلمة "أنبسوى" (anepsoi) ، أى أولاد عمومة كما يزعمون كلما أُثيرت هذه المشكلة التى تمس بألوهية يسوع يقينا ..

وهناك العديد من الوقائع التى لم يشهدها أحد فكيف وصلت لكتبة الأناجيل ، ومنها السامرية التى قابلها يسوع ، رغم العداء الشائع بين اليهود والسامريين ، إضافة إلى أن هذه السامرية بها من المحرمات الدينية والشرعية ما يجعله يبتعد عنها ، فهى متزوجة خمس مرات وتحيا فى الزنا مع آخر ، ورغمها نرى يسوع عليه السلام ، يبوح لها فى إنجيل يوحنا بما لم يقله لمخلوق (4 : 26) ، بأنه هو المسيح المنتظر !! فاى عقل أو منطق يقبل مثل هذا القول؟

وهناك تناقضات تشير إلى عدم صلب يسوع ، عليه السلام ، بالشكل المعترف عليه الآن، فالنص يقول أنه عُلق على خشبة ! وهو ما يتمشى مع الواقع ، فالصليب بشكله الحالى لم يكن معروفا فى فلسطين آنذاك .. وتقول الجُمل :

"إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة" (أع 5 : 30) ؛ " ..الذى أيضا قتلوه معلقين إياه على خشبة" (أع 10 : 39) ؛ " ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه فى قبر" (أع 13 : 29) ؛ " المسيح إفتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلق على خشبة" (رسالة بولس إلى أهل غلاطية 3: 13) ؛ وهو ما يؤكده بطرس فى رسالته الأولى إذ يقول : " الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على

الخشبة" (2 : 24) .. فأية جُمل نصدق فى مثل هذه الأناجيل ؟!. ولا تعليق لنا على إعتبار السيد المسيح عليه الصلاة والسلام " لعنة " و " ملعونا " والعياذ بالله !

وليس كل ما تقدم إلا مجرد شذرات ، مقارنة بعددها الفعلى الموجود فى الأناجيل أو فى الكتاب المقدس برمته، فلا يسع المجال هنا لتناول تلك الآلاف من المتناقضات الثابت وجودها فى هذه النصوص ، لكنا نشير إلى حقيقة أن هذه النصوص ، بالشكل التى هى عليه ، ليست منزّلة – بإعتراف قادة المؤسسة الكنسية الفاتيكانية ، والمئات أو الآلاف من الباحثين . وإنما هى قد صيغت وفقا للأغراض والأهواء السياسية والدينية ، وبالتالى فانه لا يحق لأى إنسان أن يزعم أنها منزّلة ولا أن يحاول فرضها على المسلمين او حتى على غير المسلمين !

ليؤمن بها من شاء من أتباعها وليكفر بها من شاء من أتباعها ، لكن فرضها على العالم أجمع ، وخاصة على العالم الإسلامى، الموحد بالله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ، فهو أمر مرفوض بكل المقاييس . فالجُمل التى يتذرعون بها لتنصير الشعوب والتى تقول : "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس" (متى 38 : 19) قد تمت صياغتها فى مجمع القسطنطينية ، سنة 381 ، بإختلاق بدعة الثالوث وإقحامها فى الأناجيل التى بدأت صياغتها فى أواخر القرن الأول .. فبأى عقل يمكن للدارس أو حتى للقارىء العادى أن يضفى أية مصداقية على ذلك الكم من المتناقضات ؟!..

وتوجب الضرورة هنا تناول خمسة نماذج فقط من هذه المتناقضات، التى تُعد بالآلاف، وكلها متعلقة مباشرة بيسوع عليه السلام، لمزيد من التوضيح. فمن المسلّم به أن يسوع المسيح يُعد أهم شخصية فى المسيحية بكل إنقساماتها وفرقها التى تعدت الثلاثمائة تسع وأربعين فرقة كلها أعضاء بمجلس الكنائس العالمى. ويقولون إن كل ما هو مكتوب عن يسوع فى هذه الأناجيل صحيح تماماً و"منزل من عند الله" .. ليرى القارىء بنفسه ما تقدمه المؤسسة الكنسية من نصوص، عانت فعلا على مر التاريخ من شتى أنواع التلاعب والتغيير والتبديل، إلى درجة تمس تعاليم العقيدة نفسها من جهة، ومن جهة اخرى، تسعى هذه المؤسسة الكنسية لفرضها على العالم أجمع بدأً بالمسلمين. لذلك يتعيّن علينا كمسلمين أن نفهم وندرك تماما كل ما بها ..

وكل ما أرجوه من إخواننا المسيحيين هو أن يفتحوا أناجيلهم ليراجعوا فيها الجُمل الواردة منها هنا. علما بأننى أستعين بطبعة 1966 ، لا لقلة ما لدىّ من نسخ متفاوتة التواريخ ، بدأً من سنة 1671 ، ولكن لأنها النسخة التى لم تطلها التعديلات الجديدة بعد مجمع الفاتيكان الثانى المنتهى عام 1965، مع الأخذ فى الإعتبار بأن جميعها تختلف فعلا من طبعة لأخرى. وهذه الجُمل من المفترض أنها كافية لإقناع أى قارىء بوجود متناقضات .. وأبدأ بمن هو مفترض جد يسوع :

1 - الإختلاف فى والد يوسف :

يقول إنجيل متّى : "ويعقوب وَلَد يوسف رجل مريم التى وُلد منها يسوع الذى يُدعى المسيح " (1 : 16). ويقول إنجيل لوقا : "ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظن إبن يوسف إبن هالى" (3 : 23)، فأيهما والد يوسف النجار : يعقوب أم هالى؟ فمن المحال ان يكون له أبّان بيولوجيان ، والحديث هنا عن إنسان، بشر عادى، وليس عن إنسان تم تأليهه ويطلقون عليه "ربنا يسوع المسيح" !.

2 – الإختلاف فى شجرة نسب يسوع :

توجد شجرة نسب يسوع ابن مريم فى إنجيل متّى (1 : 6-16) ، كما توجد فى إنجيل لوقا (3 : 23-31). إنجيل متّى يبدأ من سيدنا إبراهيم نزولا إلى يسوع، ولوقا يبدأ من يسوع صعودا إلى آدم، والإسم الوحيد المشترك بين هاتين القائمتين ، من داود ليسوع، هو يوسف.. فكيف يستقيم كل ذلك التفاوت ؟! بل والأدهى من ذلك كيف يمكن أن يكون ليسوع شجرة عائلة مثبوتة بالإسماء ، وإن إختلفت، والكنيسة تؤكد أنه أتى من الروح القدس وأنه إبن الله ؟. بغض الطرف هنا عن ان الروح القدس – كما تؤكد الكنيسة أيضا، هو جزء من الثالوث الذى لا يتجزأ فالثلاثة واحد ، وهو ما يُفهم منه أن يسوع قد أنجب نفسه، لكى لا نكرر أقوال بعض العلماء فى الغرب : من أن ذلك يمثل حالة زنا إذا ما أخذنا والعياذ بالله بأن مريم "ام الله" كما يقولون ، قد حملت من الروح القدس أى من إبنها !.

3 – الإختلاف فى مولد يسوع :

تورد الأناجيل مرة أن يسوع وُلد أيام هيرودس (متّى 2 : 1)، ومرة أيام كيرينيوس (لوقا 2 : 2) والثابت تاريخيا أن هيرودس مات سنة 4 قبل الميلاد ، بينما كيرينيوس قد تم تعيينه والياً على منطقة سوريّة فى عام ستة ميلادية ! أى أن الفرق الزمنى بين التاريخين قدره على الأقل عشر سنوات لتحديد تاريخ ميلاد يسوع، فهل هذا معقول ؟ بل والثابت تاريخيا أيضا أنه لم تحدث أية مجزرة للأطفال أيام هيرودس ! وما يكشف عن إختلاف آخر أن إنجيل مرقس يقول أنه وُلد فى الناصرة ، بالجليل ، بينما يقول كل من متّى ولوقا انه وُلد فى بيت لحم بمنطقة اليهودية : فأيّهم أصدق ، وجميعهم رسل وقديسين ؟!. وهنا لا بد من الإشارة إلى قول العالم الفرنسى إميل بويخ (E. Puech) مدير المعهد القومى للأبحاث العلمية (CNRS) فى فرنسا مؤكدا : "يجب علينا أن نعترف بأمانة أننا لا نمتلك حتى الآن أى نص من شهود عيان عن يسوع"، وذلك لأن كل ما كتب عنه كتب بأثر رجعى وبعد أجيال وقرون ..

4 – **الإختلاف فى معرفة يسوع إبن من ؟!** :

يقول إنجيل لوق أنه عندما تخلّف الصبى يسوع فى المعبد وهو فى الثانية عشر " وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح" (2 : 41) ضل عنهما الطفل يسوع، وبعد ثلاثة أيام من البحث وجدا الصبى فى الهيكل جالسا وسط المعلمين فلما أبصراه إندهشا : " وقالت له أمه يابنىّ لماذا فعلت بنا هكذا. هو ذا أبوك وأنا كنّا نطلبك معذّبين" (2 : 48) .ويزداد الأمر خلطاً حينما يجيبها الطفل يسوع قائلا : " لماذا كنتما تطلبانى ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى. فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما" (2 : 39-50) أى أن مريم وزوجها والد الطفل يسوع (كما تقول هى فالمفترض أنها أدرى ممن أنجبت إبنها) وأيضا كما يقول إنجيل لوقا ، المهم أن الإثنين لا يعرفان أى شىء عن رسالة يسوع ، وهو ما يخالف ما ورد بنفس الإصحاح فى الآية 19 حينما راح ملاك الرب يخبر الرعاه بمجىء الرب يسوع المخلّص ، ثم ذهب الرعاة يخبروا بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى : "وأما مريم فكانت تحفظ هذا الكلام متفكرة به فى قلبها".. فكيف تعرف مريم هذا الكلام عن ظهر قلب وحينما يحدثها ذلك الرب، الذى هو إبنها، لا تفقه منه شيئا ؟؟. بل والأكثر من ذلك إن كل ما ورد بإنجيل لوقا حول واقعة المعبد يتناقض تماما مع قصة نزوح العائلة المقدسة إلى مصر التى لم تحدث على الإطلاق ..

وعملية تفنيد حضور العائلة المقدسة الى مصر تناولها فى الغرب العديد من المؤرخين والباحثين ولن أشير هنا سوى الى ميشيل كوكيه (M. Coquet) القس السابق وكتابه "**إزالة الخدع عن حياة يسوع**" الصادر عام 2003 ، وتقول الفقرة :

"أقر المؤرخون ولله الحمد أن قصة هروب العائلة المقدسة إلى مصر، كما يصفها لنا إنجيل متّى لا مصداقية لها. فعبور الصحراء الشديدة الحر نهاراً والشديدة البرودة ليلا، مسافة خمسمائة كيلومترا، فى منطقة مليئة باللصوص وبالحيوانات المفترسة، على ركوبة لا يمكنها ان تحمل على ظهرها المياة والأكل اللازم لمثل هذه الرحلة، تبدو عملية مستحيلة التنفيذ بالنسبة لزوجين وطفل رضيع. والأكثر من ذلك، إذا سار يوسف على قدميه بواقع خمسة عشر كيلومتراً فى اليوم، فسيأخذ منه ذلك حوالى شهرا فى ظروف شديدة القسوة. فالطريق الذى سار فيه بدأ من بيت لحم الى الخليل. ومن غزة كان على العائلة المقدسة ان تتبع قرب الشاطىء الى القنطرة والإسماعيلية وأخيرا القاهرة. وفى واقع الأمر، ليس لدينا أى دليل على هذه الرحلة، حتى وإن قامت الكنيسة القبطية بنشر خط السير هذا (بمساعدة وزارة السياحة المصرية !) (الأقواس وعلامة التعجب من الكاتب) ، إعتمادا على بردية من القرن الخامس مكتوب عليها خط السير الذى سلكته العائلة المقدسة، بل ويحددون ان الإقامة إمتدت لمدة ثلاث سنوات وأحد عشر شهراً، والقرن الخامس بكل سوء حظ هو القرن الذى إنتهوا فيه من إستكمال إختلاق قصة

يسوع. وبعد قرن من الحفائر الأثرية فى الأرض المقدسة لم يتم العثور على أى دليل لهذا الهروب" (صفحة 266) .. واللهم لا تعليق !

5- الإختلاف حول إنجيل يسوع :

يقول القديس بولس، الذى افرَدَت له مؤسسة الفاتيكان عاما بأسره ، من 2008/6/28 إلى 2009/6/29 للإحتفال به، نظراً لأهميته اللاهوتية وفى الدعوة وسط الأمم. يقول هذا الرسول القديس إلى أهل رومية : " ... حتى إنى من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح" (15 : 19) ، وفى نفس الرسالة فى الجملة 29 يقول " ... وأنا أعلم أنى اذا جئت اليكم سأجى فى ملء بركة إنجيل المسيح" ، وفى الرسالة الثانية الى أهل كورنثوس يقول : "... إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله" (4 : 4)، وفى نفس الرسالة يقول : "فإنه إن كان الآتى يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تأخذون روحا آخر لم تأخذوه أو إنجيلا آخر لم تقبلوه فحسنا كنتم تحتملون" (11: 4) ، وإلى أهل غلاطية يقول : " إنى أتعجب أنكم تتنقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحوّلوا إنجيل المسيح " (1: 3-6) ..

و ما نخرج به من هذه الجُمل الصادرة عن أهم الحواريين فى نظر الكنيسة، وبوضوح لا لبس فيه، ان السيد المسيح كان له إنجيلا يكرز به ، وهو ما لا أثر له فى التراث الكنسى الحالى بكله وإن كان يتفق تماما مع ما يثبته القرآن الكريم ، من أن الله عز وجل قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بن مريم ..

ومن ناحية أخرى، من المفترض أن رسائل بولس هذه صيغت سنة 54 ميلادية كما يقول المختصون الكنسيون .. وهنا يمكن الجهر بكل ثقة للمؤسسة الكنسية بكامل هيئاتها وبناءً على أقوال بولس الرسول : إن السيد المسيح كان له إنجيلا يبشر به فأين هو ؟! فرسائل بولس وأعمال الرسل هى أول نصوص كتبت فى المسيحية وتؤرخونها بعام 54، وكل ما يقال فى الوثائق الكنسية أن صياغة الأناجيل تمت من سنة 70 الى 95 . فإذا اضفنا أعمار الحواريين إلى هذه التواريخ لأدركنا انهم كانوا فى حوالى المائة سنة سناً أو أكثرً، وهو ما لا يتمشّى مع نسبة متوسط الأعمار من الفين سنة مضت – بغض الطرف عن مخالفة هذه المعلومة للواقع ، إذ ان صياغة الأناجيل إمتدت حتى أواخر القرن الرابع بإعتراف القديس جيروم نفسه، فهو الذى كوّن هذه الأناجيل الأربعه وعدّل وبدّل فيها كما قال فى المقدمة التى تتصدر ترجمته.. فكيف يتحدث بولس ويحذّر الأتباع من الإلتفات إلى أى إنجيل آخر سوى إنجيل يسوع الذى كان يبشّر به ؟!.

ونغض الطرف هنا أيضا عن إن هذا القول من بولس يتضمن إتهاما لباقى الحواريين، إتهام بالكذب وتحريف الرسالة، فلم يكن آنذاك أى فرد آخر يقوم بالتبشير سوى الحواريين الذين يتهمهم بولس صراحة بأنهم كذبة ..

فهل يحتاج الأمر بعد ذلك إلى مزيد من الأدلة على التناقضات فى الأناجيل ؟ ولا يسعنا إلا أن نضيف بكل هدوء إلى إخواننا المسيحيين بكل فرقهم : إقرأوا أناجيلكم بدلا من الإنسياق فى التعاون مع الذين فرضوا عليكم المساهمة فى عملية تنصير العالم ، فوثيقة **"إلى العلمانيين"** المخجلة ، الصادرة عن مجمع الفاتيكان الثانى، التى يفرض فيها لأول مرة فى التاريخ على كافة المسيحيين ، الكنسيين منهم والمدنيين، العمل على إقتلاع الإسلام والمسلمين لتنصير العالم، موجودة ومنشورة ضمن قرارات ذلك المجمع.

إقرأوا أناجيلكم بإمعان ، وافهموا ما بها ، فما من عاقلٍ أمين مع نفسه يمكنه قبول مثل هذه المتناقضات أو الإيمان بها لسبب بسيط هو : هل يمكن لمثل هذا الخلط والتناقض أن يكون منزّلا من عند الله ؟!..

♦ <u>إعترافات القديس جيروم</u> !..

تعد وثيقة إعتراف القديس جيروم ، التى صاغها فى القرن الميلادى الرابع ، أهم وثيقة فى التاريخ تثبت ، بما لا يدع مجالا للشك ، أن الأناجيل الحالية قد عانت من التعديل والتبديل والتحريف وسوء الترجمة بحيث لا يمكن إعتبارها بأى حال من الأحوال أنها نصوص منزّلة ، فهى يقينا شديدة الإختلاف ، ولا تمت بأى صلة إلى ذلك الإنجيل الذى أشار إليه القرآن الكريم بأن الله سبحانه وتعالى قد أوحاه للمسيح عليه الصلاة والسلام. وإنجيل السيد المسيح كان موجودا بالفعل ، بدليل أن بولس ،كما رأينا، يقول أنه كان يبشر به : " (...) حتى أنى من اورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح " (إلى أهل رومية 15 : 19) !. إلا أن الأيادى العابثة فى المؤسسة الكنسية قد أخفته لتفرض ما نسجته عبر المجامع على مر العصور.

وهذا الخطاب للقديس جيروم، لا يمكن الإختلاف حول أهميته ، لإطاحته الأكيدة بمصداقية الأناجيل الحالية ، لذلك لم نجد بدا من نشر صورة فوتوغرافية لطبعة الكتاب نفسه ، الموجود

فى مكتبة فرانسوا ميتران بباريس. و لولا أن هناك عمليات تمويه وتعتيم ومعارك كبرى دارت حول أصول هذه الأناجيل لما قام الفاتيكان ومؤسساته بمنع أتباعها من قراءتها حتى القرون الوسطى لكى لا يكتشفوا ما يتم بها من تعديل وتغيير ، بل لما احتاجت هذه المؤسسة ، بكل جبروتها الراسخ ، إلى أن تفرضها فى مجمع ترانت ، فى القرن السادس عشر ، (أى أنه حتى ذلك الحين كان هناك من يعترض على ما بها ويرفضها) تفرضها على الأتباع على "ان الله هو المؤلف الحقيقى والوحيد لها" ، ثم قررت أنه يمكن للأتباع قراءتها برفقة قس حتى يتصدى لأى سؤال قد يكشف ما بها .. ثم فى مجمع الفاتيكان الأول 1879 ، قررت الكنيسة أن الله قد أوحى للروح القدس الذى قام بدوره بإلهام الحواريين فى كتابتها ، وهو ما يمثل تراجعا واضحا عن القرار السابق ، ثم فى مجمع الفاتيكان الثانى 1965 إعترفوا بأن هذه النصوص "بها القديم والبالى ، وإن كانت تمثل منهج تربوى إلهى حقيقى " كما رأينا واللهم لا تعليق !

وفيما يلى الصورة الفوتوغرافية لصفحة المقدمة-الإعتراف التى تتصدر الصياغة الحالية التى قام بها جيروم للأناجيل ، ثم ترجمة الخطاب إلى العربية ، ثم التعليق عليه :

INCIPIT PRÆFATIO
S[TI] HIERONYMI PRESBYTERI
IN
QUATTUOR EVANGELIA.

BEATISSIMO PAPÆ DAMASO HIERONYMUS.

NOVUM opus facere me cogis ex veteri: ut post exemplaria Scripturarum toto orbe dispersa, quasi quidam arbiter sedeam: & quia inter se variant, quæ sint illa quæ quum Græca consentiant veritate, decernam. Pius labor, sed periculosa præsumtio, judicare de cæteris, ipsum ab omnibus judicandum: senis mutare linguam, & canescentem jam mundum ad initia retrahere parvulorum. Quis enim doctus pariter vel indoctus, cum in manus volumen assumserit, & à saliva quam semel imbibit, viderit discrepare quod lectitat; non statim erumpat in vocem, me falsarium, me clamans esse sacrilegum, qui audeam aliquid in veteribus libris addere, mutare, corrigere? Adversus quam invidiam duplex caussa me consolatur: quod & tu qui summus sacerdos es, fieri jubes: & verum non esse quod variat, etiam maledicorum testimonio comprobatur. Si enim Latinis exemplaribus fides est adhibenda, respondeant quibus: tot enim sunt exemplaria pæne quot codices. Sin autem veritas est quærenda de pluribus: cur non ad Græcam originem revertentes, ea quæ vel à vitiosis interpretibus male edita, vel à præsumtoribus imperitis emendata perversius, vel à librariis dormitantibus aut addita sunt, aut mutata, corrigimus? Neque vero ego de Veteri disputo Testamento, quod à septuaginta Senioribus in Græcam linguam versum, tertio gradu ad nos usque pervenit. Non quæro quid Aquila, quid Symmachus sapiant, quare Theodotion inter novos & veteres medius incedat. Sit illa vera interpretatio quam Apostoli probaverunt. De novo nunc loquor Testamento: quod Græcum esse non dubium est, excepto Apostolo Matthæo, qui primus in Judæa Evangelium Christi Hebraïcis litteris edidit. Hoc certe quum in nostro sermone discordat, & [a] diversos rivulorum tramites ducit: uno de fonte quærendum est. Prætermitto eos codices quos à Luciano & Hesychio nuncupatos, paucorum hominum asserit perversa contentio: quibus utique nec in veteri Instrumento post septuaginta Interpretes emendare quid licuit, nec in novo profuit emendasse: quum multarum gentium linguis Scriptura ante translata, doceat falsa esse quæ addita sunt. Igitur hæc præsens præfatiuncula pollicetur quattuor tantum Evangelia, quorum ordo est iste, Matthæus, Marcus, Lucas, Johannes: codicum Græcorum emendata collatione, sed veterum. Quæ ne multum à lectionis Latinæ consuetudine discreparent, ita calamo [b] temperavimus, ut his tantum quæ sensum videbantur mutare correctis, reliqua manere pateremur ut fuerant. Canones quoque, quos Eusebius Cæsariensis Episcopus Alexandrinum sequutus Ammonium, in decem numeros ordinavit, sicut in Græco habentur, expressimus. Quod si quis de curiosis voluerit nosse, quæ in Evangeliis, vel eadem, vel vicina, vel sola sint, eorum distinctione cognoscat. Magnus siquidem hic in nostris codicibus error inolevit, dum quod in eadem re alius Evangelista plus dixit, in alio quia minus putaverint, [c] addiderunt. Vel dum eumdem sensum alius aliter expressit, ille qui unum è quattuor primum legerat, ad ejus exemplum cæteros quoque æstimaverit emendandos. Unde accidit ut apud nos mixta sint omnia, & in Marco plura Lucæ atque Matthæi, Rursum in Matthæo plura Johannis & Marci, & in cæteris reliquorum quæ aliis propria sunt, inveniantur. Quum itaque canones legeris qui subjecti sunt, confusionis errore sublato, & similia omnium scies, & singulis sua quæque restitues. In Canone primo concordant quattuor, Matthæus, Marcus, Lucas, Johannes. In secundo tres, Matthæus, Marcus, Lucas. In tertio tres,

a Ita MSS. omnes antiquiores ac melioris notæ. Aliquot recentiores cum editis legunt, *in diversos rivulorum tramites*: vel, *ad diversos, &c.*

b Codices MSS. quamplures, *imperavimus*.

c Consule quæ in Prolegomenis nostris diximus de Latino Matthæi Evangelio usu recepto in Ecclesia ante Hieronymum, ubi exempla proposuimus additamentorum hujusmodi.

" المجلد الأول من أعمال الراهب جيروم

بداية المقدمة

حول مراجعة نصوص الأناجيل الأربعة

إلى قداسة البابا داماز ، من جيروم،

تحثنى على أن أقوم بتحويل عمل قديم لأخرج منه بعمل جديد ، وتريد منى أن أكون حكماً على نُسخ كل تلك النصوص الإنجيلية المتناثرة فى العالم ، وأن أختار منها وأقرر ما هى تلك التى حادت أو تلك التى هى أقرب حقا من النص اليونانى. أنها مهمة ورعة ، لكنها مغامرة خطرة إذ سيتعيّن علىّ تغيير أسلوب العالم القديم وأعيده إلى الطفولة. وأن أقوم بالحكم على الآخرين يعنى فى نفس الوقت أنهم سيحكمون فيه على عملى. فمَن مِن العلماء أو حتى من الجهلاء، حينما سيمسك بكتابى بين يديه ويلحظ التغيير الذى وقع فيه ، بالنسبة للنص الذى اعتاد قراءته ، لن يصيح بالشتائم ضدى ويتهمنى بأننى مزور ومدنس للمقدسات ، لأننى تجرأت وأضفت ، وغيّرت، وصححت فى هذه الكتب القديمة ؟

وحيال مثل هذه الفضيحة ، هناك شيئان يخففان من روعى ، الأمر الأول : أنك أنت الذى أمرتنى بذلك ؛ والأمر الثانى : إن ما هو ضلال لا يمكن أن يكون حقاً. وهوما تقره أقذع الألسنة شراسة. وإذا كان علينا أن نضفى بعض المصداقية على مخطوطات الترجمة اللاتينية، ليقل لنا أعداؤنا أيها أصوب ، لأن هناك من الأناجيل بعدد الإختلافات بين نصوصها. ولماذا لا يروقهم أن أقوم بالتصويب إعتمادا على المصادر اليونانية لتصويب الأجزاء التى أساء فهمها المترجمون الجهلاء ، أو بدلوها بسوء نية ، أو حتى قام بعض الأدعياء بتعديلها.

وإذا كان علينا دمج المخطوطات ، فما يمنع أن نرجع ببساطة إلى الأصول اليونانية ونبعد بذلك عن أخطاء الترجمات السيئة أو التعديلات غير الموفقة من جانب الذين تصوروا أنهم علماء ، أو الإضافات التى أدخلها الكتبة النعسانين ؟ أننى لا أتحدث هنا عن العهد القديم والترجمة السبعينية باللغة اليونانية التى لم تصلنا إلا بعد ثلاث ترجمات متتالية من العبرية إلى اليونانية ثم إلى اللاتينية. ولا أود أن أبحث هنا ما الذى سيقوله أكويلاّ أو سيماك ، أو لماذا آثر تيودوسيان إختيار موقف الوسط بين المترجمين القدامى والحداث. لذلك سأعتمد على الترجمة التى يمكن أن يكون قد عرفها الحواريون.

وأتحدث الآن عن العهد الجديد ، المكتوب بلا شك باللغة اليونانية فيما عدا إنجيل متّى الذى كان قد استعان أولا بالعبرية لنشره فى منطقة اليهودية. إن هذا الإنجيل يختلف يقيناً عن الذى بلُغتنا نظرا لتعدد المصادر التى استعانوا بها لتكوينه. وقد آثرت أن أرجع إلى نص أساسى ، فلا أود الإستعانة بترجمات المدعوان لوشيانوس أو هزيكيوس التى يدافع عنها البعض بضراوة عن غير وجه حق ، واللذان لم يكن من حقهما مراجعة لا العهد القديم بعد ترجمة السبعين ، ولا أن يقوما بمراجعة النصوص الجديدة. فالنصوص الإنجيلية التى وصلتنا بلغات شعوب مختلفة توضح مدى الأخطاء التى بها. وإذا كنت قد قمت بذلك بالنسبة للنسخ المكتوبة بلغتنا فلا بد وأن أعترف بأننى لم أستفد منها شيئاً.

وهذه المقدمة المتواضعة تقترح أن يكون ترتيب الأناجيل الإسمى على النحو التالى : متّى ، مرقس ، لوقا ، ويوحنا. وقد تمت مراجعتها من عدة مخطوطات يونانية قديمة. وهى لا تبعد كثيرا عن فحوى النسخ اللاتينية. فلم أقم إلا بتصويب الأجزاء التى بدت بعيدة عن المعنى الحقيقى وتركت الأجزاء الأخرى كما وصلتنا فى صياغتها البدائية و وضعت حرف (ب). أما الترجمات التى قام بها يوسبيوس من القيصرية ، المقسمة إلى عشرة أجزاء ، وفقا لأمونيوس السكندرى ، فقد ترجمتها إلى لغتنا إلتزاما بالمعنى اليونانى فحسب. وإن كان هناك أى فضولى يود معرفة الأجزاء المتماثلة أو المتفردة أو التى تختلف تماما عن تقسيمة العشرة يمكنه معرفة ذلك. لأن الأخطاء قد تراكمت مع الوقت فى كتبنا، وهو ما يجعل إنجيل ما يتفاوت عن الآخر ، وأشرت إليه بحرف (ح).

لقد وقعت أخطاء عند محاولة التوفيق بينها ، لذلك ترى خلطاً شديداً فى الترجمات اللاتينية. فأحد الكتبة قد قال أكثر وفى الآخر قد أضافوا إذا تصوروا أنه أقل. وأن مرقس فى أجزاء كثيرة ينقل عن لوقا ومتّى ، وأن متّى ينقل عن يوحنا ومرقس ، بينما كان كل إنجيل يحتفظ بما يخصه فحسب. فكل واحد منهم قد نقل عن الإنجيل الذى وقع فى يده. لذلك عند قراءة الكشف الذى أقترحه لن يكون هناك أى خلط وسيتم التعرف على المتشابه بينها وعلى ما يخص كل منها بعد أن أستبعدت الخلط والأخطاء.

ففى الكشف الأول يوجد توافق بين الأناجيل الأربعة متّى ومرقس ولوقا ويوحنا. وفى الثانى لا يوجد توافق إلا بين متّى ومرقس ولوقا ، وفى الثالث بين متّى ولوقا ويوحنا ، وفى الرابع بين متّى ومرقس ويوحنا، وفى الخامس بين متّى ولوقا، وفى السادس بين متّى ومرقس، وفى السابع بين متّى ويوحنا ، وفى الثامن بين لوقا ومرقس، وفى التاسع بين لوقا ويوحنا. وفى العاشر ستجد كل مل هو خاص بكل إنجيل ولا يوجد فى الأناجيل الأخرى. وفى كل إنجيل على حدة هناك أجزاء متفاوتة الطول كلما ابتعدنا عن التوافق.

الرقم سيكون باللون السود ، وسيتضمن رقماً آخر تحته بالأحمر، لكى يدل فى أى إنجيل يوجد ذلك الجزء المعنى. فعند فتح الكتاب ومحاولة معرفة أى فصل ينتمى لهذه الترجمة أو تلك فإن ذلك سيتضح فوراً من الرقم الذى اضفته من أسفل. وعند الرجوع إلى بداية الطبعة التى توجد فيها القوائم معاً وبفضل إسم الترجمة المحدد فى بداية كل إنجيل يتم العثور على رقم كاتبه مع العناوين المختلفة لكل منهم. ويوجد بجوار هذا الأخير أسماء الفقرات المماثلة. وهكذا يمكن الإطلاع على الأرقام الموجودة فى نفس الفصل. وما أن تتم معاينة هذه المعلومات يمكن التوصل إلى كل واحد مع مراعاة الأرقام التى تم تحديدها يمكن معرفة الأجزاء المتشابهة أو المتماثلة (ب).

أرجو أن تكون بخير فى المسيح وألا تنسانى يا قداسة البابا ".

وإلى هنا ينتهى خطاب القديس جيروم الذى صاغ الأناجيل الأربعة المعروفة حاليا. ولو قمنا بأخذ أهم المقولات التى وردت بهذا الخطاب-المقدمة ، لوجدنا ما يلى :

* أن البابا داماز (366-384 ، الذى ترأس البابوية لمدة ثمانية عشر عاما) قد طلب من القديس جيروم أن يحوّل الكتب القديمة إلى كتب جديدة ، وأن يحكم على قيمة تلك الأناجيل المتناثرة فى العالم ليستبعد منها ما حاد عن النص اليونانى ، ـ والمعروف أن النص اليونانى ليس النص الأصلى للأناجيل ، ولا حتى نص إنجيل يسوع الذى كانت لغته الأرامية .

* خشية جيروم من إتهامه بأنه مزوّر ومدنس للمقدسات لأنه تجرأ وأضاف وغيّر وصحح فى الكتب القديمة !

* معرفته يقينا بأن ما قام به يعد فضيحة فى نظر الأتباع ، ـ وأى فضيحة !

* لكنه مطمئن ، لا لأن البابا شخصيا هو الذى طلب منه القيام بهذا التغيير فحسب ، ولكن لمعرفته يقينا : " أن الضلال لا يمكن أن يكون حقا " .. أى أن الكتب السائدة تعد ضلالا فى نظره ، وهو ما تقره أيضا أقذع الألسنة شراسة فى الهجوم عليه ..

* وأن الترجمة اللاتينية السائدة بها أخطاء وإختلاف بين نصوصها ..

* وأن من قام بالترجمة جهلاء ، وبدلوا النصوص بسوء نية ، وقاموا بتعديلها !..

* وأن نص إنجيل متّى المكتوب بالعبرية يختلف يقينا عن الذى باللاتينية نظرا لتعدد المصادر التى تمت الإستعانة بها لتكوينه ..

* وأن نصوص الأناجيل الموجودة فى شعوب مختلفة توضح مدى الأخطاء والإضافات التى بها ..

* وأن الترجمة اللاتينية التى قام بها القديس جيروم لا تبتعد كثيرا عن فحوى النسخ اللاتينية السابقة وأنه لم يقم إلا بتصويب الأجزاء التى بدت له بعيدة عن المعنى الحقيقى ، وترك الأجزاء الأخرى فى صياغتها البدائية !

* وأن الأخطاء قد تراكمت فى هذه الأناجيل ، كما وقعت أخطاء عند محاولة التوفيق بينها ، لذلك يوجد بها " خلطا شديدا " نظرا لما أضافه الكتبة من عندهم ..

ثم قام بعمل كشف بالأجزاء المتوافقة و المتشابهة فيما بين الأناجيل بين تعديلها !

أفبعد هذا الإعتراف الشديد الوضوح هل يمكن لأحد الإدعاء بأن الأناجيل الحالية منزّلة من عند الله ، أو الإفتراء ظلما ومساواتها بالقرآن الكريم الذى لم يتبدل فيه حرفاً واحدا منذ أنزله الله سبحانه وتعالى حتى يومنا هذاً ؟!..

ولا يسعنى ، بعد تقديم هذا الدليل القاطع ، إلا مناشدة كافة المسؤلين المسلمين وخاصة كافة اولئك الذين يشتركون فى مؤتمرات الحوار أن يقرأوا ليدركوا أن مساواتهم القرآن الكريم بنصوص الأناجيل الحالية أو الكتاب المقدس برمته يعد مساساً فادحا فى حق الإسلام ، لكى لا أقول " كفراً " .. فلا يمكن مساواة الحق بالباطل .

وإلى إخواننا المسيحيين بكل فرقهم ، لا يسعنى إلا تكرار ما سبق وقلته من قبل : أنه لا توجد خصومة شخصية بينى وبين أى مخلوق ، ولا أنتقد المسيحية كديانة فى حد ذاتها ، لكننى ضد عملية فرضها على العالم ، ضد تنصير العالم وتحديدا ضد إقتلاع الإسلام والمسلمين.. ليؤمن من شاء وليكفر من شاء بمثل هذه النصوص، لكن تنصير المسلمين أمر مرفوض بكل المقاييس ، فالدين عند الله هو الإسلام.

وفيما يلى النص اللاتينى الكامل لخطاب القديس جيروم ، ليقوم بمراجعة ترجمته من شاء :

Sancti Hieronymi operum Tomus Primus

Incipit praefatio

Sti Hieronymi Presbyteri

in

Quatuor evangelia

Beatissimo Papae Damaso Hieronymus

Novum opus facere me cogis ex veteri : ut post exemplaria Scripturarum toto orbe dispersa, quasi quidam arbiter sedeam : & quia inter se variant, quae sint illa quae quum Graeca consentiant veritate, decernam. Pius labor, sed periculosa praesumtio, judicare de coeteris, ipsum ab omnibus judicandum : senis mutare linguam, & canescentem jam mundum ad initia retrahere parvulorum. Quis enim doctus pariter vel indoctus, cum in manus volumen assumserit, & à saliva quam semel imbitit, viderit discrepare quod lectitat ; non statim erumpat in vocem, me falsarium, me clamans esse sacrilegum, qui audeam aliquid in veteribus libris addere, mutare, corrigere ? Adversus quam invidiam duplex caussa me sonsolatur : quod & tu qui summus sacerdos es, fieri jubes : & verum non esse quod variat, etiam maledicorum testimonio comprobatur. Si enim Latinis exemplaribus fides est adhibenda, respondeant quibus : tot enim sunt exemplaria paene quot codices. Sin autem veritas est quaerenda de pluribus : cur non ad Graecam originem revertentes, ea quae vel à vitiosis interpretibus male edita, vel a praesumtoribus imperitis emendata perversius, vel à librariis dormitantibus aut addita sunt, aut mutata, corrigimus ? Neque vero ego de Veteri disputo Testamento, quod à septuaginta quid Aquila, quid Symmachus sapiant, quare Theodotion inter novos & veteres medius incedat. Sit illa vera interpretatio quam Apostoli probaverunt. De novo nunc loquor Testamento : quod Graecum esse non dubium est, excepto Apostolo Matttheo, qui primus in Judaea Evangelium Christi Hebraïcis litteris edidit. Hoc certe quum in nostro sermone discordat, & (a) diversos rivulorum tramites ducit : uno de fonte quaerundum est. Praetermitto eos codices quos à Luciano & Hesychio nuncupatos, paucorum hominum asserit perversa contentio : quibus utique nec in veteri Instrumento post septuaginta Interpretes emendare quid licuit, nec in novo profuit emendasse : quum multarum gentium linguis Scriptura ante translata, doceat falsa esse quae addita sunt. Igitur haec praesens praefatiuncula pollicetur quattuor tantum Evangelia, quorum ordo est iste, Matthaeus, Marcus, Lucas, Johannes : codicum Graecorum emendata collatione, sed veterum. Quae ne multum à lectionis Latinae consuetudine discreparant, ita calamo (b) temperavimus, ut his tantum quae sensum videbantur mutare correctis, reliqua manere pateremur ut fuerant. Canones quoque, quos Eusebius Caesariensis Episcopus Alexandrinum sequutus Ammonium, in decem numeros ordinavit, sicut in Graeco habentur, expressimus. Quod si quis de curiosis voluerit nosse, quae in Evangeliis, vel eadem, vel vicina, vel sola sint,

eorum distinctione cognoscat. Magnus siquidem hic in nostris codicibus error inolevit, dum quod in eadem re alius Evangelista plus dixit, in alio quia minus putaverint, (c) addiderunt. Vel dum eumdem sensum alius aliter expressit, ille qui unum è quattuor primum legerat, ad ejus exemplum coeteros quoque aestimaverit emendandos. Unde accidit ut apud nos mixta sint omnia, & in Marco plura Lucae atque Matthaei, Rursum in Matthaeo plura Johannis & Marci, & in coeteris reliquorum quae aliis propria sunt, inveniantur. Quum itaque canones legeris qui subjecti sunt, consusionis errore sublato, & similia omnius scies, & singulis sua quaeque restitues. In Canone primo concordant quattuor, Mattheeus, Marcus, Lucas, Johannes. In secundo tres, Matthaeus, Marcus, Lucas. In tertio tres, Matthaeus, Lucas, Johannes. In quarto tres, Matthaeus, Marcus, Johannes. In quinto duo, Matthaeus, Lucas . In sexto, Matthaeus, Marcus. In septimo duo, Matthaeus, Johannes. In octavo duo, Lucas, Marcus. In nono duo, Lucas, Johannes. In decimo, propria (a) unusquisque quae non habentur in aliis, ediderunt. Singulis vero Evangeliis : ab uno incipiens usque ad sinem librorum, dispar numerus increscit. Hic nigro colore praescriptus, sub se habet alium ex minio numerum discolorem, quid ad decem usque procedens, indicat prior numerus, in quo sit canone requirendus. Quum igitur aperto codice, verbi gracia, illud sive, illud capitulum scire volueris cujus Canonis sit, statim ex subjecto numero doceberis, & recurrens ad principia, in quibus Canonem est distincta congeries, eodemque statim Canone ex titulo frontis invento, illum quem quaerebas numerum ejusdem Evangelistae, qui & ipse ex inscriptione signatur, invenies ; atque à vicino caeterorum tramitibus inspectis, quos numeros è regione habeant, annotabis : & quum scieris recurres ad volumina singolorum, & sine mora repertis numeris quos ante signaveras, reperies & loca in quibus vel eadem, vel vicina didixerunt (b) . Opto ut in Christo valeas, & mei memineris Papa beatissime.

(a) Ita MSS. omnes antiquiores ac melioris notae. Aliquot recentiores cum editis legunt, in diversos rivulorum tramites : vel, ad diversosos, G c.

(b) Codices MSS. quamplures, imperavimus

(c) Consule quae in Prolegomenis nostris diximus de Latino Matthaei Evangelio usu recepto in Ecclesia ante Hieronymum, ubi exempla proposuimus additamentorum hujusmadi.

♦ إعترافات ووثائق مخجلة ..

ما أكثر العلماء أو رجال اللاهوت الذين يتهمون أو يتحدثون عن تحريف نصوص الأناجيل ، منذ ما قبل عصر التنوير بكثير ، بما أن هناك عدد منهم يرجع إلى عصر القديس جيروم، فى القرن الرابع ، الذى صاغها فى شكلها الحالى التى هى عليه .. فلقد عرفت هذه الأناجيل معارك طويلة دامية ، منذ بداية صياغتها وحتى مجمع مدينة ترانت (Trente 1563-1545)، الذى فرضها على أنها نصوص "مقدسة" ، وأن " الله هو مؤلفها الوحيد"! وهو ما نطالعه فى المرجع الفاتيكانى الخاص ب"**المجامع المسكونية**" ، دار نشر لوسير ، ثلاثة مجلدات ضخمة ، 1994. ويقول النص :

" إن المجمع المقدس يتقبل ويبجل بنفس شعور التقديس ونفس الإحترام كل إصحاحات العهد القديم والعهد الجديد ، بما أن الله هو المؤلف الوحيد لكل منها ".. ولا يغفل النص أن يشير كالمعتاد فى كافة المجامع ، أن الحرمان واللعنة سيلحقان بكل من يجاذف بعدم تصديق ذلك ! (الدورة الرابعة ، 8 إبريل 1546 ، البند الأول من وثيقة "تلقى الإصحاحات المقدسة"، مجلد 3، صفحة 1351).. وهو ما يكشف فى آن واحد عن مدى الوقت الذى استغرقه عدم تقبل مثل هذه النصوص من الأتباع ومسؤليهم ، بحيث إقتضى الأمر أن تمتد الصراعات فيما بينهم حتى القرن السادس عشر ليتم فرضها بقوة المجمع ، دون أن ننسى – فى تلك الفترة تحديدا – وجود محاكم التفتيش وكافة الوسائل الترويعية الأخرى !

وفى البند الثانى من قرارات نفس هذه الدورة ، فى صفحة 1353 ، ينص المجمع ويعلن أن الطبعة القديمة للأناجيل والمعروفة بإسم "الفولجات" (Vulgate) ، التى إتخذتها الكنيسة وإستعانت بها طوال تلك القرون الماضية، يجب إعتبارها نصا أصليا فى كل من الدروس العامة، والمناقشات، وعمليات التبشير والتفسير ، وألا يتجرأ أى شخص على أن يستبعدها تحت أى سبب كان " ، فاللعنة والحرمان يتصديان كالمعتاد لأى إنحراف !..

و نفس هذا المجمع هو الذى فرض بصورة قاطعة عقيدة الإفخارستيا أو المناولة التى تنص على أن يؤمن الأتباع إيمانا قاطعا بأنهم يأكلون لحم السيد المسيح ويشربون دمه إيمانا قاطعا ويقينيا .. وهو ما يكشف عن مدى القرون التى إستغرقتها هذه العقيدة لكى تستتب أو لكى " يبتلعها " الأتباع فرضا وقمعا ! فالمعروف أن هناك فِرق مسيحية بأسرها لا تقبلها أو لا تعترف بها كعقيدة أو استبعدتها من طقوسها !..

وهو نفس المجمع أيضا الذى قرر و فرض على كل من "الأباطرة، والملوك ، والدول ، والأمراء ، وغيرهم ، كل منهم و جميعهم ، وأيا كان مستواهم أو منصبهم ، وكلما ازدادوا ثراء فى الخيرات الزمانية والسلطوية عن غيرهم ، كلما كان عليهم احترام ما يعد ملكا للكنيسة على أنه ملكية شخصية لله وفى حمايته الذاتية " !! (الفصل العشرين ، قرارات عامة ، صفحة 1617) .. وليقم من شاء بالربط بين هذه القرارات ليرى كيف أن جميعها لا تهدف إلا لتدعيم وترسيخ السلطة الدنيوية للكنيسة.

ورغمها ، ودون أن نتوقف عند هذا الحد ، قد تواصلت الإتهامات بين مختلف الجهات المعنية ، سواء أكانت علمانية أم إكليروسية ، حول هذه النصوص "المقدسة" ومصداقيتها ، إلى أن تم إنعقاد المجمع المسكونى الفاتيكانى الأول (1869-1870) ، الذى إنعقد للتصدى لحملات عصر التنوير الكاشفة لكل ما تم فى هذه النصوص من تحريف وتبديل ، و إضطر إلى أن يفرضها مرة أخرى ، على أنها نصوص مقدسة ، مع تحديد : "أن إصحاحات العهد القديم والجديد ، كما هى واردة بعددها فى قرار هذا المجمع ومثلما نجدها واردة فى "الفولجات" اللاتينية (Vulgate)، يجب تقبلها على أنها مقدسة وقانونية بكاملها وبكل مختلف أجزائها (...) لأنها مكتوبة بوحى من الروح القدس ، والله هو مؤلفها ، وقد تسلمتها الكنيسة بشكلها الذى هى عليه " (الدورة الثالثة ، الفصل الثانى "النصوص" ، المجلد الثالث ، صفحة 1639).

ونلاحظ هنا أنه قد تم حشر إضافة صغيرة هى : " أنها مكتوبة بوحى من الروح القدس " – حتى و إن كان " الله هو مؤلفها " !! وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل : كيف يمكن للروح القدس أن يلهم الله ؟! هل الله بحاجة إلى الروح القدس ، الذى هو وفقا لعقيدة التثليث الشهيرة : الآب والإبن والروح القدس يمثلون إلها واحدا ؟! وذلك يعنى أن جزء من الله قد ألهم أو أوحى إلى الجزء الآخر ؟؟ وياله من منطق ! أما عن باقى الجملة التى تقول : " وقد تسلمتها الكنيسة بشكلها الذى هى عليه " ، فمن الواضح أنها أضيفت لإضفاء شرعية إلهية على نص لم يكفّ عن التعرض للتعديل والتبديل ..

أما فى المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى (1962-1965) ، فنجد تعديلا آخرا أو تغييرا فى الموقف أكثر وضوحا وإن كانت لا تنقصه محاولات التعتيم الواضحة والتلاعب بالألفاظ :

"إن الوقائع المنزّلة إلهياً ، والتى تتضمنها النصوص المقدسة والتى توجد مكتوبة ، قد تم إيداعها بنفحة الروح القدس. وبالفعل ، إن هذه الإصحاحات الواردة فى العهد القديم والجديد ،وبكل أجزائها ، فإن الكنيسة الأم المقدسة ، بإمانها الرسولى ، تعتبرها مقدسة وقانونية ، وقد تمت صياغتها بوحى من الروح القدس ، وإن الله هو مؤلفها وأنها قد أُودعت هكذا فى الكنيسة ذاتها.

لكن ، لكى يتم تأليف هذه الإصحاحات المقدسة فقد اختار الله البشر ، وقد استعان بخدمتهم بكامل طاقتهم الفكرية وبكامل قوتهم الشخصية ، بحيث أنه هو نفسه قد أثر عليهم وبهم ، وقاموا هم بتدوين كل ما كان هو يريد ولا شيء آخر سواه ، على أنهم مؤلفون حقيقيون " .. ("التنزيل الإلهى" ، البند 11 ، صفحات 1980-1981).

ومن الملاحظ ، بخلاف إختفاء كلمة " الوحيد " التى كانت ملصقة بالله فى النص السابق ، إضافة مساهمة البشر ، كمؤلفون شركاء ، كما تم إدخال مجال آداب علم المقدسات، أى الأهواء الشخصية لكل مؤلف وفقا لما استقاه من الحجيج ، إضافة إلى "الأنواع الأدبية" فى الفقرة التالية من نفس الفصل السابق ، إذ نطالع :

" لكن ، بما أن الله ، فى النصوص المقدسة ، قد تحدث بواسطة البشر بأسلوب البشر، فإن مفسر النصوص المقدسة ، لكى يدرك ما الذى أراد الله شخصيا أن يوصله لنا ، يجب أن يبحث بعناية ما قاله كتبة استعانوا بعلم المقدسات وما يقصدونه وما الذى تراءى لله أن يحيطنا به علما بأقوالهم. لكن ، لكى ندرك نية كتبة علم المقدسات ، يجب أن نأخذ فى الإعتبار الأنواع الأدبية ضمن عدة أشياء أخرى " ! والمعروف فى الثقافة الفرنسية أن علم المقدسات عبارة عن نصوص هى أقرب ما تكون إلى الخرافة والأساطير ، إذ أن الحجاج هم الذين كانوا يتولون كتابتها وفقا لما يرون إقحامه لإضفاء مصداقية على ما يقولونه. بل إن نفس الكلمة الفرنسية hagiographie مشتقة من الكلمة العربية " حاج " (مع تعطيش الجيم)..

وفى الفصل التالى ، الذى يتناول العهد الجديد ، يبدو أن الله قد تنحى فى هذا النص ليفسح المجال لتفاصيل أخرى متعلقة بالمؤلفين وبأساليبهم ، والذين يراعون "موقف" الكنيسة، وذاكرتهم ، وذكرياتهم "ضمن أشياء أخرى" :

" إن الكنيسة المقدسة الأم تمسكت وتتمسك بصرامة وبأكبر ثبات أن الأناجيل الأربعة المذكورة، والتى تؤكد تاريخيتها (أى مصداقيتها التاريخية !) بلا تردد ، تنقل بإخلاص ما قام به يسوع إبن الله أيام حياته بين البشر فعلا وما عمله من أجل خلاصهم (...) إن المؤلفين المقدَسون قد صاغوا الأناجيل الأربعة بالحفاظ على بعض من العناصر المتعددة التى تم تناقلها إما شفاهة وإما كتابة ، وقد ضموا بعضها الآخر فى شكل تجميع إجمالى ، أو بتفسيرها ، مع مراعاة موقف الكنائس ، وبالحفاظ على شكل التبشير بحيث يطلعنا على أشياء حقيقية وصادقة عن يسوع (أى أن الله لم يعد هو الذى يؤلف ويملى وإنما الكتبة "المقدسون" الذين يصيغون ، ويختارون أو يقومون بالتلخيص !) .. ونطالع فى نفس الفقرة :

وبالفعل ، سواء أكان ذلك من الذاكرة ومن ذكراياتهم أو إبتداء من شهادات مَن كانوا منذ البداية شهود عيان وخدم للكلمة ، فهم يكتبون بنيّة إطلاعنا على "حقيقة" الكلمات التى أحطنا بها علما" (الفصل الخامس ، "العهد الجديد" بند 19 ، صفحة 1985) .

ومن الملاحظ أن هناك جملة تكفى وحدها لنزع مصداقية تلك "الحقيقة" إلى الأبد من هذه النصوص ، بما أنه مكتوب بوضوح لا شك فيه فى صفحة 1983 : " على الرغم من أن هذه النصوص تتضمن أشياء غير صحيحة ومؤقتة ، فهى تشهد مع ذلك بأنها علم تربية إلهى حقيقى" ! وهو نص قد تم التصديق عليه فى المجمع بعدد 2344 صوتا موافقا بينما اعترضت ستة أصوات حيال مثل هذا التقييم الكاسح لمصداقية الأناجيل !

لذلك فليس من المستغرب أن نطالع فى مقدمة الطبعة المسكونية المسماه "توب" (TOB) ، الصادرة عام 1984 :

" ومع ذلك ، وعلى الرغم من السلطة التى حظيت بها هذه النصوص ، فلا يوجد لدينا أية شهادات مكتوبة ، قبل مطلع القرن الثانى ، تنص على أنها نصوص مقدسة أو أنها قد حظيت على سلطة مماثلة لما يتمتع به الكتاب المقدس حاليا (...) وقبل عام 140 م ، لا يوجد على أى حال أى شهادة يمكن بناء عليها القول بأنه كانت هناك أية كتابات إنجيلية . كما لم يكن هناك أى طابع معيارى متعلق بأى من هذه الأعمال " (صفحة 15). وهنا لا بد وأن نسأل : " لماذا تأخر "الله "، مؤلف هذه الأناجيل، كل ذلك الوقت ليؤلف أو ليملى هذه النصوص المزعومة القدسية؟!

وبعد النص السابق بقليل ، فى صفحة 19 ، نطالع :

" فى كل هذه المخطوطات ، ما من واحد منها يعد مخطوط أصلى : أنها ليست سوى نقل منقول من نسخ نقل منقولة ، كانت فيما مضى قد كتبها المؤلف أو صيغت تحت إملائه. إن كافة إصحاحات العهد الجديد بلا إستثناء ، قد كُتبت باللغة اليونانية ويوجد أكثر من خمسة آلاف نسخة بهذه اللغة ، قد صيغت أقدمها على ورق بردى وأخرى على رق (...) والنسخة المعروفة باسم "كودكس سينايتيكوس" (Codex Sinaïticus) التى عثر عليها فى سيناء ، هى نسخة كاملة ويوجد بها إنجيل برنابا وجزء من "الراعى هرماس". وهى أعمال لم يحتفظ بها القانون الكنسى فى الإختيار النهائى للنصوص" .. وهو ما يثبت بكل تأكيد ووضوح بأن التغيير والتبديل وإختيار النصوص وفقا للأهواء أو حجب بعضها هو ما كانت تقوم به الأيادى العابثة فى تلك المؤسسة الكنسية .. أى أنه باختصار شديد ووفقا لما تقوله مقدمة تلك الطبعة المسكونية من الكتاب المقدس بعهديه ، لا يوجد بها أى شىء إلهى ولا أى شىء مقدس ولا أى شىء أصيل !..

وهنـاك مفاجـأة أخـرى تضـاف إلـى مـا تقـدم ، إذ نطـالع فـى صـفحة 20 مـن نفـس هـذه الطبعـة المسكونية ، أى التى تقرها كافة المذاهب المسيحية :

" إن كافـة نسـخ العهـد الجديـد التـى وصـلتنا ليسـت متماثلـة بـالمرة ، بـل علـى العكـس مـن ذلـك ، نلاحظ بينها إختلافات ذات أهمية متفاوتة وإن كان عددها على أيـة حـال كبيـر جدا. وبعض هذه الإختلافـات لا تتعلـق إلا بتفاصـيل أجروميـة أو بـالنحو أو بترتيـب الكلمـات. لكـن أحيانـا أخـرى نلاحظ بين المخطوطات إختلافات تؤدى إلى المساس بمعنى الفقرة بكاملها " !!

وهذا العدد "الكبير جدا" من الإختلافات والذى لم يشأ من صاغ هذه المقدمة أن يذكره حرجـا أو خجـلا ، فقد أوردت الموسـوعة البريطانيـة (طبعـة 1972) أنهـا قرابـة المائـة وخمسـون ألفـا مـن المتناقضات وأخطاء الترجمة أو التعديلات ! وقد قام العلمـاء ومـنهم رجـال ديـن مسـيحيون برفـع هـذا العـدد إلـى الضـعف ، خاصـة مجموعـة العـاملين فـى أبحـاث معهـد ويسـتار (Westar) فـى الولايات المتحدة ، والتى يفوق عددهم المـائتين عالمـا متخصصـا فـى علـم اللاهـوت أو اللغويـات القديمة ، وجميعهم مسيحيون ، وأجمعـوا فـى نـدوة عيسـى (Jesus Seminar) مضـيفين حقيقـة أن 82 % من الأقوال المنسوبة ليسوع لـم يتفـوه بهـا ، وإن 86 % مـن الأعمـال المسـندة إليـه لـم يقـم بهـا !

ولا نقول هنا شيئا عن الوعد الذى قطعه البابا يوحنا بولس الثانى بإلغاء سبعين جملة أو عدد من العهد الجديد ، تتهم اليهود صـراحة وبـلا مواربـة بقتـل الـرب يسـوع المسـيح ! وهـو مـا لـم يعـد يتمشى مع التنازلات والإنحناءات المتتالية التى لا تكف المؤسسـة الفاتيكانيـة عـن تقـديمها لليهـود منذ أن قام بتبرأتهم القائمة على الغش والتحايل على النصوص ..

لذلك ، ليس من الغريب ، بعد عملية الكشـف الكاسـحة لأيـة مصـداقية لهـذه النصـوص المزعومـة الألوهية والتقديس ، أن نراها تتساقط و تتدنى إلى مستوى التزويـر والتحريـف ! وهـو مـا تحـدث عنه القديس جيروم (Saint Jérôme) فى المقدمة-الخطاب الوارد بعاليه .. أى إن هذه الفضـيحة معروفة لدى ذلك الغرب المتعصب وثابتة فى وثائقه ..

وبعد مثل هذا الإعتـراف المشـين ، حيـث تحـدث المؤلـف "القـديس" عـن الإضـافات والتغييـرات والتعديلات التـى قـام بهـا شخصـيا ، كمـا قـام غيـره مـن قبلـه بعملهـا ، بمـا أنـه إعتـرف بـذلك للبابـا بوضـوح وبـالأسماء ، فمـن السـخرية أن نطـالع أن هـذه النصـوص "مقدسـة" وإن "الله هـو مؤلفهـا الوحيد" أو أنه يجب إعتبارها "أصلية منزّلة" والأدهى من ذلك مساواتها بالقرآن الكريم !!

فليصدقها أو ليؤمن بها من يشاء من أتباعها ، لكنه من غير المعقول أن يتم الإستعانة بمثل هذه النصوص لتنصير العالم أو لإقتلاع الإسلام والمسلمين .. فالأصالة والألوهية والقداسة لا تكتسب بالتقادم أو بألف عام من التعتيم والظلمات بل ولا حتى باقتلاع الآخر ..

لذلك لا يسعنا إلا أن اتوجه إلى البابا بنديكت 16 ، الذى يقود عملية تنصير العالم بهستيرية غير مسبوقة ، كما أتوجه إلى كافة المؤسسات الفاتيكانية التى تم تجنيدها بموجب قرارات مجمع الفاتيكان الثانى (1965) الذى فرض بكل جبروت المساهمة فى عمليات التبشير والتنصير على كافة المسيحيين ، أيا كانت أعمارهم أو وظائفهم ، أن يكفوا عن هذا الصرع الهستيرى ، الذى هو فى واقع الأمر السبب الرئيسى فى المآسى التى تجتاح العالم .. فهى تدور على مرأى ومسمع من الجميع بمساعدة الحكومات الغربية والتدخلات العسكرية الغاشمة .

إن حب القريب، الذى تتغنى به تلك المؤسسة العتيدة ، لم تطبقه أبدا فى يوم من الأيام تجاه الإسلام ، منذ أنزله الله عز وجل تصويبا لكل ما تم فى رسالة التوحيد بالله من تحريف كما رأينا، ولا تزال تجاهد لإقتلاعه حتى يومنا هذا .. إن حب القريب لا يعنى إبادة الإسلام والمسلمين أو حتى أى دين من الوجود، ولا يعنى خاصة تنصير العالم تحت لواء كاثوليكية روما بنصوص لم يعد بخافيا على أحد مدى ما بها من تحريف وتزوير ..

♦ الفاتيكان وقيامة يسوع ..

فى كتاب هام بعنوان **"عن الحقيقة فى المسيحية"** ، الصادر عام 1866 ، كتب شارل رويل (Ch. Ruelle) ، أحد أساتذة التاريخ فى فرنسا قائلا: "لا يمكن استبعاد أو محو عملية قيام يسوع من الأناجيل دون أن ينهدم كل شيء فى المسيحية".. وحينما أعرب عن هذه الحقيقة لم يكن أول من قالها وإنما كان قد سبقه العديد من علماء عصر التنوير الذين اعتمدوا هم أيضا على التقدم العلمى واللغوى لإعادة النظر فى مصداقية النصوص الإنجيلية.

ومن المعروف ان بولس هو أول من ركّز تبشيره على قيام يسوع من الموت دون الإهتمام بأهم أحداث حياته، وهو ما يؤكده فى الرسالة الأولى الى اهل كورنثوس(15:12-17). ويوضح ميشيل كينيل (M. Quenelle) فى كتابه عن **"تاريخ الأناجيل"** قائلا: "لولا قيامة يسوع لما كانت

هناك أناجيل ولا كنيسة، إذ أن عيد الفصح هو الحدث الذى تحولت به حياة يسوع، التى إنتهت بالفشل، إلى طريق للآمال".. وفى واقع الأمر إن قيام يسوع بعد موته ودفنه كما يزعمون، يمثل أكثر من مجرد منحنى فى الأحداث: أنه الدعامة الأساسية التى تقوم عليها المسيحية الحالية، وإنهيار هذه الدعامة يؤدى قطعا إلى إنهيار المسيحية برمتها! لذلك تتمسك المؤسسة الكنسية بترسيخ تلك العقيدة المختلقة بشتى والوسائل والإمكانيات..

وفكرة قيام الآلهة من الموت بمثابة قاسم مشترك أعظم بين كل الآلهة الهللينية القديمة، فكلهم يموتون وبعد ثلاثة أيام يقومون ويتم الإحتفال بقيامهم دون محاولة معرفة المزيد من التفاصيل .
وإذا كانت قصة أوزيريس، الإله المصرى القديم، قائمة على فكرة البعث أو القيام بعد الموت، فهى متكررة أيضا لدى الإله أدونيس والإله أتيس والإله ميثرا. فكلٌ منهم يموت ثلاثة أيام ، ينزل خلالها إلى الجحيم، ثم يُبعث أو يقوم..

ومن المسلّم به أنه ما من أحد قد شاهد أو حضر عملية قيام هذه الآلهة ، ولا حتى قيام يسوع، باستثناء بعض تفاصيل متعلقة بتكفينه. فما من أحد قد شاهد خروجه من القبر، وكل ما هو وارد بالأناجيل أن أحد الملائكة (وفقا لمتّى 8 : 2) أو ملاكان (وفقا ليوحنا 20 : 12) قد عاوناه على إزاحة الحجر من على باب المقبرة. الأمر الذى أثار سخرية سيلسيوس فى القرن الثانى الميلادى قائلا فى كتابه المعنون: "**الخطاب الحق**" : "هل إبن الله لم يكن لديه القوة ليفتح مقبرته بنفسه وكان بحاجة إلى أن يأتى أحد ويدحرج له الحجر ؟!".

ورغم كل ما تقدمه الأناجيل حول هذه العقيدة فإن قيام يسوع مبنى على اكتشاف المقبرة خاوية ! ولا يمكن لهذا المعطى أن يكون كافيا كدليل تاريخى على قصة البعث أو قيام يسوع، فما من أحد قد شاهده وهو يخرج من القبر. ونترك الكلمة لواحد من كبار عالماء اللاهوت الفرنسى شارل جينيوبير (Ch. Guignebert) قائلا: "إن التناقضات الواردة فى نصوصنا الإنجيلية فيما يتعلق بقصة قيام يسوع تناقضات عديدة ولا تُحتمل. فمن الواضح ، من الوهلة الأولى، فيما يتعلق بالتأكيد العام، إن المقبرة التى وُضع فيها يسوع مساء يوم وفاته قد وُجدت خاوية صبيحة اليوم التالى ! وبدأت المعطيات تنسج تدريجياً بغية تحقيق تلك المقولة.. ولشدة التناقض والإختلاف بين هذه التفاصيل فإن جميعها مشكوك فيها" (وارد فى كتابه عن "**يسوع**" صفحة 608).

ولكى يدرك القارىء مدى التناقض فى سرد أحداث قيامة يسوع نورد تلخيصا شديدا لكل منها كما هى واردة فى الأناجيل :

1 - <u>وقائع ظهور المسيح فى إنجيل متّى</u> :

يظهر يسوع مرتين بعد بعثه : لسيدتين بجوار القبر قرب القدس فى نفس يوم البعث ؛ والثانية ظهوره لأول وآخر مرة للحواريين وهم مجتمعون فى الجليل، دون تحديد لمكان ولا يذكر اسم أى حوارى..

2 - <u>وقائع ظهور المسيح فى إنجيل مرقس</u> :

يظهر يسوع ثلاث مرات : لسيدة بمفردها ؛ ولإثنين من الحواريين ؛ وللأحد عشر مجتمعين حول المائدة دون تحديد زمان أو مكان .. وظهوره لمريم المجدلية لا يتضمن أية إشارة الى زمان أو مكان ، ونفس الشيء بالنسبة للحوارِيَيْن. ولا يقال فى أى مكان أو بلد تم رفع يسوع : هل على جبل فى الجليل كما يبدو فى متّى، أو فى القدس، أو بالقرب منها كما سيرد فى انجيل لوقا وفى أعمال الرسل التى يقال أنها لنفس الكاتب ..

3 - <u>وقائع ظهور المسيح فى إنجيل لوقا</u> :

ترد هنا ثلاث وقائع لظهور يسوع ويبدو أنها وقعت فى نفس اليوم : ظهوره يوم بعثه للتلميذين على طريق عمواس وامتد لبعد الظهر واختفى يسوع بعده فجأة حين تعرفا عليه ؛ وظهوره لسمعان بطرس دون تحديد مكان أو زمان ؛ وظهوره للحواريين مجتمعين فى القدس يوم البعث مساءً. وامتد ظهوره للحواريين الى اللحظة التى "رفع فيها الى السماء".. ولا يذكر لوقا ظهوره لأى سيدة، ولا لتلقى الحواريين الأمر بالذهاب الى الجليل، ولا أنهم قد ذهبوا ..

4 - <u>وقائع ظهور المسيح فى إنجيل يوحنا</u> :

يورد إنجيل يوحنا أن يسوع قد ظهر أربع مرات: مرة واحدة لمريم المجدلية عند القبر يوم البعث وليس عند زيارتها الأولى للمقبرة ؛ وثلاث مرات للحواريين : مرة يوم البعث مساءً وصبيحة يوم السبت والحواريين مجتمعون فى القدس فى مكان أبوابه مغلقة وتوما غائب ؛ والثانية بعد ذلك بثلاثة أيام ، أى بعد بعثه بثمانية أيام وصبيحة يوم السبت والحواريين مجتمعون فى نفس المكان ومعهم توما ، ولا أحد يعرف كيف دخل يسوع الى الغرفة وبابها "مغلق بإحكام" وفقا لتحديد النص ، إلا إن كان دخل على إنه روح فرضا وتسلل عبر الحائط ، لكن الروح لا تأكل مثلما أكل يسوع مع حوارييه ! والثالثة فى الجليل بلا تحديد زمان، على شاطىء بحيرة طبرية، ويقال تحديدا أن هذا هو الظهور الثالث بالنسبة للحواريين منذ البعث..

5 - <u>وقائع ظهور يسوع فى أعمال الرسل</u> :

بغض الطرف عن كل ما بأعمال الرسل من تناقضات مع ما ورد بالأناجيل المتناقضة أصلا فيما بينها حول قيام يسوع ، فإن أهمها أنها لا توضح فى أى وقت إرتفع يسوع أمام حوارييه ، كما لا تذكر وجود أى شاهد يكون قد رأى يسوع وحوارييه أو سمع كلامه ، و أنها تؤكد أنه حيّ، دون أن تذكر أى ظهور له إلى إمرأة ما، و خاصة التأكيد على أنه قد ظل على الأرض بعد بعثه لمدة أربعين يوما ! وهو ما لا يرد فى أى إنجيل من الأناجيل ، فمن أين لأعمال الرسل بفترة تلك الأربعين يوما وظهوره لخمسمائة شخص إلا إن كانت عمليات مزايدة متتالية من أجل ترسيخ هذه العقيدة المختلقة وتدعيمها ؟!.

وأهم ما نخرج به من ملاحظات، أنه لا يوجد أى وصف فى الأناجيل لعملية البعث أو قيامة يسوع ، وأنه لم يشاهدها أى مخلوق ، وأن الدليل الوحيد عليها هو "وجود القبر خاليا" بناءً على نصوص مشكوك فى مصداقيتها بل ولا يوجد حولها أى إجماع بين الأناجيل ..

فإذا نظرنا إلى عملية البعث هذه بصورة موضوعية لرأينا أن ما تقدمه النصوص يقول إجمالا : أن يسوع قد مات ودُفن يوم الجمعة مساءً وأنه قد بُعث فجر السبت أو الأحد – أى أنه لم يبق فى القبر ثلاثة أيام كما يصرون؛ وأنه ظهر لحوارييه عدة مرات ثم صعد إلى أبيه حيث يجلس عن يمينه.. إلا أن تأمل الوثائق عن قرب يكشف عن كمّ لا حصر له من الطبقات المتراكمة بمتناقضاتها ، إضافة إلى ما يلى :

* يقوم مرقس بوصف عملية دفن يسوع متناسيا أنه يوم الإستعداد لعيد الفصح الذى يفرض الراحة الإجبارية الشرعية عند اليهود ويحرّم القيام بأى شيء طوال يوم السبت تحريما قاطعاً..

* ثابت من الأناجيل ان اليهود هم الذين قتلوا يسوع وهم الذين أنزلوه من على "الخشبة" وهم الذين وضعوه فى القبر. وأن الذى دفنه شخص ظهر فجأة واختفى فجأة من على مسرح الأحداث! أنه يوسف من الرامة، المقرّب إلى بيلاطس وواحد من أعضاء المحكمة العليا التى أدانت يسوع بكامل هيئتها.. فكيف يقوم هذا اليوسف بإتهام يسوع ضمنا مع المحكمة، وإقرار الحكم عليه، ثم يسعى لتسلم جثته لدفنها ؟!

* وأن يوسف من الرامة هذا وزميله نيقوديمس ، وكان رئيسا لليهود، حضر ومعه نحو مائة منّا من العطور، والمنّا تساوى نصف كيلوجراما تقريبا، أى أنهما قد أحضرا حوالى خمسون كيلوجراما من العطور لتطييب جسد يسوع ! – وهو ما يكفى لتطييب ما يزيد عن جسد فيل من الأفيال الضخمة بكثير ! بل كيف أمكنهما حمل كل هذه الكمية وحمل الأكفان إضافة إلى حمل جسد يسوع فى نفس الوقت والسير بها خلسة فى ظلام الليل ؟!.

* بغض الطرف عن التناقض الوارد فى وصف القبر، فالبعض يقول "حفرة" بدليل أن بطرس إنحنى ليراه، وآخر يقول منحوت فى الجبل ، بدليل أن البعض دخل ورأى .. أما يوحنا فيقول أنه

صُلب فى بستان والبستان به قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط .. بينما يقول مرقس أنه وُضع فى قبر كان منحوتا فى صخرة ودحرج حجراً على باب القبر .. وما هو ثابت تاريخيا أن كل فترة المسيحية الأولى لم تعرف ليسوع قبراً حتى القرن الميلادى الرابع ، حينما تنبهوا لغياب أية آثار تدل على وجوده ، فقامت والدة الإمبراطور قسطنطين ببناء ما هو معروف حاليا بإسم "الآثار التاريخية ليسوع" !!.

* من المحرج قراءة جملة من قبيل : "فأخذوا الفضة وفعلوا كما علّموهم. فشاع هذا القول عند اليهود إلى يومنا هذا" (متّى 28 : 15) ، فهى عبارة تؤكد أن من كتبها ليس يهودي على الإطلاق، وليس من الحواريين، وإلا لما قال "عند اليهود" فكلهم كانوا يهود.. وهى من الأدلة اللغوية التى تثبت أن هذه الأناجيل ليست بأقلام الحواريين كما يدّعون فهناك المئات من مثل هذه الهفوات اللغوية .

* من اللافت للنظر أن ظهور يسوع بعد بعثه المزعوم يتفاوت من عدة ساعات ، وفقا للوقا، إلى أربعين يوما وفقا لأعمال الرسل .. فهل يمكن الإعتماد على مثل هذا الخلط والتفاوت فى أى تقييم حقيقى أمين للأحداث ؟!.

* من الصعب فعلا حصر كمّ المتناقضات فى رواية بعث يسوع هذه ، ونذكر منها على سبيل المثال: تناقض بين الأماكن التى ظهر بها ، وحول عدد مرات ظهوره، وفيما قاله أو فيما فعله خلال فترات ظهوره ، وكذلك فى المكان والتاريخ المتعلق بصعوده ، وبين ظهوره لشخص او لإثنى عشر أو لخمسمائة.. إضافة إلى أن هذا الحدث لم يشهده أى مخلوق.

* كما أن عمليات التردد والخوف والشك التى اعترت الأتباع توضح أنهم لم يتقبلوا فكرة البعث ولم يستوعبوها على الرغم من أن الأناجيل تقول أن يسوع كان قد أعلن لهم عن خبر ظهوره بعد الموت !. وهو ما يضع علامات إستفهام ممتدة حول حقيقة موقف الحواريين وحول مدى إيمانهم بكلام يسوع ، وحول مصداقية يسوع فى نظرهم !.

لذلك لا يمكن الإعتماد على مثل هذه النصوص من الناحية التاريخية، فمن الواضح ان "قصة هذه القيامة قد تم إختلاقها وصياغتها لتأكيد الوجود الكنسى وتدعيم سلطانه" على حد قول شارل جينيوبير الذى يؤكد: "أن دراسة أقدم النصوص المتعلقة بظهور يسوع تنفى اكتشاف المقبرة الخالية من التراث القديم ومن التاريخ، وتؤكد أن الإيمان ببعث يسوع يعتمد على ظهوره الذى لا دليل عليه" .. بينما يقول جيزا ڤيرمس (Geza Vermes) ، أحد كبار المؤرخين الحاليين، "إن عملية بعث يسوع كما توردها الأناجيل لا تزال تمثل لغزاً محبطا لأية محاولة لفهم الأحداث بصورة منطقية. والروايات الإنجيلية تحاول فرض مصداقية الحدث الوارد بمثل هذه الحجج

الجوفاء التى تناقلتها نسوة مذعورات (...) والأغرب من هذا وذاك تشكك الحواريين أنفسهم فى عملية البعث، بينما يحاول يوحنا الإصرار على شهادة الجند بوفاة يسوع، وذلك لإخماد تعليق كان سائدا منذ ذاك الوقت ويشرئب بانتظام حتى وقتنا هذا، أن يسوع لم يمت فعلا على الصليب وإنما كان حياً وعاش بعد ذلك طويلا.. واختصاراً ، من المحال العثور على الخطوات أو المراحل الحقيقية لهذا المعتقد الدينى الذى تدرج من اليأس المطلق والرفض الواضح المشوب بالشك إلى عملية تأكيد مطلق لبعث يسوع". (**"البحث عن هوية يسوع"** صفحة 176).

ومن أهم الأدلة التى تنفى إستحالة حدوث البعث بعد موت إمتد ثلاثة أيام ، ما يقوله جى فو (Guy Fau) : "إذا أمكن الإيمان بقيام الأجساد وبعثها جسمانياً ، فإن بعث المخ سوف يمثل أكبر مشكلة : فالإنسان بلا عقل وبلا ذاكرة وبلا فكر يفقد كل ما يمكنه أن يجذبنا إليه ، إذ أن بعث خلايا المخ مستحيل تماماً لأن تلك الخلايا هى الخلايا الوحيدة التى لا تتجدد أثناء حياة الإنسان الأرضية، وتلفها يعد نهائياً . ولا يوجد أى طبيب يمكنه أن يعتقد فى بعث العقل ، وإذا ما أكد ذلك فهو واقع تحت وهْم مؤكد ".. (**"المسيحية بلا يسوع"** صفحة 151) .

أما ميشيل كوكيه (Michel Coquet) فيؤكد: "ان المؤسسة الكنسية قد اخترعت قصة البعث والصعود تماما، فلم يرد ذكرها إلا فى مطلع القرن الخامس عندما قام كلٌ من يوحنا كريزوستوم أو فم الذهب وأغسطين مدّعين أن لها أصل رسولى" !.. (**"كشف أسطورة يسوع"** صفحة 358).

ورغم كل هذه الحقائق العلمية التى تفنّد حقيقة تلك القيامة تفنيدا علميا، وهى جد نماذج قليلة على سبيل المثال لا الحصر، من الغريب ان يُعلن بنديكت 16 يوم الأحد 2009/4/12 فى خطابه الرسمى لعيد الفصح هذا قائلا بإصرار لتأكيد فرية لم يشهدها أى مخلوق :

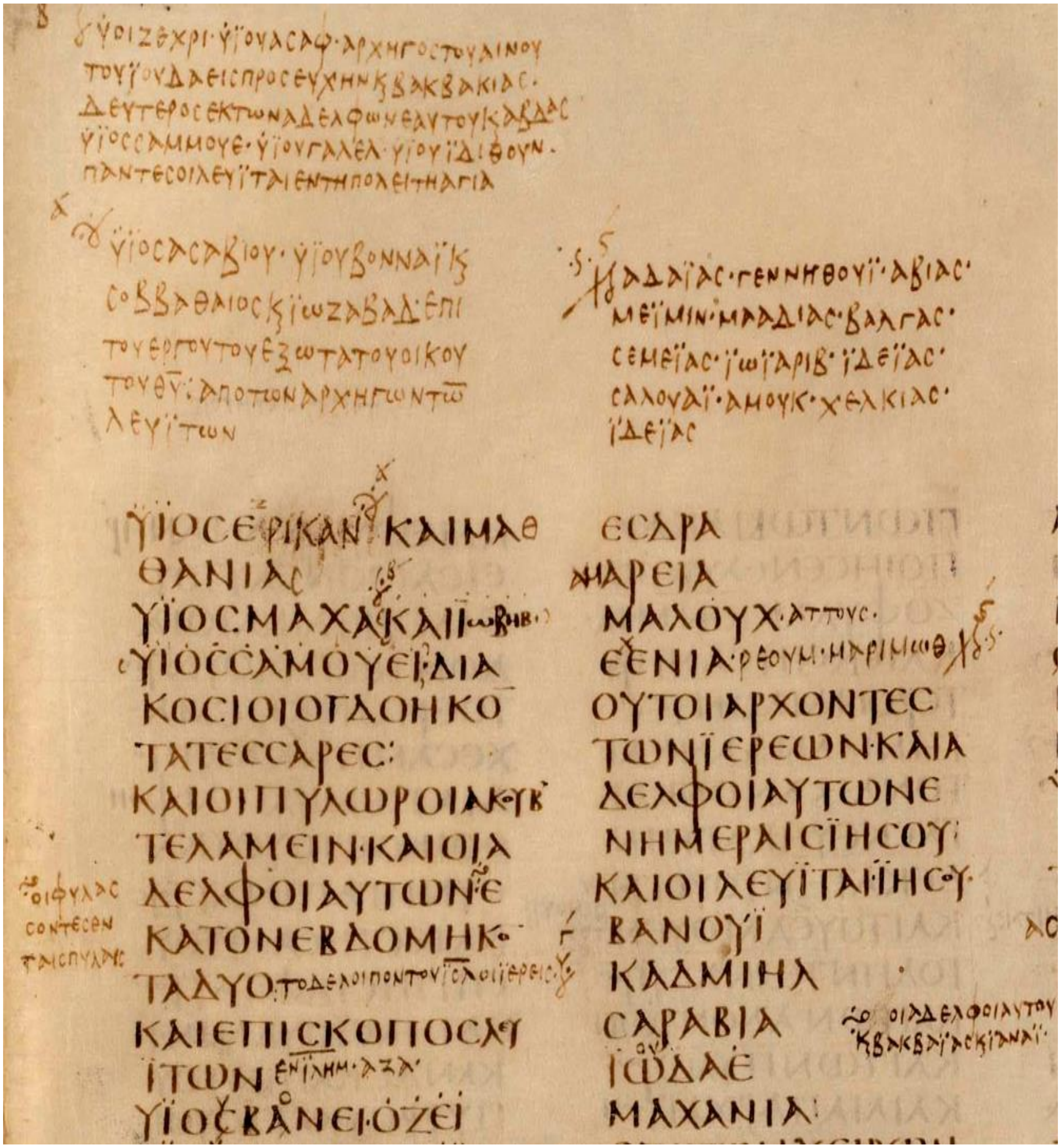
"إن البعث ليس نظرية وإنما حقيقة تاريخية كشفها يسوع المسيح (...) أنه ليس اسطورة، ولا حلماً، ولا رؤية، ولا يوتوبيا، ولا خرافة، وإنما هو حدث متفرد ونهائى : يسوع الناصرة بن مريم الذى أُنزل من على الصليب مساءالجمعة ودُفن، قد خرج منتصرا من القبر"!.

وليست فرية القيامة هى الفرية الوحيدة فى العقائد ، كما أن هناك فريات متعلقة حتى بالتواريخ ومنها عيد ميلاد يسوع ، بدليل أن له ثلاثة تواريخ مختلفة فى الأناجيل ، كما أن تاريخ 25 ديسمبر ليس هو التاريخ الحقيقى ، ففى 22 ديسمبر 1993 إعترف البابا يوحنا بولس الثانى بأن يوم 25 ديسمبر كان عيدا وثنيا قائلا : "عند الوثنيين القدامى كانوا يحتفلون بالشمس التى لا تُقهر ، وهذا اليوم كان يوافق مدار الشتاء. وقد بدى من المنطقى والطبيعى للمسيحيين أن

يستبدلوا هذا العيد بالشمس الوحيدة الحقيقية وهى : يسوع المسيح" (وارد فى جريدة "**لا ربوبليكا**" الإيطالية) !

ويالها من أكاذيب مفضوحة وأكبر دليل عليها نفس وثائقها !..

♦فرية الكتاب المقدس !..♦



(صفحة من الكتاب المقدس وعليها كمّ لافت للنظر من الشطب والتعديل والتغيير والإضافات بالبنط الصغير، فوق النص وأعلاه و من حوله، فهل يمكن لمثل هذا العبث أن يوصف بأنه منزّل من عند الله ؟)

♦ ♦ ♦

فى السادس من شهر أكتوبر عام 2008 نشر موقع البى بى سى، التابع لهيئة الإذاعة البريطانية، مقالا حول مخطوطة الكتاب المقدس المعروفة بإسم "السيناوية" – نسبة إلى سيناء، حيث تم العثور عليها فى دير سانت كاترين منذ مائة وستين عاما تقريبا ، وللتمييز بينها وبين المخطوطة الأخرى التى ترجع أيضا إلى القرن الرابع والمعروفة بإسم "الفاتيكانية". وهما أقدم مخطوطتان معروفتان للكتاب المقدس وإن كانتا مكتوبتان باليونانية ، أى أنهما ليستا النسخة الأصلية لذلك الكتاب المفترض فيه أن يكون مكتوبا بالآرامية ، على الأقل فيما يخص العهد الجديد ، أى بلغة يسوع فمن المؤكد أنه لم يكن يعرف اليونانية !..

وبخلاف الإشارة إلى كمّ التصويبات والتعديلات الموجودة على المخطوطة وفى كل صفحة منها، وهو ما يثبت يقينا أن ذلك النص لا يمكن أن يكون كلام الله ، على حد قول رودجر بولطون كاتب المقال ، الأمر الذى سوف يصدم العديد من الأتباع الذين يتصورون أن الكتاب المقدس الحالى، الذى بين أيديهم، منزّل من عند الله ، فإن المقال كان يُعلن عن قرب إفتتاح الموقع الخاص بهذه المخطوطة ، فى الصيف المقبل ، لتكون متاحة لكل من يريد الدراسة والإستزادة من معرفة كيفية صياغة وتكوين النصوص "المقدسة" عبر العصور ..

وبالفعل ، كما كان معلنا فى أكتوبر 2008، تم إفتتاح الموقع الخاص بمخطوطة سيناء فى شهر يوليو 2009 ، ورابطه هو www.codex-sinaiticus.net . وفى السادس والسابع من نفس الشهر أقيم بالمكتبة البريطانية مؤتمر علمى حول أصول مخطوطة الكتاب المقدس بعد تجميع أجزاؤها من أربعة أماكن مختلفة هى : المكتبة البريطانية، المكتبة القومية فى روسيا، دير سانت كاترين بسيناء، ومكتبة جامعة لايبزج .

وما يقال حول كيفية إكتشاف هذه المخطوطة وقصة إنتقال أجزاؤها فى تلك الأماكن الأربعة يتضمن بعض الغموض وشىء من اللا معقول – أى أن هناك ما يوجد بين السطور وما يوجد خلفها وما يقال عليها.. وذلك مثل كل ما يتعلق بكيفية نشأة وأصول المسيحية الحالية ! وإختصاراً ، يقولون أنه فى عام 1844 توجه أحد الباحثين الألمان ، ويدعى قسطنطين فون تيشندورف (C. Von Tischendorff) المرسل إلى مصر فى مهمة إستطلاعية من قِبَل فريدريك أغسطس ملك ساكسونيا، ليزور دير سانت كاترين الأورثوذكسى .. وفى تجواله فى غرفة أحد الرهبان وقع نظره على سلة مهملات بجوار المدفأة ، بها مخطوطات كانت فى طريقها لإعلاء سعير نيرانها ... وهذه الجزئية تحديداً ليست بغريبة فما أكثر المخطوطات التى استخدمها الرهبان للتدفأة ، فهُم أول من يعلم بحقيقة قيمتها ... فمد الباحث يده من باب الفضول وإذا به يمسك بمائة تسع وعشرين صفحة مخطوطة من العهد القديم، المعروفة باسم السبعينية. فأخذها وأودعها مكتبة جامعة لايبزج.

وفى زيارة أخرى عام 1853 عثر على جزئين آخرين من العهد القديم ، وفى زيارة ثالثة عام 1859 أخبره الراهب بما يحتفظ به لنفسه ، وإذا به العهد الجديد كاملا .. إلا أن الراهب رفض أن يعطيه له ، فسافر تيشندورف إلى القاهرة، إلى دير يتبع نفس الملة، وطلب إستحضار المخطوطة من عند الراهب لإهدائها إلى القيصر الذى كان يقوم بتمويل الحفائر فى الموقع ، وهو ما تم له فعلا ... وفى عام 1869 قام القيصر بإهداء سبعة آلاف روبيل لكل دير منهما ، فى القاهرة وفى سانت كاترين ، مع بعض الهدايا العينية .. ولا يزال بدير سانت كاترين 33 الف مخطوطة ، تعد أكبر مجموعة مخطوطات مسيحية خارج الفاتيكان.

وتكشف هذه الجزئية من تاريخ مخطوطة سيناء عن عدة مآخذ ، أولها خطورة عمليات التنقيب عن الآثار التى تشرف عليها بعثات أجنبية ؛ سرقة الآثار والمخطوطات وسهولة الخروج بها من خلال المؤسسات الكنسية أو الدبلوماسية ؛ إهمال القساوسة – فما أكثر ما ضاع وإبتلعته النيران أو فرّطوا فيه من أجل حفنة عملات على مر التاريخ ، وهذه ليست بمعلومة جديدة وما أكثر من أشاروا إليها من المؤرخين والعلماء ..

ومع تناثر أجزاء مخطوطة سيناء فى أربعة بلدان، يقال أنه فى عام 1933 قامت السلطات السوفييتية ببيع ما لديها من المخطوطة أو جزء منها إلى بريطانيا، بمبلغ مائة ألف جنيه إسترلينى، وأودعت فى المكتبة البريطانية . وفى شهر مارس عام 2005 تم الإتفاق بين المؤسسات الأربع لتجميع الأجزاء المتناثرة فى مكان واحد وعمل موقع لها وتصويرها رقميا والقيام بعمل ترجمة علمية لنصوصها بالأربع لغات.

وأهم ما تكشف عنه مخطوطة سيناء هذه أن العهد الجديد كان يتضمن كتبا أو أسفاراً لم تعد توجد فى العهد الجديد الحالى ومنها خاصة وجود إنجيل برنابا كاملا وإنجيل الراعى هيرماس، اللذان تم إستبعادهما بعد ذلك ؛ كما تكشف عن تغيير ترتيب الأسفار المعروفة حاليا..

وبخلاف إضافة أو إستبعاد بعض النصوص، فإن هذه المخطوطة تُسقط بكل تأكيد مصداقية هذه النصوص المقدسة : إذ بها كمّ لا تغفله عين من الطمس والإضافات والتغيير والتبديل فى كل صفحة – كما هو واضح فى الصورة بأول هذه الجزئية !. بينما يعلق دكتور سْكوت ماكّندريك (Sc. Mckendrick) قائلا فى جريدة "**لوموند**" الفرنسية : "هذه المخطوطة تفتح نافذة واسعة على بدايات المسيحية وتقدم أدلة من الدرجة الأولى حول كيفية إنتقال الكتاب المقدس وصياغته من جيل إلى جيل"... ذلك لأن المخطوطة مليئة بالتصويبات المنتشرة فى كل صفحة من صفحاتها ، وهى تصويبات قام بها ما لا يقل عن عشرة مصححون، والكثير من هذه التغييرات قد تم خاصة فى القرن السادس والسابع وإمتد حتى القرن الثانى عشر !

ويقول جون بورجن (J. Burgon) عميد كلية وستمينستر: "إن عدم نقاء النص المتعلق بمخطوطة سيناء أو مخطوطة الفاتيكان ليس مجرد قضية رأى، وإنما هى حقيقة واقعة ، فمخطوطة الفاتيكان تغفل كلمات أو جمل بأسرها فى أكثر من 1491 موضع ، ومخطوطة سيناء مليئة بالأخطاء الظاهرة للعين المجردة.. أو بمعنى أدق : مخطوطة الفاتيكان تحذف 2877 كلمة، وتضيف 536 كلمة، وتبدّل معنى 935 كلمة، وتغيّر موضع 2098 كلمة، وتقوم بتعديل 1132 كلمة، وهو ما يؤدى إلى 7578 إختلافا حقيقيا فى النص ؛ ومخطوطة سيناء أكثر فساداً إذ أنها تتضمن أكثر من 9000 إختلاف وتناقض "!!

واستبعاد إنجيل برنابا من العهد الجديد الحالى لا يرجع إلى أنه يتهم اليهود بقتل المسيح ، وليس الرومان ، وإن كان ذلك هو ما تؤكده رسائل بولس أيضا ، وإنما إلى أنه يشير صراحة إلى مجئ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام – وهذه قضية أخرى ..

وإذا نظرنا إلى العهد الجديد عن قرب، فى مخطوطة سيناء، لوجدنا أنها تكشف أحيانا عن عكس ما يقوله يسوع فى الأناجيل الحالية ؛ كما لا توجد قصة المرأة الزانية التى كانت سترجم وأنقذها يسوع ؛ ولا توجد العبارة التى قالها يسوع وهو على الصليب : "يا أبتاه إغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا 23 : 34) ؛ كما لا تذكر المخطوطة شيئا عن صعود المسيح إلى السماء ، وبغياب هذا الدليل الذى يُعد من أسس الإيمان المسيحى ندرك إلى أى مدى تم نسج هذه الأناجيل وهذه العقائد على مر العصور ...

ومن أهم ما تكشف عنه هذه الجُمل الغائبة عن هذا النص السيناوى ، أن نهاية إنجيل مرقس كانت تقف عند العدد 8 من الإصحاح 16 التى تقول : " فخرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحدٍ شيئاً لأنهن كن خائفات" !! وهذا يعنى أنهن لم يبلّغن عن وجود القبر خاوياً ، وبالتالى فما من أحد قد علم بأن يسوع قد صحا من الموت أو أنه قد بُعث حياً كما تزعم المؤسسة الكنسية ، فوفقا لما يقوله الإنجيل فى هذه المخطوطة التى ترجع لأواخر القرن الرابع : "لم يقلن لأحدٍ شيئاً لأنهن كن خائفات" ..

ومن الواضح أن الجُمل من 9 إلى 20 التى تمثل النهاية الحالية لإنجيل مرقس قد أضيفت لاحقا لتتمشى مع الإضافة التى تمت لإنجيل متّى وما بها من فرية أن يسوع قال: "إذهبوا وكرزوا كل الأمم باسم الآب والإبن والروح القدس"، فالثالوث لم يتم تأليفه وفرضه على الأتباع إلا فى مجمع القسطنطينية عام 381.. كما أن وجود الإشارة إلى الثالوث تؤكد أن مخطوطة سيناء ترجع إلى ما بعد عام 381 وليس إلى منتصف القرن الرابع ..

وهناك ملاحظة أقل أهمية فى إنجيل يوحنا: فهو ينتهى فى المخطوطة بالإصحاح 21 عدد 24 ، أى إن مقولة العدد 25 غير موجودة، ومجرد الإطلاع على صياغتها فى الأناجيل الحالية يدرك القارئ إلى أى مدى المبالغة هى الأساس فى الدعوة إلى هذه العقيدة ، ويقول العدد غير الوارد فى المخطوطة : " وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة. آمين" !!

كما أن النهاية الأصلية لهذا الإنجيل تكشف أن يوحنا المزعوم ليس كاتب هذا الإنجيل المعروف بإسمه، بدليل قول من كتبه : "هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق" (يوحنا 21 : 24) ، فهو يشهد بأن هذا الكلام هو كلام يوحنا ، أى إن يوحنا لم يكتبه !!.

لذلك يقول أندريه بول فى موسوعة "**أونيفرساليس**" الفرنسية فى فصل الكتاب المقدس : " أن الكتاب المقدس قد تم تكوينه على مراحل ، فهو مجموعة من الكتب المصاغة فى فترات مختلفة وتم تجميعها عبر تسعة قرون ، بناء على روايات شفهية يتم تعديلها وتصحيحها وفقا للأحداث الجديدة ... وبفضل إكتشافات مخطوطات قمران تبيّن أن الكتاب المقدس ليس مجرد تراكمات عبر الزمان، وإنما هو نتيجة إختيارات إنتقائية لبعض النصوص وإستبعاد لبعضها الآخر". ولذلك أيضا يؤكد بارت إرمان B. Ehrman عالم اللاهوت و أستاذ تاريخ الأديان بالولايات المتحدة قائلا : "أن الكتاب المقدس الذى بين أيدينا حاليا لا يمكن أن يكون كلام الله"...

والمتأمل فى الصورة المرفقة ، وهى مجرد نموذج واحد لكل صفحة من صفحات مخطوطة سيناء ، لا يملك إلا أن يُصدم من جبروت المؤسسة الكنسية، ومن كمّ الظلم والقهر الذى مارسته فى مسيرتها على مدى الفى عام ، ولا نقول شيئا عن قتل ملايين وملايين البشر لتفرض عقيدة محرّفة ، مزورة بوضوح ، نسجتها بالفريات على مر العصور ، وها هى ، مجرد مخطوطة تظهر إلى الوجود لتهدم اليات تلك المؤسسة الفاتيكانية بمجرد نظرة واحدة !

لذلك لا يسعنا إلا أن نقول بلا أى تجريح أو مؤاخذة، لكل الذين يساهمون عمدا أو عن جهل فى عمليات التنصير، الجارية حاليا فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، فما من واحد منهم مسؤل عمّا تم فى مسيحيته من تحريف وفريات منذ نشأتها وعلى مر العصور :

- إتقوا الله فى الإسلام والمسلمين ، فالدين عند الله هو الإسلام ، التوحيد الحق ، الذى نراه بكل وضوح فى سورة الإخلاص ، التى كشفت وأدانت بتلك الآيات الواضحة أهم ما تم فى المسيحية من تحريف وشرك بالله :

" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ"

إتقوا الله ، بدلا من إشعال الفتن ، لفرض عقيدة كلها فريات ، ولم يعد من الممكن قلفطة الحقائق أو التعتيم على كيفية نسجها أوكيف فرضها ..

الخاتمة

بعد قراءة كل ما تقدم ، وهى مجرد شذرات بالنسبة لما يمكن كتابته حول ذلك الكيان الجبار فى زيفه، وفى إصراره على سيادة العالم، وإعلانه فى أن يكون أحد دعائم النظام العالمى الجديد ، من الصعب الا يشعر القارئ بمزيج من الأسف والقرف فى آن واحد ، من مجرد تصور كل ما يعتمل من خداع وعدم أمانة داخل تلك المؤسسة الفاتيكانية وكرسيها الرسولى، التى فرضت وضعها غير القانونى والمزوّر على العالم وتصر بكل جبروت على تنصيره !

ويندهش المرء من كم المجالات التى تتراص بتناقضاتها فى خلفيات ذلك الكيان الدينى، من أسهم وسندات بأكثر من خمسين مليار دولار، وإحتياطى من الذهب يتعدى ما تملكه الكثير من الدول الصناعية الكبرى، وممتلكات عقارية يتعدى مسطحها أكثر من عدة بلاد معاً، وقصور تحتوى على كنوز وثروات فنية تفوق ما تمتلكه عدة دول مجتمعة ، وفى عبارة واحدة : إن ثروات الفاتيكان أكثر من ضخمة ، وأكبر مما يتخيله عقل.

بل يندهش المرء ويُصدم من المستوى الأخلاقى المتدنى لكثير من العاملين به ، وقد تفادينا تناول موضوع فضائح الإعتداءات الجنسية التى تمتد أصداؤها لتطول أعلى مستويات الثياب القرمزية.. ويا لها من قائمة ! وتكفى الإشارة هنا إلى ما نشرته مختلف الجرائد الفرنسية وخاصة جريدة "**الفيجارو**" فى 14/ 9 / 2011 ، من أن منظمتان أمريكياتان مهتمتان بالدفاع عن ضحايا الإعتداءات الجنسية على القصّر من قِبل "بعض" قساوسة الفاتيكان بتدرجاتهم، برفع دعوى قضائية فى محكمة العدل الدولية فى لاهاي، ضد البابا بنديكت 16 وثلاثة كرادلة هم : ترتشيزيو برتونى أمين عام دولة الفاتيكان، وأنجيلو سيدانو الأمين العام الأسبق للفاتيكان ، وويليام ليڤادا رئيس لجنة عقيدة الإيمان ، وذلك "لقبولهم التستر والتعتيم على جرائم الإعتداءات الجنسية على الأطفال". وقد أرفقتا مع هذه الشكوة الملف الخاص بها ويتضمن عشرين ألف صفحة من الجرائم والفضائح. كما قامت اللجنتان بتقديم نسخة من الملف إلى الفاتيكان ، تسلمها الأب فدريكو لومباردى، المتحدث الرسمى بإسم الفاتيكان، الذى علق بإقتضاب وهو يتسلم الملف قائلا : "لا تعليق" ! (No comment !).. وهنا تجدر الإشارة إلى أن ما سبق ودفعه الفاتيكان من تعويضات للضحايا وأجور المحامين فى القضايا السابقة لنفس الموضوع قد تعدت المليار من الدولارات فى الولايات المتحدة وغيرها..

ولا تتوقف الدهشة عند ذلك الحد ، فحينما كان الفاتيكان على وشك الإفلاس، عام 1929، قام بتوقيع معاهدة مع الفاشى بنتو موسولينى. وبموجب هذه الإتفاقية حصل موسولينى على مساندة الكنيسة، بينما حصل الفاتيكان على تسعين مليون دولار ودولة ذات سيادة فى مقره، وحقوق ملكية معفاة من الضرائب، ومرتبات جميع قساوسته مدفوعة من الحكومة الإيطالية. وهكذا، وفى لعبة واحدة، حلّ الفاتيكان كل مشاكله مقابل خضوع الكنيسة لنظام سرعان ما أغرق أوروبا فى حرب جحيمية..

كما لا تتوقف القائمة عند ذلك الحد وإنما يندرج فيها التعامل مع المافيا ، والإتجار فى المخدرات ، وغسيل الأموال ، والإتجار بالأطفال، والتورط فى تجارة الأعضاء ، والتدخل فى الشؤون الداخلية للبلاد ، وتدبير المؤامرات ، والإغتيالات، وتزوير المستندات والوثائق. فليس من فراغ أن وصفها جوزيف هويلس ، أستاذ القانون، القاضى والباحث فى اللاهوت والتاريخ الكنسى ، وكان فى قمة وظيفته القانونية بالولايات المتحدة حين أعلن فى كتابه المعنون "**التحريف فى المسيحية**" ، الصادر عام 1930، ووصف الكنيسة بأنها "طاحونة تزوير ، طاحونة لا تكل ولا تتوقف" !

وتمر الأعوام وتتوالى الأبحاث الكاشفة والمدارس المتعددة التى تدين أصول قيام ذلك الصرح الفاضح وكيفية تشييده ، منذ أولى خطواته ، وكل ما نسجه من فريات فى مختلف النصوص ومختلف المجالات ، لنطالع فى آخر ما كتبه بارت إيرمان، أستاذ ورئيس قسم علم مقارنة الأديان فى جامعة كارولاينا ، فى آخر كتاب صدر له فى شهر مارس 2011 ، حول الأناجيل ، بعنوان كبير صارخ، فى كلمة واحدة تحتل صدارة الغلاف، تقول : "**مزوّرة**" ! (**Forged !**).

ويا له من عنوان ..

ويؤكد بارت إيرمان أن الأناجيل ليست مكتوبة بأيدى الأسماء التى هى معروفة بها ، وإنما هى عبارة عن عملية تزوير بمعنى الكلمة. كما أن عبارة "التزوير" فى حد ذاتها تتضمن الفضيحة والجريمة فى آن واحد. وذلك هو ما يمكن ملاحظته فى كل صفحة من صفحات الأناجيل. الأمر الذى بات يقره المتخصصون فى دراستها ، "لأنها لا تتضمن مغالطات أو أخطاء لغوية فحسب وإنما هى تحتوى على ما يجمع عليه الناس حاليا ويصفوه بالأكاذيب " (صفحة 5). وقد أوضح بارت إيرمان أن التزوير كان منتشرا قديما ومستخدما كسلاح لتفنيد الهجوم على العقيدة لإقامة كنيستهم. فهو يشير إلى وجود إختلافات وتناقضات لا يمكن التغاضى عنها أو التحايل للتوفيق بينها. فالنصوص، كما يؤكد، وكما أكد الآلاف غيره من العلماء، وكما رأينا فيما تقدم، تختلف وتتناقض حول كل المعطيات الواردة.. حول ميلاد يسوع ، وأقواله، وحياته ، ومحاكمته ،

ووفاته، وبعثه، وكل شئ . فالشخص الذى يقول : "من ضربك على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر"، من شدة التسامح ، بأى عقل أو بأى منطق يمكنه أن يقول لأيٍ من حوارييه أو حتى من جنوده : "أما الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا وإذبحوهم قدامى" (لوقا 19 : 27)؟! وعبارة "أملك عليهم" تعنى "احكم عليهم" أو "احكمهم" ، أى أنه كان فى منصب صاحب نفوذ وسلطان على رعاياه ، وذلك ما حاول الفاتيكان طمس معالمه، لكن العبارات باقية تشير إلى التحريف والتزوير !

وإن كان لنبوءة يسوع بعودته أن تتحقق ، فقد حدد موعدها قائلا : "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله" (مرقس 1 :14) ؛ ثم نراه يؤكد : "الحق أقول لكم إنّ من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته" (متّى 16 : 28) ، وما أكثر ما قاله حول عودته وحول ذلك الملكوت فى عشرات الجُمل فى الأناجيل، فقد كان الشئ الوحيد الذى يبشر به. وإن كان على يسوع أن يعود بهذه السرعة وفى حياة من يتحدث إليهم ، فما الحاجة إلى كتابة هذه الأناجيل أصلا ؟!

ومن الواضح أن فكرة عودته قد تلاشت مع الوقت ، مثلما تلاشت كافة نبؤاته التى قالها ولم يتحقق منها أى شئ حتى الآن، فكان على الكنيسة أن تختلق بنيات تسمح لها بالإستمرار جيلا بعد جيل، تمسكا بالسلطة، وذلك بناء على : قائمة من النصوص المزعومة القداسة ؛ وتكوين عقائد تمت صياغتها عبر المجامع على مر العصور ؛ وتكوين رجال إكليروس بمختلف الدرجات قادرون على فرض هذه النصوص المختلقة ؛ وعلى تكوين جهاز قمعى قادر على سحق أية إعتراضات .. وهو ما قام به الفاتيكان على مر التاريخ.

وبدأت الطاحونة تعمل وتختلق ، وبدأت معها الإعتراضات والإتهامات والمجازر ، لتصل هذه الصراعات إلى ذروتها فى عصر التنوير مع بدايات القرن العشرين.. وكادت هذه الهجمة الكاشفة تأتى على ذلك البنيان ، القائم على تلال من الأكاذيب ، فقد أتت الإدانات من نفس رجال الكنيسة، أى من الداخل مثلما أتت من الخارج ، لتؤكد ما بالنصوص من أخطاء لغوية وتاريخية وعلمية وعقائدية .. ولم يجد الفاتيكان مخرجا إلا التعتيم المتعمّد على كل ما كشف عنه العلماء ومحاربته، التعتيم وغض الطرف عنه وكأنه لم يكن ، والإصرار – كرد فعل ، على فرض تنصير العالم كحلٍ وحيد لإستمرار كيانه وبقائه ..

وقد قام الفاتيكان بتحويل دفة الهجوم عليه وعلى الكنيسة ونصوصها بتحويل الصراع ضد الإسلام والمسلمين فى خطين أساسيين هما : عملية إسقاط لكل ما تعرضت له الكنيسة ونصوصها على الإسلام ونصوصه ؛ وإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين وتصعيدها

إلى الوضع الذى نعيشه حاليا، لإشعال وحقن النفوس ضد الإسلام والمسلمين، خاصة منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر 2001 ، المفتعلة .. فهى يقينا صناعة أمريكية محلية بكل المقاييس. وتكفى الإشارة هنا إلى إختفاء البرج الثالث من الأخبار ، حتى فى الإحتفال بمرور عشر سنوات على هذه المسرحية المأساوية. وهو برج مكون من 42 طابقا، وقد انهار بنفس طريقة الهدم تحت السيطرة، دون أن تمسه لا طائرة ولا صاروخ بل ولا حتى أية ذبابة ضالة ، لكنه هوى واختفى! وذلك لأنه كان يضم الكثير من مكاتب المخابرات المركزية الأمريكية إضافة إلى الدليل القاطع على الوثائق والتدابير التى تم استخدامها فى عمليات التفجير.. بدليل الإهتمام برفع الأنقاض ثانى يوم التفجير والتخلص منها بأسرع وقت، وهو ما لا يفعله أى أمين يود البحث عن أى دليل ضد الجريمة ..

وتضامن الفاتيكان فى تهمة إتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب، ولا يزال ..

لذلك نوضّح ونؤكد على إن عملية تنصير العالم تمثل مسألة حياة أو موت بالنسبة للفاتيكان وكرسيه الرسولى، مسألة حياة أو موت فعلا، له ولكل من إستطاع تجنيدهم ليقوم بعملية تبشير وتنصير بكل الطرق والأساليب. فالتنصير يدور حاليا من الباب للباب، فى الشوارع والطرقات، على الشواطئ وفى المدارس والجامعات ، فى المواصلات العامة كما فى مختلف المناسبات التى يختلقها الفاتيكان، حتى إتخذت هذه المحاولات صورة الهَوَس ، الهوَس والهلع من المصير المحتوم .. فبينا كانت مثل هذه المحاولات تتم قديما على استحياء ، بالحرص والحذر ، باتت تتم اليوم فى العلن وفى وضح النهار بمختلف وسائل الإعلام وبجرأة غير مسبوقة ، بعد أن تم فرض المشاركة فى تنفيذها على جميع الأتباع فى مختلف أنحاء العالم.

ألم يحن الوقت ليفيق المسلمون من غفلتهم، ويدركوا ضرورة أن تتكاتف كل الهيئات الإسلامية لصد هذه الهجمة الكاسحة للإسلام والمسلمين ؟ الم يحن الوقت للمطالبة بتصويب وضع الفاتيكان قانونا فى هيئة الأمم لطرده منها، أو أن يحصل المسلمون على نفس المميزات التى ينعم بها الفاتيكان ؟ كما يجب الكف عن وضع نصوص الأناجيل، الثابت تحريفها، على نفس مستوى القرآن الكريم وإعتبارها نصوص مقدسة أو حتى التعامل معها على أنها مقدسة. فقد نزعوا قداسة إنجيل يسوع الذى أوحاه له ربنا سبحانه وتعالى وأخفوه ، نزعوا قدسيته بأيديهم بكل ما اقترفوه فيه من تعديل وتبديل ..

كما نطالب بعدم الإنسياق فى اللعبة الجديدة التى يقودها الفاتيكان حاليا والقائمة على ترك الخلافات جانبا والبحث عن المشترك بين الأديان ! فهذا يعد خروجا عن الدين وكل ما أتى به من كشف لكل أنواع التحريف التى تمت فى الرسالتين السابقتين. ولن نكف خاصة عن المطالبة

بالكف عن التعامل مع الفاتيكان إلا بعد أن يعتذر عن مواقفه من الإسلام والمسلمين، وعن كل ما اقترفه فى حقهم، وأن يعترف بالإسلام دينا موحدا بالله، تم وحيه إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، والإعتراف بأنه منزّل من عند الله ، وبأنه أتى مصوبا ومكملا وخاتما لرسالة التوحيد التى بدلها وحرفها اليهود والنصارى ..

فلليوم لم يعترف الفاتيكان بالإسلام، بل زج به بعيدا ، كما رأينا فى نصوص مجمع الفاتيكان الثانى، ووضعه مع الديانات البوذية والهندوسية وغيرها !. لذلك نؤكد على ضرورة المطالبة بإعترافه بالإسلام خاصة بعد أن ثبتت لهم صحة كل ما جاء به القرآن الكريم نقداً وكشفاً لمختلف أنواع ما قاموا به من تحريف وتغيير وتبديل ، لا بفضل علماء المسلمين فحسب ، وإنما أيضا بفضل الأمناء من أتباع الكنيسة وأتباع تلك المؤسسة الفاتيكانية العاتية الجبروت ، التى يتعيّن عليها أن تخجل من تاريخها ومن أفعالها وتتوارى فى الخفاء، بدلا من أن تواصل الكِبْر فى رعونة ، لفرض جرائمها وعقائدها المختلقة على شعوب العالم ..

كشف بأهم المراجع

Alberigo, G. (sous la direction de) : **Les Conciles Œucuméniques,** Cerf, 1994

Ambelain, Robert : **Le grand exorcisme**, Esonet

Amorth, Gabriel : **Un exorciste raconte**, Le Rocher, 2010

Arinze, F. Cardinal : **Dialogue et Annonce**. Document pontifical pour le dialogue inter-religieux et de La Congrégation pour L'Evangélisation des peuples, 1991.

Bea, Augustin, Cardinal : **L'église et le peuple Juif**, Cerf, 1967

Casanova, A. : **Vatican II et l'évolution de l'Eglise**, Editions Sociales, 1969

Coquet, Michel : **La vie de Jésus démystifiée,** Nouvelles réalités, 2003

Derousseaux, L. & Macina, M. : **Mystère de l'Eglise, mystère d'Israël**, 2002

Dupuis, Jacques : **La rencontre du christianisme et des religions**, du Cerf, 2002

Ehrman, Bart : **Forged,** HarperOne, 2011

« « : **La construction de Jésus,** HarperOne, 2010

Funk, Robert : **The Jesus Seminar**, Macmillan publishing, N. Y., 1993

Gibbon, Edward : **Histoire du déclin et de la chute de l'empire romain,** 1983

Guignebert, Charles : **Jésus**, Albin Michel, 1969

Laurentin, René : **L'Eglise, les Juifs et Vatican II**, Casterman, 1967

Lecomte, Bernard : **Les secrets du Vatican**, Perrin, 2009

Lefebvre, Marcel, Mgr : **J'accuse le Concile !** , Saint-Gabriel, 1976

Levillain, Philippe : **Dictionnaire historique de la papauté**, Fayard, 2003

Macina, Menahem : **Chrétiens et Juifs depuis Vatican II**, Dr Angélique, 2009

Madre, Philippe : **Guérison et exorcisme**, Béatitudes, 2005

Maillard, J.-B. : **Dieu est de retour, la nouvelle évangélisation de la France**, 2009

P. Marella, Cardinal : **Orientations pour un dialogue entre Chrétiens et musulmans**. Ancona, Roma, 1991

Nuzzi, Gianluigi : **La banque du Vatican**, 2009

Perrin, Luc : **L'Affaire Lefebvre**, Cerf, 1989

Pichon, Charles : **Le Vatican hier et aujourd'hui**, Fayard, 1968

Poulat, Emile : **La nouvelle organisation de la curie romaine**, Téqui, 1989

« « : **L'Eglise, c'est un monde**, Cerf, 1986

Poupart, Paul : **Le Vatican**, Parole et Silence, 2004

Quesnel, Michel : **L'Histoire des Evangiles**, Cerf, 1987

Riès, Julien : **Les Chrétiens parmi les religions**. Desclée, Paris, 1987

Rougier, Louis : **La genèse des dogmes chrétiens,** Albin Michel, 1972

Ruelle, Charles : **De la vérité dans le Christianisme**, Rainwalds, 1866

Thomas, Joseph : **Le Concile Vatican II**, du Cerf, 1989

Vatican II, les relations de l'Eglise avec les religions non-chrétiennes, Unam Sanctam, Cerf, 1966

Vermes, Gueza : **L'Evangile des origines**, Bayard, 2009

« « : **Enquête sur l'identité de Jésus**, Bayard, 2000

Williams, Paul : **Les dossiers noirs du Vatican**,

Wheless, Joseph : **Forgery in Christianity**, Health research, 1930

« « : **Is it God's word**, N. Y., 1926

الفهرس